المرأة التى أحبها عبد الناصر!

الطبعة الثانية وجريمة هذا الكتاب



أسرار وخطابات بنت الباشا التى لم يتزوجها

شفيق أحمد على



مركز الحضارة العربية للاعلام والنشر

المرأة التى أحبها عبد الناصر

أسرار وخطابات
بنت الباشا
التى لم يتزوجها

شفيق أحمد على

الحائز على الجائزة الأولى فى
مسابقة التفوق والامتياز الصحفى
من نقابة الصحفيين المصريين

المرأة التي أحبها عبد الناصر

المؤلف : شفيق أحمد علي

الغلاف : محمد الصباغ

الطبعة الثانية : سبتمبر ١٩٩٦

الجمع والصف الالكتروني : مركز الحضارة العربية للاعلام والنشر

الناشر :

٤ شارع العلمين - ميدان الكيت كات - جيزة

ت : ٣٤٤٨٣٦٨

رقم الإيداع :	٩٦/٩٤٩٩
الترقيم الدولي :	I.S.B.N. 977-5121-96-5

ثلاث بوابات للدخول

●● الأولى : «أحجب المعلومات الصحيحة عن أى أنسان أو قدمها إليه مشوهة، أو ناقصة أو محشوة بالزيف، تدمر كل جهاز تفكيره .. وتنزل به إلى ما دون مستوى الانسان».

«آرثر سالزبورجر»
مؤسس جريدة نيويورك تيمس

●● الثانية : « إنهم على استعداد لسلخ جلود بطون أمهاتهم .. لكى يشدوها طبلة يدقون عليها أناشيد أى سلطان » .

«لويد جورج»
رئيس وزراء بريطانيا الأسبق

●● الثالثة : «لو أن أحداً سألنى.. ما هى أعز أمانيك ؟ لقلت على الفور : أن أسمع مصرياً يقول كلمة إنصاف فى حق مصرى آخر ».

«جمال عبد الناصر»
على صفحة (٢٢) من «فلسفة الثورة».

١ - ثمن الثورته

لم نقرأ في أي صحيفة عن رجل طلق زوجته، أو حطم رأسها « بالشاكوش» .. لأنها تحتفظ بصورة جمال عبد الناصر» !!

قرأنا فقط : حكاية الرجل الذى شرب من دم زوجته لأنه ضبط معها صورة «عمر الشريف»!

ولم نقرأ فى أى صحيفة، إسم زوجة عبد الناصر - حتى بعد وفاته - مجرداً من أى صفة.

قرأناه دائماً : مرصعاً بصفة السيدة « الجليلة».

وقرأناه أيضاً : مقترناً بما يقطع بأنها هى المرأة « الوحيدة» التى أحبها وتمناها عبد الناصر .. طوال حياته.

أما أنها سيدة جليلة .. فهذا - بالقطع - أكيد.

وأما أنها هى «المرأة الوحيدة» التى عرفها، وأحبها عبد الناصر طوال حياته .. فهذا - بالضبط غير صحيح.

ومن لا يصدق : يفتح جريدة الأهرام - الصادرة فى ١٧ مايو سنة ١٩٧٠ - على صفحة الوفيات .. إن كان يهمه أن يعرف اسم أول إمرأة خفق لها قلب عبد الناصر .. وإن كنت أثق فى أنكم ستوافقوننى على عدم ذكر إسمها «الحقيقى» فى هذه السطور .. خصوصاً أنها الآن، قد رحلت عن دنيانا.

متى رحلت .. ؟!

« شيعت الجنازه .. في تمام الحادية عشرة من صباح اليوم الموافق ١٧ من مايو ١٩٧٠» .

شيعت، ولم تذكر صفحة وفيات الأهرام، ما ذكره لي المستشار حسن النشار مؤكداً بأن «قائد العروبة» وضع يومها على عينيه نظارة سوداء، وأسدل ستائر سيارته من كل جانب .. وسار بها وحده – بضعة أمتار – خلف «الجنازة» [1] دون حراسة، ودون أن يشعر به أحد .. فيفسد عليه جلال اللحظة. «!!»

لحظة وفائه للأمس .. وإخلاصه للحاضر .. ووداعه الأخير، للمرأة التي خفق لها قلبه زمان .. ولم يحدث «نصيب» .!

★★★

في (٢٨) سبتمبر، مات منا عبد الناصر .. فجأة.

وفي (٢٨) مايو .. كتب عبد الناصر أيضاً بخط يده – سنة ١٩٣٩ – بأنه أحب «سين هانم»[2] ويتمنى لو يتزوجها، وأنه ينتظرها أمام سينما فيكتوريا «ليمتع نظره» برؤيتها كل أيام الأسبوع .. فيما عدا يومي السبت والثلاثاء..!!

ومن يومها : والتفاصيل خافية.

لم يحققها أحد .. ولم تقترب منها حروف مطبعة.

وفي المرة «اليتيمة» التي اقتربوا منها .. إبتذلوها، وفلسفوها، وكسروا عنقها .. للتدليل على وجهة نظر سياسية مسبقة.

وكأن عبد الناصر، لم يكن يأكل ويشرب، ويحب، ويقضي حاجته .. مثل البشر..!!

في المرة «اليتيمة» التي كتبوا فيها عن «الفتاة التي أحبها عبد الناصر ولم يتزوجها» .. كتبوها بقلم الأستاذ صلاح منتصر.

والسبب .. يدعو للعجب..!!

★★★

في صباح ٣١ يوليه سنة ١٩٨٣..

استيقظ الكاتب «الكبير» صلاح منتصر من نومه مبكراً .. ثم ملأ كفيه بالتراب

---

١ – الوجه الثاني من الشريط الثالث المسجل عليه وعلى غيره ٨ ساعات من الحوار الذي أجريته مع المستشار حسن النشار زميل الدراسة الذي صارحه عبد الناصر، وكتب له في الخطابات عن قصة حبه لهذه الفتاة .. ثم رآه المستشار بنفسه، وهو يسير بسيارته خلف جنازتها .. هكذا يقول !!

٢ – وعدت المستشار حسن النشار أن أشير إلى الفتاة التي أحبها صديقه عبد الناصر بالحرف الأول من اسمها .. ذلك فقط لأنها رحلت عن دنيانا .. وأظنكم معي في أن القضية الأساسية ليست هي الاسم .

كالعادة. .وراح – على الريق – يبحث عن شئ ناصع جديد لم يشوهه – هو أو غيره – فى شخص عبدالناصر .. وتجربته.

وبمعاناة من أصبح لا يجد شيئاً جديداً لم يشوه .. اكتشف ذلك الصباح أن «عبد الناصر فى الوقت الذى بدا فيه مؤيداً للديموقراطية، ولاستمرار الأحزاب، وتسليم الحكم للحزب الفائز بالأغلبية، وهو بالتأكيد موقف ديموقراطى .. فإن عبد الناصر نفسه عندما صوت مجلس قيادة الثورة ضد رأيه، مجمعاً على اختيار الدكتاتورية أسلوباً للحكم .. فإنه قد اتخذ موقفاً غير ديموقراطى تماماً .. واعتزل فى بيته، حتى إضطر زملاؤه إلى تغيير رأيهم والانحياز إلى الديموقراطية» [1] .

هذا هو بالضبط ما كتبه الأستاذ منتصر يومها.

استكثر أن يقرر – مرة ! – حقيقة أن جمال عبد الناصر أعطى صوته للديموقراطية .. فوصفه، فى السطر التالى مباشرة بأنه «اتخذ موقفاً غير ديموقراطى تماماً » ..!

●● لمــاذا ..؟!

لأن عبد الناصر مارس حقه «الطبيعى» ورفض ألا يشارك فى شئ لا يؤمن به، فترك زملاءه، يواصلون مسيرتهم وفق ما يرون .. «واعتزل فى بيته » وكأنه لم ينسحب إلى منزله فى هدوء .. وإنما رفع مسدسه فى وجوههم جميعاً، وأجبرهم بالقوة على التصويت إلى جانب «الديموقراطية».

هل رأيتم الإنصاف الذى يتمتع به كتابنا الكبار « ؟!!».

هل رأيتم مدى الأمانة التى تساقط من حروفهم « ؟!!»

حتى انحياز عبد الناصر للديموقراطية .. حسبوه عليه..

ولم لا .. ؟! مادام الهجوم على عبد الناصر لا يزال «له ثمن كبير .. وجوائز مغرية» [2].

★★★

تخيلوا معى لو أن رأى جمال عبد الناصر كان وقتها، قد اتفق مع رأى بقية زملائه .وأعطى صوته «للدكتاتورية» ؟!

من المؤكد أن الاستاذ صلاح منتصر كان أول من سيقفز من مقعده، ويصرخ فى وجوهنا قائلاً:

– ألا ترون .. إنه دكتاتور ابن دكتاتور .. إنه متعطش للدماء، لقد كان يضمر لنا

---

١ – صفحة (٧) من جريدة الأهرام الصادرة في ٣١ يوليه ١٩٨٣.

١ – محمد حسنين هيكل، في حواره مع صلاح منتصر المنشور علي صفحات مجلة أكتوبر في ١٩ يونية ١٩٨٨.

الدكتاتورية فى أعماقه منذ اليوم الأول الذى خطط فيه لثورته .. لهذا صوت إلى جانب الدكتاتورية .. ثم تبعه بقية زملائه «الغلابة» .. خوفاً من بطشه . !!

★★★

أنا هنا – بالطبع – لا أناقش مدى ديموقراطية عبد الناصر أو دكتاتوريته.

أنا فقط .. أذكركم بمدى «الإنصاف» الذى نتناول به ثورة عبد الناصر وشخصه.

والدليل : هو كل هؤلاء الذى تغزلوا «حتى» فى التراب الذى كان يمشى عليه عبد الناصر فى حياته، ثم هاجموه بشدة بعد وفاته .

كلهم تعللوا بأنهم لم يجرؤا على إنتقاده وهو حى .. خوفاً من بطشه ..

والآن : ها هو الرجل يرقد فى منشية البكرى .. لا «بطش » له ولا قوة .

فلماذا – إذن – لم نقرأ لهم سطراً واحداً ينتقدون فيه الرئيس السادات فى حياته .. وهم الذين تغنوا طويلاً بديمقراطيته .. بل واقترحوا تسميته «بسادس الخلفاء الراشدين» ..!!

لماذا لم يجرؤ واحد منهم – إن كانوا حقاً منصفين – على أن ينتقد السادات فى حياته، أو يناقشه، أو حتى يسأله – ولو تلميحاً عن « الموقف غير الديموقراطى تماماً» الذى اتخذه هو الآخر، فى بداية الثورة .. حينما «فاخر» مراراً فى أحاديثه المذاعة بأنه أعطى صوته للدكتاتورية ..؟!

قد يتعللون الآن – وبعد موته فقط – بأن ديموقراطيته كانت لها « أنياب».

إذن : لماذا لم نقرأ لهم سطراً واحداً أيضاً، ينتقدون فه الرئيس حسنى مبارك هو الآخر .. وهم الذين يقسمون كل يوم – قبل الأكل وبعده– بأننا نعيش فى عصره أزهى عصور الحرية، ولم نشهد ولن نشهد مثيلاً لديموقراطيته؟!

لماذا – بالضبط – لم ينتقدوا الرئيس مبارك ولو لمرة واحدة فى حياته.. ؟!

هل لأن الرئيس مبارك – مثلاً – نبى معصوم من «كل » الأخطاء؟!

أم أنهم – للحفاظ على غنائمهم سيفعلونها كالعادة بعد وفاته؟!

على أية حال : التاريخ هو قاضى القضاة.

وفى كل العصور .. لا يلتفت القاضى إلى «شهود الزور»..!

فأرجوكم، كونوا القضاة .. وأنتم تقرأون التفاصيل..

تفاصيل التفسير «الغرامى» لثورة يوليه من خلال رواية الأستاذ صلاح منتصر لقصة الفتاة التى أحبها جمال عبد الناصر .. ولم يتزوجها..!

★★★

هذه كتب التلاميذ فى المدارس تقرر بأننا وبعد (١٤٧) عاماً.. من حكم أسرة محمد على، جاءنا لأول مرة على عرش مصر، حاكم من أبنائها، لا يلعب القمار، ولا يراقص النساء، ولا يمنح البشوية.. ولا يلهب ظهور الفلاحين فى أبعدياته بالكرابيج . هذا الحاكم الذى جاءنا من أبناء الشعب اسمه : جمال عبد الناصر.

وهذا هو أيضاً صلاح منتصر، يقطع على صفحات جريدة الأهرام، فى ٣١ يوليه ١٩٨٣، بأن عبد الناصر هذا، لم يأمر بالغاء الرتب والألقاب، ولم يسارع بإصدار قانون الإصلاح الزراعى، لوجه الله، أو لوجه المساواة.. كما نعتقد، أو كما يتعلم أولادنا فى المدارس .. وإنما - بالضبط - لأن «عبد الناصر كانت لديه عقدة خاصة من باشوات الأحزاب، وبسبب هذه العقدة، فإننا نلحظ أن أول قرار أصدره مجلس الوزراء برئاسة على ماهر بعد طرد الملك فاروق، كان هو قرار إلغاء الألقاب والرتب المدنية، ولقد كان من الممكن، تقبل هذا القرار، هو أو قانون الإصلاح الزرعى فى إطار فلسفة ثورية واضحة، أما وأن حركة الجيش قد قامت دون أن تكون لها أى فلسفة فلقد كان صدور قرار إلغاء هذه الألقاب، وكذلك صدور قانون الإصلاح الزراعى بالسرعة التى حدثت، يعتبر شيئاً يسترعى الاهتمام والتفكير» [١].

هكذا - بالحرف - اكتشف الاستاذ منتصر فجأة، بأن هناك سببين لا ثالث لهما وراء إقدام ما سماه «بحركة الجيش» على إلغاء الألقاب أو إصدار قانون الإصلاح الزراعى «بالسرعة التى حدثت».

السبب الأول : هو أن « حركة الجيش قد قامت دون أن تكون لها أى فلسفة» .. وكلمة «أى» هنا تقطع بأن الاستاذ منتصر لم يسمع «حتى» عن المبادئ الستة «لحركة الجيش» التى يحفظها تلاميذ المدارس «الابتدائية» [٢].. والتى من بينها «تحقيق العدالة الاجتماعية» اللهم إلا إذا كان صلاح منتصر لا يعتبر إلغاء الألقاب أو إصدار قانون الإصلاح الزراعى، ليس لأى منهما علاقة بالمساواة، أو «تحقيق العدالة الإجتماعية» .. وهو المبدأ «الخامس» من المبادئ الستة الشهيرة لثورة ٢٣ يوليو ..

أما السبب الثانى : فهو أن عبد الناصر نفسه « كانت لديه عقدة خاصة من باشوات الأحزاب» هكذا يقول الاستاذ صلاح منتصر !!

---

١ - جريدة الأهرام في ٣١ يوليه ١٩٨٣ - مصدر سابق.

٢ - انظر صفحة (١٤٥) من كتاب «تاريخ مصر الحديث» للصف السادس الإبتدائي، والصادر عن الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية طبعة ١٩٨٨/٨٧ .. وفيه جاءت أهداف ومبادئ ثورة يوليو ١٩٥٢ بالنص والترتيب التالي:

١ - القضاء علي الإستعمار وأعوانه.
٢ - القضاء علي الإقطاع.
٣ - القضاء علي سيطرة رأس المال علي الحكم.
٤ - إنشاء جيش وطني قوي .
٥ - تحقيق العدالة الإجتماعية.
٦ - إقامة حياة ديمقراطية سليمة.

●● وما هو دليلك إلى ذلك يا أستاذ منتصر ؟!

يقول الاستاذ منتصر على صفحات الأهرام فى ٣١ يوليو ١٩٨٣ : «حكاية سمعتها عن قصة حب من طرف واحد هو جمال عبد الناصر، وفتاة جميلة شقراء الشعر، تنتمى إلى أسرة من الباشوات، وكان من عادة هذه الفتاة أن تذهب كل يوم أربعاء إلى سينما ديانا حفل الساعة الثالثة بعد الظهر، عندما كانت دور السينما تقوم بتغيير أفلامها فى ذلك الوقت كل أسبوع .. وكان جمال عبد الناصر حريصاً على أن يكون دائماً على باب السينما كل يوم أربعاء انتظاراً لرؤية الفتاة التى أحبها فى صمت . ثم حدث بعد ذلك أن تقدم جمال عبد الناصر إلى والدها طالباً الزواج من ابنته، ولكن الأب ثار عليه، وربما - هكذا يقول ربما - طرده من المنزل إذ كيف يجرؤ من فى مثل فقره، وسمار بشرته، أن يتقدم للزواج من ابنة الباشا شقراء الشعر»[1]!!

هذه هى الحكاية التى يقول الاستاذ منتصر أنه «سمعها» .. وساقها لنا دليلاً «يقطع» بأن عبد الناصر «كانت لديه عقدة خاصة من الباشوات» .. دفعته بالتالى، إلى أن ينتزع منهم الرتب والألقاب، وأن يصدر ضدهم قانون الإصلاح الزراعى فور نجاح ثورته.

أما متى .. وأين .. وممن سمع الاستاذ منتصر هذه القصة؟!

فيقول الاستاذ منتصر .. «أستطيع بعد أن رويت هذه الحكاية التى ربما تكون قد ذكرت لأول مرة فوق الورق، أن أضع يدى فوق القرآن الكريم، وأقسم عليه أننى سمعت هذه الحكاية من الاستاذ محمد حسنين هيكل فى خلال السنوات الأولى من الثورة، وأننى لم أكن وحدى الذى استمع إليها، ولكن كان هناك زملاء آخرون موجودون حتى اليوم، وكنا جميعاً نضع أقدامنا على أول سلالم العمل الصحفى فى مجلة آخر ساعة التى كان يرأس تحريرها الاستاذ هيكل»[2].

ويرغم أن الاستاذ صلاح منتصر نفسه، كان قد اعترف على صفحات «مجلة اكتوبر»[3] التى يرأس تحريرها الآن، مؤكداً بأن الاستاذ هيكل قال له نصاً .. «أنا لا أستطيع أن أقول بأننى كنت أعرف جمال عبد الناصر قبل الثورة» .. وهى الفترة التى أحب فيها عبد الناصر فتاته الشقراء..!!

ورغم أن الاستاذ هيكل قد قال له أيضاً على نفس الصفحة بأن «أول مرة قابلت فيها عبد الناصر بطريقة دقيقة، كانت فى منزل محمد نجيب يوم ١٨ يوليه ١٩٥٢»[4].. أى قبل اندلاع الثورة بأربعة أيام فقط..

١ - راجع الوثيقة «الأولي» بالملحق الوثائقي في نهاية الكتاب.
٢ - صفحة (٧) من جريدة الأهرام الصادرة في ٣١ يوليه ١٩٨٣ - مصدر سابق.
٣ و ٤ - صفحة (٣٨) من مجلة أكتوبر الصادرة في ٥ يونيه ١٩٨٨.

ورغم أن الاستاذ صلاح منتصر لم يرفع سماعة تليفونه، ويسأل أحد أصدقاء عبد الناصر فى هذه الفترة، عن حقيقة رواية ساقها لنا سنة ١٩٨٣ .. ويقول أنه سمعها منذ ثلاثين عاماً تقريباً .. أى فى الفترة من سنة ٥١ إلى ٥٧ التى رأس فيها محمد حسنين هيكل مجلة آخر ساعة.

ورغم أن واحداً من «أهم» أصدقاء عبد الناصر، وزملاء دراسته قبل الثورة - وهو الاستاذ المستشار حسن النشار الذى ذكر عبد الناصر اسمه فى كتابه «فلسفة الثورة» - قد بادر هو واتصل تليفونياً بالأستاذ صلاح منتصر، ونفى له هذه الرواية حينما نشرها على صفحات الأهرام فى ٣١ يوليه ١٩٨٣.. بل وأبدى له المستشار إستعداده التام لإطلاعه على سر أسرار عبد الناصر فى هذا الشأن .. ويخط يده!!

رغم كل ذلك .. فإن الاستاذ منتصر - من فرط أمانته - أصر على كسر عنق الحقيقة، وساق لنا روايته هذه حتى لا يتخلف عن «المزاد اليومى» لما وصفه له حسنين هيكل «بمرمطة مرحلة بكاملها من تاريخ مصر .. هى مرحلة عبد الناصر» [1] .. وحتى يتخذ من أسمى مشاعر عبد الناصر الإنسانية، والوجدانية، وهى عاطفة حبه لفتاته الأولى .. شماعة، يدمى بأطرافها « المدببه» لحم الصدق، وشرف الدافع ، فى مواقف وإجراءات جمال عبد الناصر ضد الإقطاعيين والباشوات .. ما دمنا على رأى الاستاذ منتصر نفسه «أمام بطل - هكذا يصفه - يحمل ماضيه هذا الجرح العميق من أحد باشوات زمان» [2]..!!

★★★

صحيح أن الاستاذ صلاح منتصر قد أبدى استعداده علناً لأن يضع يده «فوق القرآن الكريم ويقسم على أنه سمع هذه الحكاية ، وعلم بها فى السنوات الأولى لحركة الجيش».. لكنه برغم ذلك، هلل - وقتها- لإلغاء الألقاب، ولم يكتشف أن فتاة شقراء، كانت وراء هذا الإجراء .. إلا بعد أن مات عبد الناصر وشبع موتاً..!!

وصحيح أن الاستاذ منتصر أبدى استعداده أيضاً لأن «يحلف على المصحف» بأنه علم بهذه الحكاية، أثناء حياة عبد الناصر .. وعلم بها أيضاً زملاء صحفيون آخرون، حينما رواها لهم جميعاً الاستاذ هيكل، وقت أن كان هو رئيساً لتحرير مجلة «آخر ساعة» .. وهم «على أول سلالم العمل الصحفى» .

رغم كل ذلك .. فإن عبد الناصر- السفاح، الذى قالوا بأن نصف مصر كان يتجسس على نصفها الآخر فى عهده - من المؤكد أنه علم بذلك .. ولم يقطع رقبة الاستاذ منتصر، ولا رقبة زملاءه من الصحفيين «المبتدئين» وقتها .. ليدفن معهم سر إجراءاته ضد الباشوات وضد الإقطاع ..ولم يقطع أيضاً رقبة محمد حسنين هيكل، الذى لم «يحتكر» الأسرار العليا لنفسه - كما يقولون الآن - وإنما وصل تسيبه «وفلاتة لسانه» فى زمن رعب عبد الناصر إلى حد

١ - صفحة (٤٢) من مجلة أكتوبر الصادرة فى ١٩ يونيه ١٩٨٨.

٢ - جريدة الأهرام فى ٣١ يوليه ١٩٨٣ - مصدر سابق.

تندره ، وإفشائه لأسرار غراميات عبدالناصر نفسه، لشباب ناشئ ومبتدئ، ولا يزال على أول سلالم العمل الصحفي!!..

رغم كل ذلك .. أرسلت إلى الاستاذ الكبير محمد حسنين هيكل، أسأله «كتابة» عن مدى صحة تلك الرواية التى نسبها له الاستاذ منتصر .. فجاءتنى إجابته القاطعة، فى عبارة واحدة تقول : «لم يحدث» !!

***

لا أخفى عليكم أننى حينما أنتهيت من قراءة «اكتشافات» الاستاذ منتصر هذه .. ضربت أخماساً فى أسداس .. وقلت لنفسى : إذا كان الاستاذ منتصر قد اكتشف فجأة، بأن إقدام الثورة على إلغاء الألقاب أو الإصلاح الزراعى، لم يكن كما «أشاعوا» وقتها حباً فى عيون الفلاحين، أو سعياً لتذويب الفوارق بين الطبقات .. وإنما إنتقاماً من باشوات زمان الذى ثار أحدهم على عبد الناصر، وطرده من منزله حينما تجرأ وطلب الزواج من ابنته. فما المانع – إذن – من أن يكون جمال عبد الناصر، قد أقدم أيضاً على تأميم قناة السويس، لأنه «أحب إبنة الخواجة ديلسبس، ورفض الخواجة أن يزوجها له» ؟!!

وما المانع أيضاً .. من أن يكون عبد الناصر، قد خلع الملك فاروق من على عرش مصر .. لأنه خطف من عبد الناصر زمان فتاة أخرى ؟!!

وما المانع أيضاً .. من أن يكون عبدالناصر قد سارع بإجلاء الإنجليز عن مصر، لأن لديه «عقدة خاصة من الفتيات الانجليزيات» ؟!!

ما المانع .. وما المانع .. وما المانع .. مادامت «حركة الجيش – كما يقول الاستاذ منتصر – قد قامت دون ان تكون لها اى فلسفة »؟!!.

أدفع عمرى .. وأعرف الحقيقة..!

***

فى الحقيقة: لم أدفع سوى ثمن «التورتة» التى حملتها معى، ودخلت بها على المستشار حسن النشار فى منزله .. وأنا أقول له :

– كل سنة وحضرتك طيب .. النهارده يوم ٢٣ يوليو.. يعنى ذكرى الثورة التى خطط لها، وقادها صديق عمرك جمال عبد الناصر .. وأكيد حضرتك قرأت ما كتبه الاستاذ صلاح منتصر عن قصة «الفتاة الشقراء» التى أحبها صديق عمرك جمال .. ولم يتزوجها.

قاطعنى الرجل قائلاً [(١)] :

– قبل أن أكشف لك، ولأول مرة، عن حقيقة هذه الحبيبة الشقراء، بخط عبد الناصر نفسه.. دعنى أحكى لك أولاً .. هذه القصة .



---

١ – حوار طويل مسجل بدأ فى ٢٣ يوليو ١٩٨٨ وامتد لأكثر من أسبوع .

٢ - ما عدا السبت والثلاثاء

يعرف بعضكم أن المشير عبد الحكيم عامر، من قرية صغيرة فى محافظة المنيا، إسمها «أسطال».ويعرف بعضكم أن عبد الحكيم عامر، لم يتعرف على جمال عبد الناصر .. إلا أثناء دراسته بالكلية الحربية.

أما أنا : فأعرف جمال، وأصادقه، منذ أن أرضعته أمى على محطة السكة الحديد.. من نفس الصدر الذى أرضعتنى منه.. !!

وفى أغسطس سنة ١٩٥٣ .. أى بعد قيام الثورة بنحو العام تقريباً .. «عزم» عبد الحكيم عامر صديقه جمال لزيارة قريته «أسطال» .. فى قلب الصعيد.

ولما وصل عبد الناصر إلى هناك .. استقبله أهل القرية «الصعايدة» .. بحفاوة بالغة .. فوقف يخطب فيهم شاكراً .. وواصفاً مضيفه عبد الحكيم عامر بأنه «صديق العمر».

هو قالها .. ولم «يخلص منى» ..!!

إنتظرته حتى عاد من الصعيد، ووصل إلى القاهرة.. وأمام عبد الحكيم عامر نفسه، وأمام شيخ المحامين المرحوم عبد العزيز الشوربجى، هو وزميل الدراسة عبد الرؤوف جبريل .. قلت لجمال عبد الناصر :

- بذمتك يا جمال .. مين اللى فعلاً صديق العمر .. أنا ولا عبد الحكيم ؟!

فضحك عبد الناصر، والتفت إلى المرحوم عبد العزيز الشوربجى قائلاً :

- بذمتك أنت يا عزيز .. لو كنت مكانى ساعتها، وبصيت لقيت نفسك وسط الجماعة «بلدياتى» دول كلهم ، ورافعين حواليك البنادق والشوم، وضرب النار شغال فى الهوا ..

كنت تقول لهم إن إبنهم وبلدياتهم حكيم، هو صديق العمر .. ولا تقول لهم حسن النشار ؟! دول كانوا «طخونا » كلنا بالنار .«!!!»

و.. ضحكنا جميعاً من قلوبنا.

★★★

ضحكوا – يومها – جميعاً من قلوبهم .. ناصر .. وحكيم.. والشوربجي .. وصديق العمر لعبد الناصر، حسن النشار.. فهل فينا من يرد الرجل إلى تلك الأيام؟!

لا «والتورتة» التى حملتها إليه هى التى فتحت نوافذه.. ولا أسئلتى الحائرة، هى التى هدت متاريسه.

كان الرجل على «حافة» الكلام :

– هنا .. فى الحجرة الداخلية، لهذا المنزل تعلم منى عبد الناصر لعبة الشطرنج .. وفوق السطح، كثيراً ما كنت أجلس أنا وهو، وعبد الرؤوف جبريل .. هو يدندن بأغنية «جفنه علم الغزل» .. وعبد الرؤوف «يمزك» له بفمه بين مقاطع الأغنية.

هنا ..وفى حديقة هذا المنزل، أخفينا قنابل وأسلحة الضباط الأحرار فى أكوام القش.. وهنا أيضاً، فى داخل هذا الراديو الكبير، أخفيت منشورات عبد الناصر وأوراقه الخاصة.. عن أيدى البوليس.

هنا .. من نافذة هذه البلكونة المطلة على الشارع فى الدور الأرضى، كثيراً ما كان البوسطجى «يناولنى» خطابات جمال عبد الناصر الشخصية، القادمة من منقباد، والسودان، وطنطا، والعلمين.. ومن كل مكان عمل فيه عبد الناصر قبل وبعد الثورة.

وهنا أيضاً : من نفس «البلكونة» .. تقفز إلى الشارع – وفقدته إلى الأبد – القرد الذى كان الملازم الشاب جمال عبد الناصر قد أحضره لى هدية من السودان.. فأخذت له مع القرد الهدية، صورة تذكارية.. لا زلت أحتفظ بها إلى الآن .. (أنظر ملحق الصور في نهاية الكتاب) .

وهنا أيضا: في هذا المظروف الورقي «الكاكى» الاصفر القديم .. لازلت كما ترى احتفظ بهذه المروحة .. التي هى عبارة عن «ريشة نعام» واحده، كان عبد الناصر – وهو ضابط صغير – قد احضرها ايضا من السودان واهداها الي والدتي التي ارضعته من صدرها ـ زمانـ على محطة السكة الحديد!!.

وهنا أيضاً.. على حائط حجرة الصالون، لازلت كما ترى أيضاً، أحتفظ بسجادة «الصلاة» الوحيدة، فى مصر التى رسم الإيطاليون عليها صورة جمال عبد الناصر، واستوردها من هناك – فى بداية الثورة – الصديق أبو المجد التونى، الشقيق الثالث لشوكت

التونى المحامى، الذى ترافع عن مصطفى أمين فى عهد السادات.

وكانت هيئة الجمارك فى مطار القاهرة، قد احتجزت «كل» كمية السجاد التى وصلت من إيطاليا.. ورفضت أن تفرج عنها إلا بإذن صريح من الحكومة ..

ولما جاءنى أبو المجد لأتوسط له عند عبد الناصر حتى يأذن بالإفراج، عن سجاد الصلاة المرسوم عليه صورته.. رفض عبدالناصر وساطتى، وأمر بعدم دخول أى سجادة منها إلى مصر.

وكنت قد حصلت على واحدة منها «كعينة» من أبو المجد التونى.. فاحتفظت بها إلى الآن على حائط حجرة الصالون.. ذكرى شاهدة على أن جمال عبد الناصر فى حقيقته لم يكن يحب «النفاق» ولم يكن يحب «الواسطة» .. حتى ولو جاءت من «صديق عمره».

●● سيادة المستشار حسن النشار: دعنا من فضلك نرجئ السفر إلى كل هذه المحطات المجهولة فى علاقتك بعبد الناصر .. وأرجوك ردنا أولاً إلى ما سردته حول ما حدث لكم فى قرية «أسطال» .. فإذا كنت قد أردت بسرده أن تؤكد لنا «عمق» الصداقة التى ربطت بينك وبين جمال عبد الناصر .. فلا تنسى أن هذه الصداقة تلقى على عاتقك مسئولية نفى أو تأكيد كثير من «الأقاويل» التى ينسبها البعض لصديقك عبدالناصر.. وأغربها قصة «بنت الباشا الشقراء» التى قال صلاح منتصر - على صفحات الأهرام - بأن عبد الناصر أحبها زمان .. وأن والدها الباشا رفض أن يزوجها له .. فاقتص صديقك من كل الباشوات، وأمر بالغاء الرتب والألقاب!

إنتفض الرجل من مقعده .. قام إلى الدولاب الوحيد فى الحجرة .. أخرج منه «كومة» من الأوراق والخطابات القديمة.. ووضعها أمامى .. ثم عاد يقول :

- ستعرف حالاً كل الحقيقة.. وأنا شخصياً حينما قرأت هذه الأكاذيب .. اتصلت بكاتبها تليفونياً، وطلبت منه تصحيح ما نشره، بعد أن عرضت عليه زيارتى فى منزلى .. لإطلاعه على ما كتبه عبد الناصر بخط يده فى هذا الشأن.. لكنه للأسف لم يحضر .. ولم يصحح ما نشره .. حتى الآن.

صحيح أن عبد الناصر، كان قد إئتمنى وحدى على سر أسراره الشخصية فى هذا الخطاب.

وصحيح أننى كنت قد عاهدت نفسى ألا أطلع أحداً عليه، أو على غيره من الخطابات التى تحمل أسراراً عائلية أو شخصية لعبد الناصر .. إلا أن الأكاذيب التى يختلقونها بين وقت وآخر، للنيل من الرجل بعد وفاته، تدفعنى الآن إلى أن أضع الحقيقة - من خلالك - أمام الكل، وأمام التاريخ .. خصوصاً بعد أن فشلت كل محاولاتهم المتكررة للنيل من الرجل

سياسياً، فراحوا يوجهون سهامهم أخيراً.. إلى مسلكه الشخصى .

و .. هذا الخطاب .. هو الخطاب «الوثيقة» الذى كتبه عبد الناصر لى بخط يده فى عصر (٢٨) مايو سنة ١٩٣٩ .. ويحكى فيه عن حقيقة علاقته ببنت الباشا المزعوم«!!».

★★★

ارتعشت أصابع الرجل، وهو يفرد الخطاب.. حمله بين أصابعه فى عناية شديدة.. ناوله لى، وكأنه يناولنى طفله الذى جاءه حالاً إلى الدنيا .. تناولته برفق، وبصوت مسموع رحت أقرأ :

«عزيز حسن..

أبلغك سلامى، وأرجو أن تكون بخير، وماشى فى الإمتحان زى الجدع.

لم أرك من مدة طويلة، ولا أعرف للآن هل هذا ذنبى أم ذنبك؟ أم ذنبنا نحن الأثنين .. زى ما تشوف.

وقد سمعت من عبد الرؤوف جبريل أنك متأثر وزعلان لخلف الميعاد، ولكننى أحب أن أقول لك : إلغى كل ما يدور بخلدك.

فى هذا اليوم كان تأخرى لحضور عمى .. وعبد الرؤوف مر فى الميعاد، وأظنك تستغرب إذا قلت لك أنى لم أر عبد الرؤوف من يوم شم النسيم إلا مرة واحدة، وسأقول لك يا أستاذ عن السبب .. ويمكن تكون عرفته بالتخمين.

أظننى قلت لك بأننى عزلت إلى شارع زغلول رقم (١) بالظاهر .. وبينما كنت أتجول فى أحد الأيام وجدت « ...... هانم» وطبعاً أظنك تقدر تعرف إيه اللى جرى لى فى تلك الساعة، ومن يومها. وأنا أبحث عن منزلها فى الظاهر.. حتى عثرت عليه أخيراً، بعد جهد ، وهو يقع فى شارع الخليج أمام سينما فكتوريا.

وبما أنه عندى عمل بعد الظهر فى يومى السبت والثلاثاء، فإننى أمتع نظرى باقى أيام الأسبوع .. ويشهد الله بأنى لم أحاول تتبعها، ولا معاكستها، حتى أنزه نفسى عن عبث الشباب الحديث.. وحتى لا يقال عنها القيل والقال، وأظن أن هذا يا أستاذ ما عاقنى عن السؤال عنك .. ولا مؤاخذه.. وإن شاء الله أقابلك قريباً، ونشوف مين فينا يغلب التانى ويجيب الحق عليه.

وقد سألت عنها فعرفت أنها فى مدرسة الفنون الطرزية بشبرا، وأن لها أختان أكبر منها، وأنها لا يمكن زواجها إلا بعد زواجهما.. وإنى أعمل كل جهدى الآن حتى أنقل لمصر، وعشمى أن يصلنى منك جواب على سلاح الإشارة قريباً، وإن شاء الله بعد الامتحان بتاعك

سأضايقك من الزيارات. سلامى إلى الست الوالدة والسيد الوالد والأخوة طبعاً.. وتقبل سلام وقبلات :

«جمال عبد الناصر» [1]

★★★

تقبل سلام وقبلات جمال عبد الناصر.

تقبلها .. يا كل من تملك النية « الصادقة » لمعرفة الحقيقة.

تقبلها .. وتأمل معنى خطابه .. الذى كتبه بخط يده، فى عصر (٢٨) مايو سنة ١٩٣٩.. أى وهو يبلغ من العمر (٢١) عاماً، وأربعة أشهر، وثلاثة عشر يوماً .. بالضبط «!!»

لم يكن يعرف وقتها أنه سيصبح «قائداً للعروبة»!

ومع ذلك .. حينما عثر يوماً على فتاته « لم يحاول تتبعها أو معاكستها.. حتى ينزه نفسه عن عبث الشباب الحديث » !!

لم يكن يعرف وقتها أننا سنحصى عليه، حتى أنفاسه، ومع ذلك أكتفى بأن «يمتع نظره» من بعيد .. حتى لا يعرض سمعة حبيبته «للقيل والقال» .

كان لا يزال وقتها شاباً عادياً ككل الشباب .. لم يكن مطلوباً منه - وقتها - أن يكون نبياً، أو راهباً، أو متبلد العواطف، والمشاعر الوجدانية.

فهو له قلب .. وأحاسيس .. وغرائز بشرية.

والشباب فى مثل هذه السن، يعاكس، ويشاكس، ويلاحق الفتيات .. ولو فعل وقتها ما فعله معظمنا فى هذه السن .. ما لامه أحد.

لكنه.. كان محباً من طراز نبيل .. وفينا من يدرك معنى النبل.. والمسئولية .. واليتم المبكر.

فينا من يدرك معنى ألا ينطق باسم فتاته .. إلا مقروناً بصفة «الهانم».

وفينا من يدرك معنى أن يحترم الشخص نفسه.. ويحترم الآخرين.

يقول عبد الناصر للمجاهد الكبير فتحى رضوان :

- لا أذكر أننى استعملت يدى أو هممت باستعمالها فى شجار إلا مرتين:

الأولى : كانت شروعاً فيه .. وذلك عندما تحرر ضدى محضر مصادمة بين سيارتى وسيارة أخرى، وكان الخطأ من صاحب السيارة الأخرى، وقد أدهشنى أن النيابة اتهمتنى،

---

١ - صورة الخطاب بخط وتوقيع عبد الناصر فى الملحق الوثائقى للكتاب «الوثيقة الثانية» .

وقادتني إلى المحكمة، وزادت دهشتي عندما وقف محامي الخصم، وهو المخطئ .. وأطلق للسانه العنان في تعنيفي وتجريحي .. وقد احتملت كل ذلك الهجوم في قاعة المحكمة، فلما خرجنا .. انتظرت المحامي، وبودي أن أعطيه علقة ساخنة، لأنه كان صورة مشوهة للمحامي.. وظهر المحامي سعيداً وخالي البال، دون أن يدري ما ينتظره .. فأخذتني به الشفقة.

ولما اقترب منا .. وجدت حكيم – أي عبد الحكيم عامر – يجرني إلى خارج المحكمة، ومنعني فعلاً، إذ لو ضربت المحامي لبقيت إلى الآن خجلاً من نفسي .

والمرة الثانية : كنت يومها في السينما، أنا وعبد الحكيم أيضاً .. وكان إلى جوارنا عدد من الشباب الأرزال، أفسدوا علينا متعة مشاهدة الفيلم .. فقد كانت تعليقاتهم فجة ومقززة.

ورغم أنني نظرت إليهم مراراً، ليكفوا قليلاً عن هذه التعليقات .. فإنهم لم يلقوا بالاً بنا أو بغيرنا.

ولهذا .. لم يكن أمامي إلا أن انتظرهم أنا وعبد الحكيم خارج السينما .. وما كدت أرى أكبرهم، وأوقحهم، حتى هبشت فيه هبشة عنيفة .. ورحت أكيل له الضربات من كل اتجاه.

و .. في نفس الوقت : كان عبد الحكيم ، يفعل مثلي مع شخص آخر .. أما الباقون فقد هربوا بجلدهم.

وأؤكد لك .. أني نمت ليلتها مستريحاً . ذلك لأن هؤلاء الأوغاد آذوا مشاعر السيدات اللواتي كن يجلسن بالقرب منهم إيذاءً شديداً.

وبالطبع : كانت هذه العلقة التي أعطيناها لهم تعويضاً لنا عن الفيلم » [1] .. !

★★★

هذا هو «الشاب» جمال عبد الناصر «بعظمة لسانه» .. لكن الاستاذ منتصر يروج غير ذلك على صفحات الأهرام.

●● يروج أن جمال عبد الناصر «أحب فتاة شقراء الشعر تنتمي إلى أسرة من الباشوات».. في حين أن خطاب عبد الناصر نفسه ليس به – كما ترون – حرفاً واحداً يفهم منه أن فتاته «تنتمي إلى أسرة من الباشوات» كما يروج الاستاذ منتصر .. فهي تسكن في حي الظاهر، وتعمل مدرسة في مدرسة الفنون الطرزية بشبرا .. وتتجول دون الحراسة التقليدية لبنات الباشوات .. ويمكن تتبعها ومعاكستها، دون خوف من والدها الباشا – المزعوم – لولا أن عبدالناصر هو الذي أراد أن ينزه نفسه عن «عبث الشباب الحديث» .

---

١ – صفحة (٢٨٩) من «٧٢ شهراً مع عبد الناصر» لفتحي رضوان .

ويستطيع السيد صلاح منتصر - أيضاً - أن يراجع بنفسه وفيات جريدة الأهرام فى ١٧ مايو سنة ١٩٧٠ .. ليتأكد جيداً بأن - فلانه هانم - أول من خفق لها قلب عبد الناصر، و .. «فقيدة عائلة الصدر» لم تنتسب من قريب أو بعيد إلى أسرة من الباشوات .. فهى «حرم أستاذ بكلية المعلمين، وشقيقة عميد متقاعد بالقوات المسلحة، وعميد سابق بكلية الفنون التطبيقية، وحرم قبطان، ودكتور مهندس، ومفتشتين بالتعليم، وسفير بالجزائر، و .. لم يذكر النعى أى شئ بالمرة عن والد الفقيدة» .. !! «راجع صورة النعى بملحق الوثائق» .

وبديهى أن المركز الاجتماعى لوالد الفقيدة، لو كان من المراكز أو الوظائف الأهم .. لكان قد سبق فى سطور النعى، وظيفة «الزوج، والأشقاء، والشقيقات .. وأزواج الشقيقات» ..!!

●● ويروج الاستاذ صلاح منتصر أيضاً : أن فتاة عبد الناصر .. «كان من عادتها أن تذهب كل يوم أربعاء ، إلى سينما ديانا، لمشاهدة حفل الساعة الثالثة بعد الظهر .. وكان جمال عبد الناصر حريصاً على أن يكون دائماً على باب السينما كل يوم أربعاء، إنتظاراً لرؤية الفتاة، التى أحبها ... فى صمت» .. فى حين أن خطاب عبدالناصر نفسه ليس به حرفاً واحداً يؤكد صحة ما سبق .. فالسينما هى سينما «فيكتوريا» .. وليست «ديانا» .. والفتاة لم يكن من عادتها أن تذهب إلى السينما فى الثالثة بعد ظهر الأربعاء من كل أسبوع.. وإنما منزلها هو الذى يقع - بالصدفة - أما السينما مباشرة .. ولهذا فإن عبد الناصر، فى أجازته «لا يمتع نظره» يوم الأربعاء فقط كما قال الاستاذ منتصر .. وإنما كل أيام الأسبوع فيما عدا يومين أثنين «عنده فيهما عمل بعد الظهر» .. وهما يوما السبت .. والثلاثاء ..!!

●● ويروج الاستاذ منتصر أيضاً: أن عبدالناصر تجرأ وتقدم لخطبة فتاته من أسرتها .. إلا أن والدها الباشا «ثار عليه .. وربما طرده من المنزل» .. مما أحدث «جرحاً عميقاً» فى نفس عبد الناصر، وترك لديه « عقده خاصه » من الباشوات .. دفعته بعد الثورة إلى أن يقتص منهم جميعاً بإلغاء الألقاب "!!" .. فى حين أن خطاب عبد الناصر نفسه يؤكد أنه لم يتقدم لخطبتها رسمياً .. وإنما «سأل عنها» .. فعرف أن « لها أختان أكبر منها .. وأنه لا يمكن زواجها إلا بعد زواجهما ».

هذا كل ما فى الأمر .. !!

★★★

عفواً .. هذ ليس كل ما فى الأمر.

فعبد الناصر يعترف فى خطابه بأنه انتقل إلى حى الظاهر .. وبينما كان يتجول به فى أحد الأيام «وجد» فتاته، التى يعرفها بالاسم.

ويعترف أيضاً .. بأن صديق عمره حسن النشار «يستطيع أن يعرف ماذا جرى له عندما

رآها» .. وهو ما يقطع بأن جمال عبد الناصر، كان يعرف «فلانه هانم» قبل أن يقابلها – فى هذه المرة – وهو يتجول صدفة فى حى الظاهر .. وأن صديقه حسن كان يعرف هو الآخر .. قصة حبهما.

فما هى – بالضبط – تفاصيل .. التفاصيل .. ى هذه القصة «؟!!» .



٣ - و .. لاحظت اللجنة

حضرات الركاب ..

نأسف لصفير القطار .

نأسف لأن الصفير - كما ترون - أقرب إلى «شخير» النائم .. الذى وصل متأخراً إلى عصر البخار.

نأسف لأن القطار، لا يشأ أن يتحرك من منتصف الرواية.

لا يشأ أن يتحرك ويأخذنا إلى أدق التفاصيل فى «قصة المرأة التى أحبها جمال عبد الناصر» .. إلا من محطة البداية.

محطة والده : عبد الناصر أفندى.. وكيل البوسطة.

★★★

إسمه : عبد الناصر حسين خليل سلطان.

ولد - سنة ١٨٨٨- فى قرية صغيرة من قرى الصعيد البعيد .. إسمها «بنى مر».

وتجمع معظم المصادر التاريخية القديمة، على أن كل أسماء الأماكن التى تبدأ بكلمة «بنى» .. مثل بنى مر، وبنى مزار، وبنى قرة، وبنى سويف .. هى كلها أسماء لأماكن استوطنتها قديماً قبائل عربية خالصة .. كانت تحمل نفس الاسم أو مشتقاته.

وتحتمل بعض المصادر الأخرى، أن قريتنا هذه ، يعود إسمها إلى جماعة من الفرسان العرب، عسكروا أثناء الفتح العربى لمصر، على بعد ثلاثة كليومترات إلى الشمال الشرقى

من مدينة أسيوط .. التى لا يعرف الكثيرون منا، أنها هى الأخرى مسقط رأس الفيلسوف اليونانى الشهير أفلاطون.

ولا يعرف الكثيرون أيضاً : بأن تلك المدينة العريقة .. بنى عليها «أخناتون» منذ أربعة آلاف سنة، عاصمته الشهيرة «أخيتاتون» وأتخذها مقراً لحكمه .. ورمزاً لوحدة مصر العليا والسفلى.

والغريب أن «المقريزى» فى وصفه الجغرافى لمصر .. حينما أراد أن يحدد موقع «دير القديس فيكتور» استخدم اسم قرية «بنى مر» .. وأهمل اسم مدينة «أبنوب» التى هى أقرب إلى ذلك الدير .. وهو ما يمكن أن نستنتج منه أن هذه القرية الصغيرة، ذات الاسم العربى القديم .. كانت فى هذه الفترة معروفة أكثر من «أبنوب» التى أصبحت فيما بعد مدينة كبيرة، ومركزاً يتألف من عدة قرى صغيرة .. إحداها قرية «بنى مر».

★★★

مآذن مساجد «بنى مر» الثلاثة، وكنيستها القبطية الوحيدة .. تتداخل مع أشجار النخيل المرتفعة فوق بيوت القرية.

معظم البيوت، لا تختلف كثيراً عن العشش والأكواخ .. .. فيما عدا القليل من بيوت العائلات الميسورة.

حاكم أسيوط، أو مدير ناحية «أبنوب» .. لم يكن – وقتها – يتذكر قرية «بنى مر» الصغيرة .. إلا عند «جباية» الضرائب، أو عند حلول الدور على أحد أبنائها لتأدية الخدمة العسكرية .. فلا مستشفى بها، ولا نقطة شرطة، ولا حتى مدرسة حكومية واحدة.

وكيف يمكن أن يكون فى «بنى مر» مدرسة.. وهى التى لا يزيد عدد سكانها – فى ذلك الوقت – على خمسة آلاف نسمة، ربعهم من الأقباط .. بينما مدينة «أسيوط» التى يزيد عدد سكانها على (٣٩) ألف نسمة .. لا يوجد بها كلها مدرسة ابتدائية واحدة . اللهم إلا مدرسة وحيدة خاصة بالأقباط، وكانت لحسن الحظ – تستقبل تلاميذ المسيحيين والمسلمين على السواء ..!؟

★★★

كان ذلك هو حال قرية «بنى مر» فى سنة ١٨٨٨ .. أى فى وقت أن ولد بها عبد الناصر أفندى .. وكيل البوسطة.

كان ذلك هو الحال .. وقت أن كان الانجليز يشرفون على التعليم فى كل «البر المصرى».

أما إذا أردت أن ترى – بالمناسبة – حال «بنى مر» الآن .. فسيصبح عليك أن «تخطف

رجلك» إلى مدينة أسيوط، ثم تلقى بنفسك - هناك - فى أى سيارة أجرة تعمل «على الخط» فى نقل الركاب «بالنفر» .

وبعد أن يفرغ السائق من شرب الشاى .

وبعد أن يفرغ أيضاً من شرب الشيشة أو «الجوزة» .

وبعد أن يفرغ من «حشر» أكبر عدد ممكن من الركاب .. فى سيارته.

بعدها .. سيتكرم السائق ويتحرك بالسيارة إلى شرق أسيوط.

سيتجه شرقاً .. ليعبر بك كوبرى ضيق، يختنق بالناس وبالعربات، وبضجيج الباعة.

سترى قناطر أسيوط، وهى تمد أذرعها بعرض النيل، ليمر من فوقها آلاف السيارات العابرة يومياً.

وسترى أيضاً .. فرشاة الفنان، وقد إمتدت هى الأخرى، باللون الأخضر على جانبى النيل .. ذلك النهر الخالد الذى لم يكل أو يمل من السريان والعطاء منذ آلاف السنين.

وعند نهاية القناطر .. ستتوالى المشاهد أمامك وأنت تتجه يميناً .. سترى باعة الفاكهة يفترشون الأرض على جانبى الطريق .. وسترى «أكشاك» السجائر، والمثلجات، والمقاهى البوص، و «الدكك» الخشبية، وعشرات من سيارات الأجرة المكدسة - أثناء الرجوع - بالطلاب القادمين، أو الذاهبين إلى مدارس وكليات جامعة أسيوط.. بعد زيارة الأهل فى القرى و «النجوع».

وبعد أن تمر - على يمينك - بعدد من المزارع والحقول .. سيتوقف بك السائق عند مدخل الطريق المؤدى إلى القرية.

وعند المدخل ستملأ عينيك «لافتة» شامخة وسط الحقول ، عليها صورة لجمال عبد الناصر .. وبجوارها كلمات تقول :

●● بنى مر .. إحدى قرى مركز أبنوب والفتح .

●● بنى مر .. بلد الزعيم الخالد جمال عبد الناصر، الذى قاد ثورة (٢٣) يوليو، والذى أعاد للمصريين كرامتهم، والذى رفع شعار «إرفع رأسك يا أخى فقد مضى عهد الاستعباد».

●● نرحب بك .. فى بلد ابن مصر الخالد .

●● نرحب بك .. على أرض مركز أبنوب والفتح .

★★★

نرحب بك .. فتتوهج فى ذاكرتك، أيام البناء .. والكبرياء، وشموخ الثوار.. وكأن الحقول، والمداخن، ومدارس الأطفال .. لازالت تغنى من حولك لجمال .. حبيب الملايين.. ..

للنور طالعين، للخير جايين .. يا جمال، يا حبيب الملايين .

وعلى يسار الطريق: ستراه - أيضاً - وحيداً .. وقعيداً .. ومهجوراً حتى الآن .. ذلك هو حجر الأساس الذى كانوا قد سارعوا - زمان - بإرسائه، إيذاناً بالبدء فى بناء (٢٥٠) بيتاً ريفياً حديثاً، يتوسطها «فيللا» أنيقة تليق برئيس الجمهورية .. وهو ما سموه وقتها - على الورق - بمشروع قرية «بنى مر» النموذجية .. والتى ذهبوا إلى جمال عبد الناصر، يزفون له وقتها، خبر البدء فى بنائها .. «لأن العديد من السياح والصحفيين الأجانب يريدون رؤية بيت الزعيم وقريته».

وقتها .. تغير لون جمال عبد الناصر .. وقال لكل من حوله :

- جرى إيه يا جماعة .. العظمة هى أن يرانى من يريد كما أنا، بلا تزويق .. فأنا جمال عبد الناصر، ابن بنى مر .. أفخر بأن عائلتى لا تزال تعمل وتزرع فى القرية .. وأفخر أكثر من هذا بأنى من عائلة فقيرة .. أقول هذا لأسجل أن جمال سيستمر حتى يموت فقيراً فى هذا الوطن.. أوقفوا كل شئ .. لأننى لو لم أكن رئيساً للجمهورية، ما كنتم قد أظهرتم كل هذا الإهتمام بقريتى .. وأنا أرفض لى أو لعائلتى أو لقريتى، أى ميزة ترتبط بمنصبى .. قريتى هى كل القرى فى مصر .. واهتمامى لا يجب أن يقتصر على قرية واحدة.. دون غيرها[1] ..!!

لهذا .. لا يزال حجر أساس مشروع قرية بنى مر «النموذجية» .. وحيداً.. وقعيداً .. وشاهداً على أن قرية جمال عبد الناصر، لم تكن «بنى مر» وحدها.

لم يخصها دون غيرها، بالبيوت «الحجرية» .. والأسفلت .. وبالسخانات الشمسية .. وإنما امتد بصره إلى كل القرى المصرية، بالمدارس .. والجمعيات الزراعية .. والكهرباء .. والساحات الشعبية .. والمستشفيات .. ومياه الشرب «النقية»..

أما بيته هناك .. فى بنى مر .. فلن تجده قد تحول - كما فعل السادات فى ميت أبو الكوم - إلى استراحة ريفية أنيقة، محاطة بالمدافع والرشاشات..ومزودة بمطار صغير للطائرات «الهليوكبتر» .. يحط عليها فى عيد ميلاده كل عام، ليجلس فى حديقتها - بالعباءة والبايب - أمام عدسات التليفزيون، ويتحدث إلى «إبنته همت .. عن حجرة الفرن»..!!

لن تجد بالطبع شيئاً من ذلك .. ستجد بيت جمال عبد الناصر لا يختلف فى شئ عن كل بيوت القرية .. قاعة للنوم، وحجرة للفرن .. ومندرة للضيوف .. ومصطبة للجلوس .. وزريبة للبهائم .. وسلم طينى متآكل يؤدى إلى سطح البيت، حيث القش، والحطب، وبلاليص المش، والجبن القديم.

---

١ - صفحة (٨٢) من كتاب «جمال مصر» . تأليف : نجاح عمر - ١٩٧٢ .

★★★

هنا ولد عبد الناصر أفندي .. وكيل البوسطة.

وهنا أيضاً .. تلقى فى «كتاب» الشيخ أحمد قراعة، دروس الهجاء .. وحفظ القرآن.

ولما أحس والده – الحاج حسين خليل سلطان – باستعداده الطيب لمواصلة التعليم .. ألحقه بمدرسة أسيوط القبطية..

وبالطبع لم يكن من السهل على الحاج حسين، إعالة ستة من أبنائه، هم عبد الناصر، وخليل، وسلطان، وعطية، وطه، وعبد الباسط.. إلا أن أكبرهم عبد الناصر، أراح والده كثيراً، حينما أنهى دراسته الابتدائية دون تعثر.. وأصبح موظفاً حكومياً فى هيئة البريد .. حيث أرسلته الهيئة، ليبدأ حياته العملية وكيلاً لمكتب بريد حى «باكوس» بالاسكندرية.

وهناك .. تزوج عبد الناصر أفندى فى سنة ١٩١٧ .. من فتاة «بلدياته» إسمها فهيمة.. إبنة المقاول المعروف محمد حماد، الذى كان قد نزح من مدينة «ملوى» بمحافظة المنيا .. وأقام فى الاسكندرية.. حيث عمل بها فى تجارة الفحم وتوريده ..

تزوج عبد الناصر أفندى، من الست «فهيمة محمد حماد» .. واستأجر لها منزلاً فسيحاً «من بابه» .. هو المنزل رقم (١٢) شارع الدكتور قنواتى بحى «باكوس» الاسكندرية.

ولهذا المنزل – هو الآخر – حكاية ..

★★★

بعد وفاة جمال عبد الناصر بأيام قليلة، رأينا كلنا رئيس الجمهورية الجديد محمد أنور السادات، وهو «ينحنى» أمام «تمثال» عبد الناصر فى مجلس الشعب إمعاناً فى إظهار الوفاء والإجلال.

رأينا كلنا ذلك على شاشة التليفزيون .. يومها.

وفى نفس هذه الجلسة الشهيرة .. رأينا أيضاً الرئيس السادات وهو يصفق بشدة، لقرار أصدره المجلس بالإجماع .. ويقضى بتحويل المنزل الذى استقبلت فيه «الست فهيمه» طفلها الأول جمال عبد الناصر .. «وهو المنزل رقم ١٢ شارع الدكتور قنواتى بالاسكندرية، إلى متحف قومى، يليق بوفاء الأمة، لابن مصر الخالد، الذى ولد فى هذا المنزل، وشهدت حجراته، ومحتوياته ومبناه، سنوات طفولته الأولى وصباه».

ومن يومها – ومن فرط وفاء الأمة لأبنائها – ظل المنزل طوال عصر السادات .. مهملاً، ومهجوراً ومسكناً للزواحف والحشرات!!

ولما رحل السادات .. تذكرت – مشكورة – لجنة الثقافة والإعلام بالمجلس المحلى

للاسكندرية، بأن هناك منزلاً، ومتحفاً، وقراراً .. وكلاماً كثيراً عن الوفاء والإكبار«!!».

وتذكرت اللجنة أيضاً .. أن هناك «مذكرة وردت إلى المجلس من أهالى شارع الدكتور قنواتى بباكوس، يطالبون فيها بالتطوير، والترميم، والعناية اللائقة بالمنزل، الذى ولد فيه الزعيم جمال عبد الناصر، بدلاً من تركه هكذا مهملاً .. ومهجوراً»!!.

وفى (٤) ديسمبر ١٩٨٦ .. إجتمعت اللجنة فجأة، لبحث هذه المذكره - التى وردت من أهالى الشارع ! - وأسفر البحث فى النهاية عن تقرير رسمى قالت فيه اللجنة، أنها «قامت بزيارتين لمعاينة المتحف على الطبيعة، ولكنها كانت تجد المتحف أو المنزل مغلقاً فى كل مرة.. لعدم وجود مسئول..!!

وفى الزيارة الثالثة .. لاحظ أعضاء اللجنة - كما يقول التقرير - مدى الحالة السيئة والإهمال الشديد الذى يعانى منه المنزل، ومحتوياته المتناثرة، والذى لا يليق بمكانة جمال عبد الناصر وتاريخه !!

كما لاحظت أيضاً.. أن المنزل يحتوى على أثاث قديم، ومهمل .. تشك فى أنه يخص الزعيم .. وكذلك أربع صور فوتوغرافية للقائد الخالد جمال عبد الناصر وهو فى الحكم .. ولا توجد بالمنزل أية سجلات، أو بيانات رسمية.

كما أن المنزل، أو المتحف غير معروف للجميع من أهالى المنطقة، بسبب عدم وجود أية لوحة أو لافتة تشير إلى طبيعة المنزل وأهميته التاريخية.

وهو الآن .. أقرب إلى فيللا مهجورة، محاطة بسور حديدى أكله الصدأ .. ويحتوى على خمس غرف وصالة وبدروم وحديقة بها عدد من الأشجار التى مازالت مورقة ومخضرة .. وبحديقة المنزل أيضاً كشك خشبى كان مخصصاً لأحد الخفراء .. لكنهم سرعان ما سحبوا الخفير .. ونسوا الكشك» !!.

وفى نهاية التقرير .. أوصت اللجنة بعدد من التوصيات .. أقر المجلس المحلى بالاسكندرية، أربعاً منها تقول :

أولاً : تتولى وزارة الثقافة مهمة الإشراف على المنزل - المتحف - كجهة مختصة بعدأن تقوم محافظة الاسكندرية بترميمه جيداً.

ثانياً :تقوم وزارة الثقافه بالبحث والإتصال بالهيئات الثقافية والإعلامية المعينة، لرصد وتجميع كل ما كتب عن الزعيم الراحل بالعربية أو الأجنبية .. سواء فى شكل كتب أو أبحاث، أو مقالات، أو دراسات، أو تحقيقات صحفية، بالإضافة إلى تجميع كل أقواله، وخطبه فى المناسبات المختلفة، وتجميع كل الصور الفوتوغرافية، التى تعكس مراحل حياته، منذ طفولته، وحتى وفاته .. وكذلك الشرائط والأفلام التليفزيونية والسينمائية، والأغنيات

الوطنية، التى تغنت بنضاله وأعماله .. على أن توضع جميعها فى منزل الزعيم.

ثالثاً: إقامة تمثال نصفى للزعيم الخالد جمال عبد الناصر يوضع بمدخل المنزل.

رابعاً : اعتبار المنزل متحفاً قومياً عاماً .. والتوجه لدى هيئة الآثار القومية، ومخاطبتها فى هذا الشأن» [١].

★★★

مرة ثانية : يقررون على الورق فقط «اعتبار المنزل متحفاً قومياً» ..!!

مرة ثانية : وكأن مجلس الشعب لم يقرر ذلك منذ ١٩ عاماً.. وكأن السادات لم يصفق بشدة - سنة ١٩٧٠ - لنفس هذا القرار.

شخص واحد فقط .. هو الذى لم يفهم - وقتها - معنى التصفيق .. ذلك الشخص هو ممدوح سالم، حينما كان محافظاً للاسكندرية.. حيث سارع وقتها بزيارة المنزل، وأشرف على طلائه، وتزيين نوافذه بالأعلام واللافتات .. !!

وفى الذكرى الأولى لرحيل جمال عبد الناصر.. خرجت من نفس المنزل الذى شهد مولده .. شعلة رياضية، اخترقت شوارع الاسكندرية، ووصلت إلى استاد القاهرة.. الذى كان يسمى وقتها باستاد «ناصر» الرياضى.

وفى الذكرى الثانية للرحيل .. كانت العجلة قد بدأت بالدوران فى الإتجاه المضاد.. فى اتجاه اسرائيل .. وأمريكا.. والسير على طريق عبد الناصر .. بالأستيكه «!!»

لهذا .. تغير كل شئ، وانقلب حال البيت .. وتكدست فى الشارع كله أكوام القمامة..!!

انقلب حال البيت .. فأصبح الباقون على قيد الحياة من جيران عبد الناصر أفندى وكيل البوسطة، لا يجدون فارقاً كبيراً بين «حال البيت» حالياً .. وحال «اليوم» الذى ولدت فيه الست فهيمه طفلها الأول جمال.

●● كيف ..؟!

- تعالوا نرى ..



١ - لمزيد من التفاصيل : راجع محضر اجتماع المجلس المحلى لمدينة الاسكندرية - جلسة (٢٩) يولية ١٩٨٧ .. وكذلك قراره الصادر في نفس الجلسة ، بتفويض لجنته الدائمة للعمل بهذه التوصيات .
وراجع أيضاً : تقرير ومحضر اجتماع لجنة الثقافة والإعلام بالمجلس - جلسة (٢٤) ديسمبر ١٩٨٦ .

٤ - حتى الحمار فى مصر ..؟!

هذا هو اليوم السادس من شهر «طوبه».

وطوبه - فى كل الحروف المكتوبة - هو الذى يرغم الفقراء فى كل مكان، على الإنكماش فى جلودهم .. أو فيما يبيتون فيه من بيوت .. وأحزان .

وأحزان الفقراء، وبيوتهم - كبطونهم - فى أى بلد محتل، دائماً خاوية .. إلا قليلاً..

★★★

هذا هو اليوم السادس من شهر «طوبه».

حبات المطر .. والخطر ..وأوجاع البشر فى «بر مصر» .. مازالت تساقط معاً .. فتبتل.. وتعتل .. وتتداخل سطور وحروف الجرائد «المفروشة» على زجاج النوافذ فى حى «باكوس» بالاسكندرية.

حبات المطر .. والخطر .. وأوجاع «الولادة» .. تساقط معاً على زجاج نافذة الست «فهيمة» .. كدقات الطبول.

صوت سيد درويش، يتداخل هو الآخر مع نقرات المطر على زجاج النافذة.

كل الذين تجمعوا حول المولود الجديد .. قالوا له مع سيد درويش :

قوم يا مصرى ∴ مصر أمك بتناديك

قوم يا مصرى ∴ نصرى دين واجب عليك

كلهم غنوا .. وهم يعرفون مسبقاً الاسم الذى سيطلقه عبد الناصر أفندى .. على

طفله الأول.

وكلهم أيضاً : كانوا يعرفون أن الرجل - ككل الآباء الصعايدة - كثيراً ما تمنى أن يكون مولوده القادم «ذكراً» .. وكثيراً ما سماه في خياله «جمال».

ربما .. لأن «المعيشة» وقتها، كانت خالية من أي جمال .. !!

★★★

هذا هو اليوم السادس من شهر «طوبه».

وطوبه - في كل كتب الجغرافيا - هو أشهر شهور الشتاء في «بر مصر».. مطراً .. وبرودة.!.

لهذا ... فإن الست فهيمه - مثل زوجها - مازالت في غاية الحيرة. !!

هل تدفع عن طفلها خطر البرد، أم خطر الجوع.. أم خطر الكوليرا، والطاعون .. والحرب التي لا ناقة لهم فيها ولا يحزنون.

هذه جريدة تقطع .. بظهور «ثلاث إصابات جديدة بالكوليرا، خلال الخمسة عشر يوماً الأخيرة بين العمال والريفيين، الذين عادوا أخيراً من خدمة جيوش الحلفاء في الحرب» (١).

وهذه أخرى تحذر أهالي الريف من «ظهور مرض الطاعون البقري منذ أيام في بعض القرى التابعة لمركز سنورس» (٢).

والحق أن الست «فهيمه» تشد الأغطية وتحكمها جيداً - كل دقيقة - حول طفلها الذي جاء إلى الدنيا هذا الصباح .. لكنها - مثل زوجها عبد الناصر أفندي - لا تعرف ماذ تخبئه الأيام لطفلها الرضيع «جمال» خصوصاً في ظل ما تتحدث عنه صحف اليوم الثلاثاء ١٥ يناير ١٩١٨ من «جبروت المحتل .. والعدل المختل.. بينما ولاة الأمور، غارقون في نعيم القصور .. رغم أزمة الوقود، وغلاء القوت، وتلاعب التجار في البضائع والأسعار .. علاوة على هذه الحرب، التي لا ناقة لنا فيها ولا عنزاء، والتي يتقاتل فيها الأفرنج .. وندفع نحن الثمن، لينتصر الحلفاء» (٣).

حتى أن جريدة «الأخبار» هي الأخرى، قد نعت إلى الجميع أن الحال في مصر لم يعد

---

١ - العدد رقم (٨٣٠) من جريدة «الأخبار» في يوم الثلاثاء ١٥ يناير ١٩١٨، الموافق ٦ من شهر طوبه سنة ١٦٣٤ - الثمن خمسة مليمات ، وتطلب من الإدارة (٥) شارع سيف الدين المهراني بالفجالة. والجريدة مقررة من المحاكم الأهلية لنشر الإعلانات القضائية.

٢ - صفحة (٢) من جريدة «وادي النيل» الصادرة صباح الثلاثاء الموافق ١٥ يناير ١٩١٨ - الثاني من ربيع الثاني سنة ١٣٣٦ هجرية .

٣ - صفحة (١) من جريدة «البصير» الصادرة صباح الأثنين ١٤ يناير ١٩١٨ الموافق أول ربيع الثاني سنة ١٣٣٦ هجرية.

يختلف عنه فى بلاد الشام .. بعد أن «علمت أمس فى رسالة خصوصية من القدس، أن السيد خليل العور، مترجم روايات اللطائف، قد مات فى دمشق جوعاً.. وأن الكاتب الأديب طنيوس عبده، أصبح هو الآخر، لا يملك الآن ثمن ما يطعم به أسرته ليلة واحدة..بسبب أهوال الحرب فى بلاد الشام» .. فما بالنا إذن - بموظف البريد فى حى باكوس.!!

عموماً.. صحيفة دار الحماية البريطانية المسماه «المقطم» .. بشرت عبد الناصر أفندى فى الصفحة الأولى بأن «المكارم السلطانية قد جادت وتعطفت بمبلغ ٢٥٠ جنيهاً مصرياً على جمعية الصليب الأحمر الفرنساوى .. فى الوقت الذى تعطفت فيه أيضاً على بعض العقيلات المحترمة فى القاهرة وأقمن حفلاً، لإغاثة أخوتنا المهاجرين من أهالى سوريا ولبنان، ممن وفدوا إلى مصر هرباً مما يجرى فى بلادهم من أهوال الحرب، علاوة على أن عدداً من كرائم الآنسات، قد أنشدن فى هذه الحفلة نشيداً مؤثراً يقول :

« سوريا يا وطني صبراً ∴ لا البؤس يدوم ولا النعم
بسط الكرماء أكفهم ∴ ولغوثك هبوا كلهم
لا تهنأ مصر بنعمتها ∴ والشام تحف به النقم
ستزول الحرب وإن عبست ∴ ويعود الدهر .. فيبتسم »

هذا ما قالته جريدة «المقطم» صباح اليوم عن حال بلاد الشام.

أما عن حال الريف المصرى: فقد أكدت كل الجرائد الصادرة صباح أمس واليوم بأن «السلطة تحاصر جموع الريفيين، أثناء ذهابهم إلى الحقول، والأسواق .. ثم ترسلهم سخرة إلى سيناء، والعراق، وفلسطين، والدردنيل .. لخدمة جيوش الحلفاء .. فى حرب لاناقة لنا فيها ولا بعير»..!!

وفى الإسكندرية .. «استطاعت البلدية أن تجمع أمس الأول مساهمة مالية جديدة فى تغطية نفقات خدمة جيوش الحلفاء، بما يزيد على ٢٢٠ جنيهاً مصرياً كضريبة على الكلاب .. علاوة على أن عمدة قرية العزيزية بمديرية الشرقية، كان قد أخفى حماره عن السلطة العسكرية .. إلا أن السلطة بحثت عن الحمار وأمسكته .. وتبين لها أنه أحسن حمار فى مصر .. فاستولت عليه .. وصادرته» [1].

وهو الأمر الذى دفع - فيما يبدو - جريدة «المقطم» إلى أن «تطييب الخواطر» وتقول فى عددها الصادر اليوم :«ما كان البشر ليظنوا أن الحرب الضروس التى نشبت سنة ١٩١٤،

---

١ - صفحة (٦) من العدد (٨٣٠) من جريدة الأخبار - مصدر سابق .

تطلع عليها شمس سنة خامسة، ومازالت المدافع تقصف، والدماء تسيل، وملاك الموت يحصد الأرواح ومعاول الخراب والدمار تعمل فى البلدان المتحضرة .. وما كان أشد الناس تشاؤماً يظن أن سنة ١٩١٨ سوف تهل .. ورايات الحرب مازالت مرفوعة على البر .. والبحر .. والجو فى انحاء البلاد.. ».

والجو فى حجرة الست فهيمة لا يزال شديد البرودة..!

★★★

نحن - كما قلنا - فى اليوم السادس من شهر طوبه .

وطوبه - فى كل كتب الأمومه - هو أشهر شهور الشتاء خطراً على المولود.

إلا أن «المقطم» .. جريدة دار الحماية البريطانية، هى - فقط- التى خرجت اليوم ، يوم مولد جمال عبد الناصر، وهى تتغزل فى البرد .. والشرد .. وفصل الشتاء، وتصفه بأنه «فصل النشاط، والصيد والغراميات الملتهبة» .. على عكس جريدة «الأهرام» التى حرصت فى عددها الصادر أمس الأثنين ١٤ يناير سنة ١٩١٨، على أن تحذر «جمهور العامة» فى صفحتها الأولى من «اشتداد موجة البرودة» وتذكرهم بأن «برد مصر الحالى، قادم من أوربا ككثير مما يأتى إلينا منها».

وعليه : ليس أمام الست فهيمه الآن - هى وطفلها الوليد - إلا أن ينكمش كل منهما فى جلده.

أما أبناء الذوات والطبقات الراقية، فقد نصحتهم أيضاً جريدة دار الحماية البريطانية، بالتغلب على ليالى طوبه الباردة .. بارتداء «بالطو الشتاء ، والفورير، وصوف كشمير، من قسم الوجهاء والمشاهير، فى محلات شملا» .. وذلك استعداداً لقضاء سهرة اليوم - الثلاثاء ١٥ يناير ١٩١٨ - بدار «الأوبرا السلطانية مع رواية كارمن .. حيث تفتتح الحفلة السيدة منيرة المهدية بإنشاد مارش عظمة مولانا السلطان فؤاد الأول، الذى تزدهر الفنون، فى عهده الميمون.. كما ستوزع على الحضرات فى الألواج والبنوارات، النوتة الموسيقية لهذا المارش، محلاه بصورة عظمة مولانا صاحب العظمة السلطانية فؤاد الأول».

وليكن فى المعلوم - هكذا تضيف المقطم - أن «جميع البنوارات والألواج الأولى والثانية قد نفذت، ولم يبق للحجز سوى الفوتيل الاعتيادى والممتاز» .. وكما هو معلوم ومجاز فإن «الأسعار هى ٥٠٠ قرش للبنوار و ٤٠٠ قرش للوج الممتاز، و ٢٥٠ قرشاً للإعتيادى».

وكلها - فى رأى جريدة المقطم - أسعار فى متناول الطبقات الراقية، على عكس «نظرة العوام لأسعار الغلال ومواد الطعام التى أصبح جمهور العامة، يتأفف من ارتفاعها كل يوم، حتى قفز سعر أردب الفول من ٧٠ قرشاً إلى ٣٦٠ قرشاً مرة واحدة، واختفى القمح من

الأسواق، وصعدت أسعار الأرز صعوداً كبيراً هذا العام، فأصبح ثمن الجوال ٢٢٠ قرشاً بدلاً من ١٣٥ قرشاً فى العام الماضى».

و .. فى «تياترو الاجبسيانا» بشارع عماد الدين بالقاهرة، تعلن إدارة التياترو – على صفحات الأخبار – عن عرض روايتين عظيمتين هذا المساء ... هما :

●● أديله جامد .. تأليف : أمين أفندى صدقى.

●● وحلق حوش .. تأليف : نجيب الريحانى.

ويوجد «ماتينيه خصوصى للحريم» كل ثلاثاء، يبدأ فى الساعة الخامسة والنصف تماماً.

وبين فصول الروايتين سوف تطرب الجمهور بصوتها الرخيم الآنسة فاطمة قدرى.!

كما تعلن «فرقة جورج أبيض عن بداية موسمها التمثيلى السنوى بدار الأوبرا السلطانية، إعتباراً من يوم ٢٠ يناير الحالى .. وذلك بتقديم أربع روايات جديدة، هى تيمورلنك .. وشارل السادس .. والعشرة الأولى .. والشعلة» !!

أما سينما «أكسلسيور بقرب محطة المترو» فسوف تعرض «أشرطة حديثة عن حوادث الحرب ووداع الحب، وروايات كوميدية مدهشة» أعتباراً من اليوم الثلاثاء ١٥ يناير ١٩١٨ الموافق يوم السادس من شهر طوبه.

و ....

★★★

طوبه – كما قلنا – فى كل كتب الأرصاد البشرية .. هى أشهر شهور الشتاء التى تجبر البسطاء فى «بر مصر» على الإنكماش فى جلودهم.

وجلود البسطاء – كبطونهم– فى أى بلد محتل .. غالباً عارية.

وكيف لا تكون عارية .. وجريدة «الجورنال دى كير» قد صدرت اليوم هى الأخرى، وهى تحمل على صفحتها الأولى صرخة البسطاء تحت عنوان «السرقة فى كل شئ» .. حيث راحوا يقولون « .. الأموال تسلب وتنهب، ولا من يسمع شكوانا، أو يرق لبلوانا .. أما الباعة فيهزأون بنا، وبالقانون الذى يعاقب من يسرق ليسد جوعه، بأشد العقاب، ويهمل أمر جيش التجار، الذى أصبح لا دين له ولا ملة سوى سلب ونهب أموالنا فى وضح النهار، ليشيدوا بها صروح الفساد والاستهتار، فوق انقاض الإنسانية التى تتألم .. وتنهار.

هل يرضى بذلك ولاة أمورنا، المكلفون بالمحافظة علينا وعلى أرواحنا؟!

ولماذا لم يضربوا بشدة على أيدى الطماعين، بعد أن أصبحنا لا نجد شيئاً من لوازم المعيشة، من علبة الكبريت حتى قطعة اللحم .. ومن لتر الجاز حتى كيلة القمح .. إلا وفى

قبضة جماعة المحتكرين خربى الذمة، الذين تدل أعمالهم وحركاتهم على أن كل ما يصنعونه هو فقط لإملاء بطونهم، وجيوبهم، وكل شئ سائغ لهم فى القطر المصرى.

ألم يقل أحدهم أمس على مرأى ومسمع من الناس: إنكم تهددوننى برفع الدعوى، ولكننى أصبحت غنياً جداً وما عدت أخشى القضاء أو سطوة الحاكم ؟!!

فمتى يا ترى .. نرى الحكومة دائبة فى العمل، لتبرهن لنا على أن فى مصر قضاة، وحكاماً يستطيعون إذا شاءوا أن يضعوا حداً لأطماع أولئك الطماعين ووقاحتهم المتزايدة »؟!!.

غريبة .. كيف فعلاً يستطيع الفقير أن يأكل، أو يلبس .. بعد أن قالت اليوم جريدة «الأخبار» هى الأخرى بأن «المحكمة الإبتدائية عاقبت أمس ثلاثة أشخاص من أهالى قرية السعرانية التابعة لمركز كفر الدوار بالحبس لمدة ثلاث سنوات، وعاقبت أيضاً سبعة آخرين من نفس القرية بالحبس لمدة سنتين، لاتهامهم بسرقة بعض الأطعمة والملابس والأقمشة الصوفية من أحد قطارات السكة الحديد، أثناء توقفه فى محطة القرية».

على أية حال : جريدة «البصير» قالت اليوم بأن «أزمة الجاز الحاضرة، دعت بعض العامة لإبتكار طريقة جديدة تساعدهم على الإقلال فى استخدام الجاز.. وذلك بوضع إناء الطعام على موقد الكيروسين حتى يغلى فقط .. وبعد الغليان مباشرة يطفئون الموقد، ويضعون الإناء فى صندوق مملوء بقش التبن، ويغطونه بوسادة أخرى من التبن أيضاً .. لأن التبن من عادته حفظ حرارة الشئ.. وبذلك يظل الإناء حفاظا لحرارته ساعات طوال .. فينضج الطعام بلا جاز من جهة، ويظل ساخناً من جهة أخرى» .. !

وقالت الجريدة أيضاً «كل ما نخشاه هو أن يرتفع ثمن التبن - هو الآخر - غداً .. لأن الناس بدأوا يزاحمون الماشيه عليه» !!.

★★★

وقعت عين عبد الناصر أفندى على الصفحة الأولى لجريدة الأخبار .. وقعت عينيه - بالضبط - على رأس العمود الرابع فازداد عموده الفقرى تقوساً، وراح يقرأ لزوجته الست فهيمه .. قائلاً :

«ترك لنا أجدادنا - رحمهم الله - مثلاً عامياً يقول، ظلم القط .. ولا عدل الفار .. وهذا المثل ينطبق كل الإنطباق على مشكلة نقص الجاز، بعد نقص الغذاء .. والتى عز فيها الطب.. وعز الدواء.

كانت البلدية توزع الجاز فى الأقسام على الأهالى بالثمن العادل والوزن المضبوط.. ولم يكن هناك ما يشكى منه سوى طول الإنتظار وشدة الإزدحام، ومتاجرة بعض الصياع،

وأحياناً، تفضيل زيد على عمر.

ولما رأت البلدية أن تريح نفسها من هذا المأزق عهدت بأمر توزيع الجاز إلى أصحاب الدكاكين .. فمنهم من أحسن فيه التصرف بالحكمة والعدل، وأولئك هم أصحاب ذمة ودين.. ومنهم من زاد في السعر، وأنقص في الكمية، وفضل زيداً على عمر، ووزع نصف الجاز الذي تسلمه من البلدية، وخزن النصف الآخر.

والأغرب من كل هذا: أن أولئك التجار، ممن يصلون ويسجدون نهاراً وليلاً، ويعبدون الله على أعين الناس. وقد رأيت صدفة في حارة المرغني غربي سور المحطة، واحداً من هؤلاء وبجانبه أبوه - بوجوه سودها الإثم - يعتذران للجاويش على بيعهما ربع لتر الجاز بقرش صاغ.. وأيضاً على بيعهما نصف اللتر ربعاً، بحجة أن الازدحام أضاع رشدهما .. فماذا كانت النتيجة يا ترى؟!!.

تشفياً من النساء الشاكيات اللواتي إستعن على هذا البائع وأبوه بجاويش الحكومة، ما كان من البائع وأبيه إلا أن قفلا الدكان في وجه ذلك الجمهور الواقف أمامهما، وقفة العبيد أمام مولاهم .. وصاح فيهم الابن بأعلى صوته قائلاً: الجاز خلص.

أما النساء: فقد عاد بعضهن من حيث أتين حاسرات باكيات بقزازات فارغة، وبعضها مكسور نصفه أو رقبته، والتف البعض الآخر من الجمهور، حول رجل الحكومة المستجار به من ذلك البائع العاري من الذمة والدين.. وقالوا في إنكسار : هل يرضيك هذا العمل يا حضرة الجاويش؟!

فقال الجوايش : وماذا يمكن أن أصنع. ؟

فأجابه الجمهور : لما لا تتدخل، وتتحقق مما يدعيه البائع من نفاد الجاز.

فأجاب الجاويش : وظيفتي لا تصرح لي بتفتيش الدكاكين.

وعند هذا الحد كان هناك شيخ يراقب حركات صاحب الدكان وسكناته فتنهد الشيخ وقال:-

- ليتنا نعود إلى الحال القديم، وتقوم البلدية بتوزيع الجاز، بدلاً من هؤلاء اللاعين التجار.. الذين أثبتوا حقاً بأن «ظلم القط .. ولا عدل الفار» . !!

وعلى الصفحة الثانية .. أكدت نفس الجريدة، أن «الأمير يوسف كمال .. سافر أمس إلى ضياعه الفيحاء، وحدائقه الغناء، ليهرب من برد طوبة الشديد .. إلى مشتاه الدافئ في إقليم الصعيد» !!

كما .. «شوهدت أيضاً أعداد جديدة من القطارات المتدفقة بالموظفين الانجليز ..

ليستمتعوا - في بلادنا - بشمس أسوان الدافئة».

هذا .. وقد «شرف أمس جلالة السلطان أحمد فؤاد سراى عابدين، فرأس مجلس الوزراء، وجالس الوجهاء .. ثم توجه - بعدها - إلى سباق الخيول»..!

و .. مع صوت ارتطام الحوافر بأرض السباق..

كانت حبات المطر .. والخطر .. وسنابك المغول .. مازالت تدق .. وتدق فوق نافذة الست فهيمة .. كدقات الطبول..!!



٥ - مات هو الآخر

وصل الآن قطار «التفاصيل» إلى منزل .. صديق العمر .

وصل القطار ، إلى منزل المستشار حسن النشار.

كان الرجل على «حافة» الكلام.

لم يكن فى حاجة .. إلا لمن يسمعه.

★★★

فى المرة الأولى التى رأى فيها جمال عبد الناصر .. رآه على «كتف» أمه.

كان جمال ، لا يزال - وقتها - فى عامه الأول.

ومثلما يحدث فى الأفلام .. التقى الطفلان - صدفة - على محطة السكة الحديد.

التقى الطفلان .. لأن كل من أبويهما ، كان - وقتها - موظفاً بسيطاً فى مصلحة البريد.

وككل عائلات الموظفين البسطاء فى القرى، كان عليهم أن يخرجوا جميعاً بالأمر .. ليصفقوا .. ويزغردوا .. لموكب السلطان فؤاد الأول.. !!

وككل الأطفال فى هذه السن .. كان حسن يمسك - يومها - بذيل أمه.

وكانت أمه، قد طالت وقفتها - هى الأخرى - فى الزحام، فأعطت ثديها لشقيقته الرضيعة همت .. وأخفت ثديها بكفها .. عن الأنظار .. !

إلى جوارها مباشرة : كان الطفل جمال عبد الناصر - على عكس إبنتها همت - يصرخ ويهتز على صدر أمه.

كانت «أم جمال» - أو السيدة فهيمة محمد حماد - لا تعرف يومها كيف تسكت صراخه .. فإنتظار الموكب قد طال، وسوف يطول والطفل « يقرصه» الجوع .. والأم النحيفة، جف اللبن من ضرعها المهزول.. !!

★★★

ها هو الموكب على وشك الوصول.

وها هو - أيضاً صراخ الطفل يرتفع فى السماء.

بعد قليل سيصبح على «الأم» أن تزغرد، رغم شدة البكاء .. وسيصبح على زوجها - هو الآخر - أن يصفق بشدة .. !!

قلب جارتها «وهيبة» لا يتحمل صراخ الطفل الجائع.

إبنتها همت - التى هى الآن وكيل أول وزارة الصحة - رضعت والحمد لله حتى شبعت .. لكن الأم فى كل الدنيا هى الأم .. لا تبخل على الطفل - أى طفل - بثديها عند الضرورة.

لهذا .. لم تفاجأ «أم جمال» حينما رأت جارتها الست وهيبة، تناولها الطفلة .. وتأخذ منها جمال لترضعه، من نفس الثدى الذى أرضعت منه إبنتها همت .. منذ دقائق .

★★★

الآن .. هدأ بكاء الطفل جمال عبد الناصر حسين .. وأصبحت همت النشار شقيقته فى الرضاعة .

الآن .. أصبحت همت «محرمة» عليه.

★★★

مثلما يحدث فى الأفلام .. رأينا كيف التقى الطفلان صدفة ، على محطة السكة الحديد.

واحد رضيع .. والثانى يكبره بثلاثة أعوام.

ولأن كل من أبويهما ، كان موظفاً صغيراً فى مصلحة البريد.. فقد تنقلا كثيراً فى القرى، والبلدان.

مرة يجتمعان معاً فى بلدة واحدة .. وعشرة يفترقان.

وعام بعد عام .. رمتهما الأيام .. على القاهرة.

★★★

فى أحد أيام أكتوبر سنة ١٩٣٤ .. التقى التلميذان من جديد فى مدرسة «النهضة» الثانوية، بالظاهر.

حسن متعثر فى دراسته .. ولا يزال فى الصف «الرابع»الثانوى.

وجمال لحق به فى هذا العام .. فى نفس الصف.

حسن غارق لأذنيه فى أمور السياسة.

وجمال يرشق فى عروة جاكتته «بادج» من النحاس الأصفر للأهرمات الثلاثة.. الشعار الشهير لحزب «مصر الفتاة».

وما أن رآه حسن - صدفة! - وهو يخرج من بوابة المدرسة فى نهاية اليوم الدراسى.. حتى جرى إليه، وصافحه، وسارا معاً يتحدثان فى اتجاه مسكن حسن الذى كان يقع - وقتها - فى نفس شارع المدرسة.

فى الطريق .. سأله حسن عن حكاية هذه الأهرامات النحاس.. وكيف .. ومتى أنضم إلى حزب «مصر الفتاة».

قال جمال :

- بالصدفة .. كنت أعبر ميدان المنشية بالاسكندرية فى العام الماضى، فوجدت اشتباكاً بين مظاهرة تهتف بحياة مصر، وبين قوات البوليس.

وبالطبع .. لم أتردد فى تقرير موقفى، وانضممت على الفور إلى المتظاهرين .. دون أن أعرف أى شئ عن السبب الذى كانوا يتظاهرون من أجله.

وصدقنى يا حسن .. لقد شعرت وقتها، بأننى لست فى حاجة إلى السؤال عن السبب، لقد رأيت أفراداً من الشعب فى صدام مع السلطة.. فاتخذت موقفى - بحكم العادة - دون تردد إلى الجانب المعادى للسلطة .. ورحت أهتف معهم : تحيا مصر .. تحيا مصر.

ولما ضاق حصار البوليس للمتظاهرين .. انهالت قوات الشرطة علينا بالضرب من كل اتجاه .. فطالت رأسى ضربة ثقيلة، أسالت دمى، وأسقطتنى على الأرض .. «فبرك» فوقى خمسة من رجال الشرطة، ثم قذفوا بى مع الآخرين .. داخل عربة «البوكس» التى حملتنا جميعاً إلى قسم شرطة المنشية.

وهناك .. سألت من معى عن سبب المظاهرة .. فعرفت منهم أنهم أعضاء فى حزب «مصر الفتاة» .. وأنهم كانوا يريدون أن يعقدوا اجتماعاً سياسياً عاماً فى الميدان، للمطالبة بعودة دستور ١٩٢٣ .. إلا أن البوليس منعهم بالقوة.

وفى اليوم التالى .. قرأ والدى اسمى فى قوائم المعتقلين التى نشرتها الصحف وقتها .. فجرى، ومعه شيخ الحارة إلى قسم شرطة المنشية، حيث تسلمنى من هناك، بعد أن تعهد كتابة بعدم عودتى ثانياً إلى مثل هذه «الأفعال والمشاغبات» .. لكنى فى الحقيقة يا حسن لم

أستطع أن أمنع نفسى بعدها من المشاركة فى قضايا البلد .. فبحثت عن جماعة مصر الفتاة وانضممت إليهم.

ولما انتقل والدى فى أواخر العام الماضى - أى فى أواخر عام ١٩٣٣ - إلى مكتب بريد «الخرنفش» .. جئنا معه إلى القاهرة .. وبحثت عن مقر «مصر الفتاة» .. واستمعت إلى أحمد حسين، وفتحى رضوان .. فازداد اقتناعى بهذه الجماعة، وأصبحت «أعدى» على مقرها كل يوم بعد الظهر.. لأشارك مع غيرى فى عمل أى شئ للصالح العام.

وفى إحدى المرات على سبيل المثال .. كانت هناك كمية من جريدتهم «الصرخة» موجودة فى مطبعة «الرغائب» الموجودة خلف سينما «رويال» ولا يجدون عربة أو شخصاً لإحضارها، فذهبت إلى المطبعة، وحملت الجرائد على كتفى إلى المقر .. مرة، ومرتين .. وثلاث مرات .. حتى نقلت الكمية المتبقية كلها .. وأنا فى أشد الاقتناع بما أفعل، مساندة لهؤلاء الذى ضربهم البوليس لأنهم يهتفون بحياة مصر ..!!

وفى مرة أخرى .. كانوا يريدون ارسال الجريدة للمشتركين فيها، ولا يجدون «ورق البوسطة».. فكنت - مع غيرى - أتحسس مصروفى البسيط، واشترى به لهم طوابع بريد .. ثم نحمل الجرائد، ونذهب، لنضعها فى صناديق بريد العتبة.

ولأننى كثيراً ما أكون قد ساهمت بكل مليم معى .. فقد كنت أضطر للعودة إلى البيت - هكذا - سيراً على الأقدام..!!

★★★

وصل حسن إلى منزله .. قبل أن يصل جمال إلى نهاية حكايته مع حزب «مصر الفتاة».

استأذنه حسن فى أن يذهب معه إلى مقر الحزب .. ليرى ويسمع بنفسه ما يجرى هناك .. ولكن بعد أن يناول حقيبة المدرسة لوالدته - الست وهيبة- التى رآها تنتظره فى نافذة شقتهم بالدور الأرضى.

إنتظر جمال على بعد خطوات قليلة من المنزل.

وما إن ناول حسن حقيبته إلى أمه .. حتى سألته عن زميله الذى يقف - بعيداً - فى انتظاره، ثم طلبت منه أن يذهب ليناديه .. لأنها «عايزاه».

دخل جمال مع زميله حسن من باب المنزل .. وفور أن دخل .. إحتضنته الست وهيبة، وهى تقول:

- أنت مش عارفنى يا حبة عينى .. دا أنا أمك يا جمال .. أنت مش والدتك الست فهيمه بنت الشيخ حماد؟!

هز جمال رأسه بالموافقة .. فاستطردت الست وهيبه تقول :

– ابقى اسأل مامتك يا ضنايا .. اسألها وهى تقول لك إننى «رضعتك» من صدرى دا على محطة السكة الحديد.. يبقى منتظر حسن بعيد ليه يا حبيبى .. دا أنا مامتك ياجمال..!

★★★

مسحت الست وهيبه بكفها دموع «ضناها» جمال .. وهو يخبرها بأن والدته فهيمه، قد ماتت – منذ ٨ سنوات – دون أن يراها.

أما والده : فقد تزوج السيدة « عنايات مصطفى» منذ عام واحد فقط .. بعد أن عاش «أرملاً» فى الخطاطبه سبع سنوات .. وزيادة ..!!

★★★

مرت اللحظات ثقيلة على التلميذ جمال عبد الناصر حسين .. تلميذ الصف الرابع الثانوى بمدرسة النهضة .. بحى الظاهر..

لم يكن يومها قد تجاوز السادسة عشر من عمره..

ولم يكن أيضاً .. يشأ أن يتذكر كيف توفيت والدته فى الاسكندرية، وهو يعيش بعيداً مع عمه خليل فى القاهرة.

مرت اللحظات ثقيلة، وهو يحكى للست وهيبة، كيف أن والده قد أخفى عنه خبر وفاة والدته – التى كانت قد توفت فى ٢٦ أبريل ١٩٢٦ – ولم يعلم به إلا حينما ذهب لزيارة أسرته كالعادة، فى العطلة الدراسية – ليفاجأ بأن والدته التى كان شديد التعلق بها .. قد رحلت من الدنيا دون أن يودعها.

وما بين اللحظة التى دخلت فيها السيدة وهيبه إلى المطبخ .. واللحظة التى عادت إليه فيها، وهى تحمل بعض «القراقيش» وكوبين من الشاى.. كانت الدنيا قد دارت به .. وأدارت فى رأسه شريط المأساة.

★★★

كانت والدته – وقتها – حامل فى شهرها التاسع.

هى كما نعرف .. ولدت فى مدينة «ملوى» بمحافظة المنيا .. أى أنها «بلديات» زوجها عبد الناصر أفندى المولود فى قرية «بنى مر» بمحافظة أسيوط.

والمنيا وأسيوط – كما نعلم – محافظتان من محافظات الصعيد .. الذى ينتشر بين أهله، وأهل محافظات الوجه البحرى على السواء «عادة» الحرص على أن تلد الزوجة فى بيت أبيها.

وبيت أبيها - فى هذا الوقت - لم يكن فى «ملوى».

كان قد انتقل - وهى طفلة - إلى مدينة الاسكندرية، حيث عمل والدها هناك بتجارة الفحم.. وحيث التحقت هى الأخرى بمدارس الاسكندرية واكتسبت من بناتها رائحة البحر .. إلى جانب «أصالة» بنت الصعيد، التى دفعت عبد الناصر أفندى إلى أن يقترن بها عام ١٩١٧ .. ودفعتها - هى الأخرى - إلى عدم التخلى عن زوجها .. والتضحية بحياة «المدينة» حينما تقرر نقله - سنة ١٩٢١ من مكتب بريد «باكوس» إلى مكتب بريد أسيوط .. ومنه إلى مكتب بريد الخطاطبه.

وفى الخطاطبه - التى انتقل إليها عبد الناصر أفندى سنة ١٩٢٣ - أقامت أسرته الصغيرة، فى بيت ريفى فسيح، كانت الحكومة قد استأجرته بحديقته المسورة من صاحبته الست «أم غريب» نظير جنيهان فقط فى كل شهر .. لإقامة وكيل «البوسطة» وعائلته .. «انظر صورة المنزل فى نهاية الكتاب » .

أما مكتب «البوسطة» نفسه .. فلم يكن سوى حجرة فى هذا المنزل، بها «خزنة البوسطة» .. ولها شباك حديدى يطل على الشارع العمومى، يتعامل منه عبد الناصر أفندى مع أهالى البلده.

وفى أحد الأيام .. استيقظ عبد الناصر أفندى وكيل البوسطة.. فرأى على أحد حوائط «مقر عمله الجديد» .. آثاراً تقطع بأن بعض اللصوص، حاولوا فى الليلة السابقة «نقب» الحائط، لإحداث فتحة فيه يتسللون منها إلى داخل الحجرة، ليتمكنوا من سرقة الخزينة.. لكنهم - لسبب لم يعرفه - لم يتمكنوا من استكمال المحاولة.

ولما شاع الخبر فى البلدة .. اشترى عبد الناصر أفندى «كلب وولف» ضخم من الخواجه «بنايوتى» اليونانى .. حتى يتمكن من النوم مطمئناً .. بينما يسهر الكلب على حراسة المنزل و «خزنة» البوسطة.

ويوم بعد يوم .. أصبح الكلب واحداً من أسرة عبد الناصر أفندى فى الخطاطبة.. يلعب .. ويسهر .. وينام .. بينما الست فهيمه تحنو عليه، ولا تسهو عنه بالأكل والشرب والإستحمام .. وهو ما دفعه إلى التعلق بها، وجعله لا يفارقها طوال النهار .. حتى حينما تذهب لشراء الخضار من سوق القرية.

ولما كانت الست فهيمه فى شهرها التاسع.. فقد استأذنت زوجها، فى أن يأخذها - كالعادة - إلى بيت أبيها فى الاسكندرية، لتستعد هناك لاستقبال طفلها الرابع «شوقى» بعد أن انتصف - أخيراً - شهر الولاده.

★★★

فى يوم سفر الست فهيمه إلى بيت أبيها فى الاسكندرية .. سد «كلبها» باب المنزل بجسمه .. ليمنعها من السفر.

أزاحه عبد الناصر أفندى من طريق زوجته .. دفن الكلب رأسه بين أقدام الزوجة .. هز ذيله، وتشبث بملابسها بقوة.

لم يكن أمام الست فهيمه - الحامل - إلا أن تمسح على ظهره، وتخرج من الباب.. سار الكلب خلفها يعوى حتى محطة السكة الحديد.. صعدت الزوجة إلى القطار ... تشبث الكلب بذيلها ثانياً وهو يعوى .. نهره عبد الناصر أفندى وتركه فى البلده لحراسة البوسطة.

و .. حينما حلت لحظة قدوم الشقيق الرابع لجمال عبد الناصر.

حينما حلت اللحظة .. ماتت الست فهيمه أثناء الولادة.

ماتت فى الاسكندرية .. فأحس بها كلبها فى الخطاطبة .. ومات هو الآخر «!!».



٦ - بالقلم الرصاص

لحظة .. إن أذنتم .

لحظة، تفرسوا فيها معى، وجه جمال عبد الناصر، وهو يحكى للست وهيبة .. كيف ماتت أمه .. دون أن يراها.

تفرسوا فيها وجهه .. فقد ترون مثلى حلقة .. بئراً .. عميقاً، سحيقاً، مظلماً .. هوت فيه الحروف .. !

قد ترون مثلى وجهه .. وقد ملأه الأسى .. وحاصرته الظروف .. !

★★★

عمه «خليل» ترك القاهرة .. بعد أن أرسلته وزارة الأوقاف ليعمل فى إحدى القرى المجاورة للمحلة الكبرى.

ووالده .. جاء لهم أخيراً بزوجة جديدة لتحل محل أمه.

وأهل أمه كما يعلم .. هناك فى الاسكندرية.

حتى عندما ذهب لزيارتهم فى المرة الأخيرة ، لم يشعر بينهم بنفس الأحاسيس المبتهجة التى كانت تغمره زمان .. وهو يلعب مع بنات أخواله، وخالاته .. قبل وفاة أمه.

شعر بالملل والضيق الشديد هذه المرة. .. حين يريد الطعام، ترغمه جدته على أن يأكل فوق طاقته .. وحين يود النزهة، إما أن تقتفى الجدة أثره، وإما أن تحاصره بالقلق والمحاذير..

وحين أراد الذهاب إلى الميناء ليتأمل البحر، وحياة البحارة .. أحس بأن بنات أخواله

وخالاته - فى ملابسهن البيضاء المطرزة بالدانتيلا - يعتبرن المكان، زحاماً .. وقذارة.

ها هو قد ترك الاسكندرية كلها .. وجاء وحيداً إلى القاهرة.

وحتى لو كان والده يستشعر همه .. من فينا يمكن أن تعوضه الدنيا كله عن فقد أمه..؟!

كانت تأسل عنه، وعن صحته، وعما يأكل، وكيف ينام.

كانت تعلم أن سكان القاهرة، لا ينامون الليل .. لذلك كلما حضر لزيارتها فى الخطاطبة.. كانت تطلب منه ألا يسهر خارج البيت، وإذا حدث وفعلها .. فيجب أن يكون فى صحبة عمه.

هو يعرف جيداً أن مثل هذه الأسئلة والنصائح، تريح والدته لذلك كان يدعها تسأل وتنصح كما تشاء .. وكان يحرص على أن يحكى لها عن القاهرة .. «تلك المدينة الكبيرة التى بلا قلب .. حوادثها .. وكوارثها .. ومآتمها .. ومآثمها .. وأفراحها التى لا تحصى ولا تعد .. ومع ذلك فالناس يعيشون حياتهم ولا يعبأون كثيراً بما يجرى حولهم».

أما الترام .. ذلك الإختراع الحديث الذى لم يصل بعد إلى الخطاطبه .. فلم يكن جمال ينسى أن يخبر والدته بأنه «كالقطارات الصغيرة المكشوفة .. لأن الناس يستطيعون أن يروا ركابه، وإن كان لا يصفر كالقطارات المألوفة، وليست له مدخنة .. لأنه يعمل بالكهرباء» ..!!

★★★

لم يشأ جمال أن يضعف أمام رغبته الطاغية فى البكاء.

أزاح «القراقيش» من أمامه، واعتذر عن شرب الشاى .. ثم حمل حقيبته المدرسية، ووقف مستأذناً فى العودة إلى منزله.

من المؤكد أن والده - عبد الناصر أفندى - لم يفرغ بعد من عمله فى مكتب بريد الخرنفش.. وأخشى ما يخشاه إبنه البكر .. أن يصل إلى المنزل قبل والده، فيجد البيت .. وقد شب فيه حريق النزاع بين زوجة والده الجديدة .. وأشقائه الصغار.

أخشى ما يخشاه جمال .. هو أن يصل إلى البيت قبل أن ينتصف النهار .. وهو لا ينسى يوم أن عاد من مدرسته مبكراً فوجد شقيقه «عز العرب» منزوياً فى ركن الحجرة، يبكى على فراق أمه التى لو كانت على قيد الحياة، ما أرغمته - هكذا - على أن يحمل صفيحة القمامة، ويذهب لإلقائها بعيداً .. كلما تأخر مجيئ الزبال .

ولولا أن أشقاءه الثلاثة، قد أخذهم أخيراً، عمهم خليل الموظف بوزارة الأوقاف، لكى يعيشوا معه ومع زوجته الست أنيسة - التى لا تنجب - فى المحلة الكبرى.

ولولا أنه مثل كثير من أبناء حارة الخرنفش، وخميس العدس، و«بين الصورين».. لولا أنه كثيراً ما يلجأ مثلهم إلى هدوء مسجد الشيخ «الشعرانى» لإستذكار دروسه .. فضلاً عن إنشغاله المبكر بأمور السياسة.. ما كانت حرائق المشاكل فى بيتهم قد كفت عن الإشتعال.

والحمد لله .. فالمسجد على بعد مائة متر فقط من حارة «خميس العدس»..والحارة بها مكتب «البوسطة» الذى يعمل به والده .. والمكتب يقع - بالضبط - فى الحارة المجاورة مباشرة للحارة التى يقع بها مسكنهم، والذى يقع فى الطابق الثانى من المنزل رقم (٣) بحارة خميس العدس بالخرنفش .. ويتكون من ثلاث غرف وصالة تطل على الشارع، وغرفة رابعة داخلية سينام فيها جمال ويستذكر دروسه طوال أربع سنوات كاملة .. سنتان فى مدرسة النهضة الثانوية، وسبعة أشهر فى كلية الحقوق بعد حصوله على «البكالوريا» .. ثم سنة ونصف فى الكلية الحربية ..

★★★

حمل جمال حقيبته المدرسية واستأذن الست وهيبة فى الإنصراف.

وقبل أن يهم بالوقوف .. ترك لها عنوان البيت مفصلاً، ورجاها أن « .. يتفضلوا عندهم شوية فى أى يوم .. بعد الظهر»..!!

★★★

كانت همت قد فرغت من تغيير ملابسها المدرسية.

نادتها أمها لكى تسلم على - جمال - أخيها فى الرضاعة .. فوجئ جمال بالآنسة همت، التى لم يرها منذ سنوات طويلة .. صعدت فى وجهه «حمرة» الخجل والإرتباك.

سبحان الله .. أنها هى التى يراها كثيراً، وهى عائدة أو ذاهبة إلى المدرسة .. وهى نفسها التى رآها منذ دقائق مع زميلة لها، متجهمة، تحتضن الكتب وتستعجل الطريق.

على أية حال .. ليس من اللائق أن يسألها - فى أول مرة - عن المدرسة، أو المذاكرة أو عن زميلتها التى يراها معها كثيراً، فالبيت بيته، والست وهيبه أمه .. وصديقه حسن هو عنده، مثل شقيقه شوقى، أو الليثى، أو عز العرب.

أما الآنسة همت .. فالحق أنه من يومها، وهو يشعر بأنها - هى الأخرى - شقيقته فى كل شئ .. وليست فقط فى الرضاعة.

★★★

نسيت أن أقدم لكم أسرة السيدة وهيبه .. فزوجها وصفى أفندى النشار يعمل وكيلاً لمكتب بريد الظاهر.. وأبنائها الثلاثة حسن، وعلى، وسعد .. كلهم منتظمون بمراحل التعليم

المختلفة .. وإبنتها الوحيدة همت .. هى الأخرى طالبة فى مدرسة النهضة الثانوية بنات .. ذلك لأن مدارس النهضة الثانوية - كما تعلمون - تضم قسماً للبنات، وقسماً للبنين .. وقسماً ثالثاً «داخلياً» للطلبة المغتربين .. ومدة الدراسة فى كل الأقسام الثلاثة خمس سنوات، يحصل الطالب فى نهايتها على شهادة البكالوريا .

أما الطالب جمال عبدالناصر، المقيد بالصف الرابع الثانوى بالقسم الأدبى .. فقد التحق بمدرسة النهضة الثانوية هذا العام فقط - أى عام ١٩٣٥/٣٤ - قادماً من الاسكندرية.. بعد أن سبقته إلى المدرسة قصة اشتراكه، وإصابته فى مظاهرات ميدان المنشية التى اندلعت سنة ١٩٣٣ للمطالبة بعودة دستور سنة ١٩٢٣، والتى كان من نتيجتها أن تم اعتقاله واحتجازه وهو مصاب ليلة كاملة فى قسم الشرطة.

والحقيقة، أن شهرته التى سبقته هذه .. كانت سبباً فى توطيد صداقته بالكثير من زملائه من الطلبة الوطنيين.. ومن بينهم عبد العزيز الشوربجى، وأحمد فريد، وصالح الجندى، وأنور صديق، وإبراهيم فهمى، وعبد الرؤوف جبريل .. وحسن النشار الذى أصر على تحويل أوراقه المدرسية إلى القسم الأدبى، ليكون مع صديقه جمال فى الفصل .. والإستذكار.

على أن معظم زملاء جمال فى المدرسة، قد أحسوا ولعه المبكر بالقراءة والخطابة، وكتابة الخواطر والمقالات .. قبل أن يصبح عضواً فى «هيئة تحرير مجلة مدارس النهضة المصرية» التى أصدرتها المدرسة فى عام ١٩٣٤ .. وكتب فيها مقالاً شهيراً بعنوان «فولتير رجل الحرية» .. (راجع الوثيقة الرابعة بملحق الوثائق).

وأحسوا أيضاً .. حرصه الدائم على ألا تفوته حصة واحدة من حصص التاريخ.. «حتى عندما يكون منهمكاً فى الإعداد لمظاهرة سياسية، فقد كان يترك كل شئ، ليحضر درس التاريخ .. درسه المفضل».

هذا ما قاله فكرى أفندى إبراهيم، مدرس اللغة الإنجليزية بالمدرسة للكاتب السويسرى «چورج فوشيه» عندما كان يحكى له عن القصة التى تناقلتها المدرسة كلها فى حينها .. يوم أن وقف مدرس الجغرافيا يشرح لطلابه، درساً عن تأثير المناخ والبيئة المعتدلة على الإنسان .. فقال لهم «إن سكان المناطق المعتدلة يمتازون بالحيوية والنشاط، والإرادة القوية، والميل إلى الإستقلال .. ولذلك هم قادرون على بسط نفوذهم وسيطرتهم على غيرهم من الشعوب .. وأصدق مثال على ذلك، هى انجلترا»[1].

عندها .. سمر الطالب جمال عبد الناصر نظره على مدرس الجغرافيا .. ثم وقف يقول له بكل الأدب :

---

١ - صفحة (٩٤) من كتاب «جمال عبد الناصر فى طريق الثورة» .. تأليف چورج فوشيه . منشورات المكتب التجارى - بيروت - مارس ١٩٦٠ .

- أننى لا أوافقك فيما ذهبت إليه يا استاذي .. لأن ما تسميه نزعة استقلالية، وقدرة على السيطرة .. وما تعتبره سيادتك فضيلة وميزة.. ليس فى رأيى سوى تكالب خسيس .. أننى أرى فيه .. نقيصة .. وليس فضيلة».

يومها .. نصحه فكرى أفندي قائلاً:

- اسمع يا جمال .. إننى أخشى عليك هذه الحدة الوطنية.. ونصيحتى لك أن تخفى شعورك الوطنى هذا بقدر ما تستطيع، لأنك يا إبنى أمام حكومات لا تقيم وزناً لمستقبل أى طالب.

قال جمال :

- كل نصح منك يا استاذى أرحب به .. إلا خنق مشاعرى تجاه الوطن .. !!

★★★

بعد انقضاء عطلة رأس السنة الميلادية.. وقف طلاب مدرسة النهضة الثانوية فى فناء المدرسة جماعات متناثرة، يروون لبعضهم البعض كيف أمضوا ليلة الأمس ..آخر ليلة من ليالى سنة ١٩٣٤ .. هذا خرج مع رفاقه، وذاك تسلى بالرقص .. هذا لعب الورق وأصبح على الحديدة، وذاك شرب نخب العام الجديد مع فتاته الجميلة.

جمال عبد الناصر وحده لا يزال صامتاً، يستمع إلى رفاقه.

ولما سأله أحدهم :

وأنت يا جمال .. كيف أمضيت سهرتك ؟!

قال باقتضاب:

- قرأت كتاباً عن شخصية النبى محمد.

صمت الجميع .. صدمتهم الإجابة .. فراحت نظراتهم تحاصره فى دهشة:

- غريبه .. تسلى نفسك فى مثل هذه الليلة بقراءة كتاب عن محمد ؟!!

★★★

كان من عادة الطالب جمال عبد الناصر، أثناء مطالعته لما كان يستعيره من مكتبة المدرسة، أن يمسك بقلم رصاص ويخط به تحت الكلمات أو السطور التى يراها هامة .. أو نامة عما تجيش به نفسه.

فهو - مثلاً - قرأ سيرة الزعيم الوطنى مصطفى كامل، وقرأ الكتاب الذى نشره وقدم له تحت عنوان «المدافعون عن الإسلام» .. ثم خط بقلمه تحت العبارة التى قال فيها مصطفى كامل بأنه ينشر هذا الكتاب «ليذكر الشعب المصرى، بماضيه المجيد العريق، ويصف له عظمة

الحضارة العربية، ويدعو معاصريه إلى إحياء هذا التراث، وذلك المجد».

وقرأ أيضاً .. كتاب «طبائع الاستبداد» لعبد الرحمن الكواكبى.. وخط بقلمه فيه، تحت كل السطور التى كان المؤلف فيها «يلوم الغرب لتحالفه مع الطغاة، واستثماره معهم الشعوب المغلوبة على أمرها عوضاً عن أن يحررها ويساعدها في إقامة أنظمة عادلة للحكم».

وقرأ أيضاً لعبد الرحمن الكواكبى كتابه الشهير «أم القرى» .. ووضع خطوطاً كثيرة تحت رأى ممثل مدينة الاسكندرية الذى وقف فى مؤتمر «مكة» يقول : «إن تخلفنا ناتج عن كبوتنا التى انقلبت إلى غفوة طويلة .. والذى ينقصنا هو القائد، والزعيم، الذى سيكون شريفاً، وقدوة للشعب .. وينقصنا أيضاً رأى عام قوى .. ».

وقرأ أيضاً .. عن جمال الدين الأفغانى، ومحمد عبده، وفولتير، وجان جاك روسو، ونابليون، وغاندى، وفيكتور هوجو، وأحمد شوقى، وحافظ إبراهيم .. و«قصة مدينتين» لتشارلز ديكنز التى نصح زملاءه فى مجلس قيادة الثورة فيما بعد، بأن يقرأوها جيداً «ليتحاشوا إراقة الدماء فى ثورتهم .. وليتأكدوا جيداً بأن العنف لا يولد إلا العنف».

وقبل كل هذا وذاك .. قرأ الطالب جمال عبد الناصر كتاب «عودة الوعى» لتوفيق الحكيم.. وخط فيه بقلمه تحت السطور التى تقول بأن الشعب المصرى .. «ينقصه ذلك الرجل المعبود .. الذى تتمثل فيه كل عواطف الشعب وأمانته .. ويكون له رمز الغاية .. عند ذلك لا تتعجب لهذا الشعب المستعد للتضحية .. إذا أتى بمعجزة أخرى غير الأهرام».

★★★

لم يكن توفيق الحكيم، قد سمع - وقتها - عن السد العالى.

ولم يكن قد سمع أيضاً عن أن بناءه قد استلزم مواداً وأحجاراً .. فاقت فى مجموعها ما احتاج إليه الهرم الأكبر .. بسبعة عشرة مرة.. «!!».

★★★

وسبعة عشر عاماً .. كان عمر جمال عبد الناصر وقتها.

صحيح أن ولعه كان مبكراً بالقراءة لكنها - فى رأى عبد الرؤوف جبريل - لم تكن كل حياته.

وعبد الرؤوف بالمناسبة : هو الذى كان يجلس إلى جواره فى الفصل.. وهو الذى عمل - بعد الثورة - مديراً لمكتبه بعض الوقت .. وكان أيضاً مثل جمال صموتاً .. متأملاً .. يحب الشعر .. وأحيانا يكتبه.

أما جمال .. فقد كان أميل إلى كتابة القصة .. وإن كان يحفظ - غيباً - قصيدة حافظ

إبراهيم «العمرية» التى كان شاعر النيل قد كتبها للإشادة بالخليفة «عمر بن الخطاب».

★★★

فى العاشر من مايو سنة ١٩٣٥ .. كان كل الطلاب يقضون أجازة العطلة الدراسية، فى المصايف، أو النوادى، أو فى بعض الحرف التقليدية.

جمال عبد الناصر وحده.. هو الذى كان مشغولاً فى هذا اليوم بشئ مختلف.

كان مشغولاً بكتابة أول سطر فى أول «قصة طويلة» يكتبها فى حياته.

لم يكتبها عن بنت الجيران .. أو أمنا الغولة .. أو مغامرات الفتيات.

كتبها عن كفاح أهالى رشيد ضد محاولة غزو الانجليز لمصر سنة (١٨٠٧) وأسماها «فى سبيل الحرية».

عفواً .. كتب منها خمسة فصول فقط .. ولم يكملها.

«وحين انصرف الطالب الأديب - جمال عبد الناصر - عن إتمام قصته، لم ينصرف إلا حين شعر بأن ذاته، قد صارت أدباً، وأنه هو نفسه، قد صار بفكره وجسمه وسلوكه .. دعوة صادقة إلى الحرية، والكرامة.

إنها وثيقة - من خمسة فصول - فى أيدى المؤرخين، تكشف لهم عن حياة البطل الكبير جمال عبد الناصر.

كيف كان يبحث فى صباه عن معلم، يستكشف منه أنوار الحرية التى يريد لها أن تسود الأرض.

ولما مر التاريخ من أمامه، وقد توغل قرناً وربع قرن .. إستحلفه الصبى أن امكث .. إنى رأيت قومى .. رأيتهم فى مدينة رشيد الباسلة .. عرفتهم .. هذه نار قلوبهم تضئ الطريق .. أيها التاريخ دعنى أقتبس من نورهم .. وأدفئ روحى بجذوة من قلوبهم.

ولما أذن له التاريخ .. أقتبس وأتى بالجذوة .. فكان من قبسه بداية قصة .. وكان من جذوته نار راحت تنمو وتنير .. كانت نار التحرير .. التى ذهبت بالطاغين وبالمظالم .. وأعادت كرامة الإنسان لكل فرد من أبناء الوطن»..!!

هذا ما كتبه - حرفياً - كمال الدين حسين عن هذه القصة.. وقت أن كان وزيراً للتربية والتعليم.

أما ما كتبه جمال عبد الناصر نفسه إلى حسن النشار أو إلى عبد الرءوف جبريل، وقت أن كانوا جميعاً طلاباً بمدرسة النهضة الثانوية.. فقد كان وثيقة أخرى أشد خطورة..!!



٧ - اللذة .. بالأمريكانى

«صديقى حسن

اتصلت تليفونياً بوالدك لأتنسم أخبارك .. فأخبرنى بأنك موجود فى المدرسة .. لذلك أكتب لك ما كنت سأكلمك فيه تليفونياً.

قال تعالى : { وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة } فأين يا صديقى هذه القوة التى نستعد بها لهم ؟! .. إن الموقف اليوم دقيق، ومصر فى موقف أدق .. ونحن نكاد نودع الحياة، ونصافح الموت.

إن بناء اليأس عظيم الأركان .. فأين من يهدم هذا البناء ؟!

إن فى الحكم حكومة قائمة على الفساد والرشوة .. فأين من يغير هذا الحال؟! .. إن الدستور معطل، والحماية البريطانية على وشك الإعلان .. فأين من يقول للاستعمار، قف عند حدك.. لأن فى مصر رجالاً ذو كرامة، لا يريدون أن يموتوا كالأنعام؟!

أين هذه الكرامة .. أين الوطنية .. أين ذلك الذى يسمونه رعونة الشباب؟!

كل ذلك قد غاب فى الآفاق، وظهرت الأمة نائمة كأهل الكهف.. فأين من يوقظ هؤلاء التعساء الذين هم عن حالتهم لا يعلمون.

لقد قال مصطفى كامل : لا حياة مع اليأس، ولا يأس مع الحياة.. ولكننا نجد الآن حياة مع يأس، ويأساً مع حياة .. لقد انقلبت الآية يا أخى، فرجعنا إلى الوراء، رجعنا خمسين سنة إلى الوراء .. رجعنا إلى حكم كرومر، ولكن كرومر وجد من أذله ، وشنع به فى عرض المعمورة.. فكانت النتيجة أن استقال .. ولكن أين من يشنع الآن ؟! .. إن الجميع يتمسحون

بأذيال الاستعمار، ولا يعرفون إلا الملق، والتزلف .. أين ذلك البلسم الذى تستظل بظله الوطنية، ويحتمى به الوطنيون ساعة الخطب المروع، وهو أثبت من الأطواد رأياً .. وأشجع من الأسود قلباً..؟!

أين كل ذلك، وقد عز النصير .. واسود المصير .. بل أين الوطنية التى كانت سنة ١٩١٩ تشتعل ناراً فى الصدور؟!

أين ذلك الذى يزود بدمه، ولسانه، وخطرات قلبه .. عن حياض هذا الوطن العزيز المقدس، مضحياً بالحياة والعمر فى سبيل الإستقلال.

لقد انتقلنا من نور الأمل، إلى ظلمة اليأس، ونفضنا بشائر الحياة، واستقبلنا غبار الموت.. فأين من يقلب كل ذلك رأساً على عقب، ويعيد مصر إلى سيرتها الأولى .. يوم أن كانت مالكة العالم .. أين من يخلق خلقاً جديداً، حتى يصبح المصرى، الخافت الصوت، الضعيف الأمل، الذى يطرق برأسه ساكتاً، صابراً، على حقه المهضوم، ساهياً عن التلاعب بوطنه، يقظاً، عالى الصوت، عظيم الرجاء، مرفوع الرأس، يجاهد بشجاعة وجرأة، فى طلب الاستقلال والحرية..

يقولون أن المصرى، يجزع من حفيف ثيابه فى وضح النهار .. ولكن يجب أن يتقدم من يقوده إلى مواقف الدفاع، ومواطن الكفاح، فيكون له صوت أعلى من صوت الرعد.. تتداعى لقوته أبنية الظلم والإستبداد .. فكل روح سكنت جسماً جاء من أبوين مصريين، لا ترضى بحالتنا الراهنة، ولا تأبى إلا أن تسيل دماؤها فداء للوطن العزيز، والجامعة الوطنية المقدسة.

قال مصطفى كامل: لو نقل قلبى من اليسار إلى اليمين، أو تحرك الأهرام من مكانه المكين .. أو تغير مجرى النيل .. فلن أتغير أو أحيد عن المبدأ.

ذلك يا صديقى .. كان مقدمة طويلة لعمل أطول وأعظم .. فقد تكلمنا مرات عديدة فى عمل يوقظ الأمة من غفوتها، ويضرب على الأوتار الحساسة فى القلوب، ويستثير ما كمن من القوى فى الصدور .. ولكن كل ذلك لم يدخل فى حيز العمل إلى الآن .. وعلى ذلك، فأنا منتظرك فى منزلى يوم (٤) سبتمبر سنة ١٩٣٥ الساعة الرابعة مساء .. لكى نتباحث فى الموضوع.. وأملى أن تحضر فى الموعد المحدد .. وسلامى إلى اشقائك والعائلة العزيزة.

من عند : جمال عبد الناصر - الخرنفش - ٣ حارة خميس العدس، فى يوم الأثنين ٢ سبتمبر سنة ١٩٣٥ ». (راجع الوثيقة الخامسة بملحق الوثائق).

★★★

فى يوم الأثنين (٢) سبتمبر سنة ٣٥ ..

أى أن جمال عبد الناصر - المولود فى ١٥ يناير سنة ١٩١٨ - كان عمره يوم أن كتب هذا

الخطاب إلى صديقه حسن النشار .. لا يزيد على سبعة عشر عاماً، وسبعة أشهر، وسبعة عشر يوماً بالتمام والكمال.

وشاب فى مثل هذه السن .. تزحف علامات الرجولة على صوته، ووجهه وشاربه، وأماكن أخرى فى جسمه كل يوم .. هل كان غريباً أن تشغله قضية وطنه المحتل إلى هذا الحد؟!

هل كان طبيعياأن تقفز مثل هذه الاهتمامات على أحاسيس المراهقة، وأخبار البنات.. حتى يكتب لصديقه مثل هذا الخطاب؟! .. أم أنه كان يختلف عن بقية جيله من الشباب؟!!

يقول الكاتب «الأمريكى» ولتون واين فى كتابه الهام «البحث عن الكرامة»:

- نوع الشباب الذى يتميز به جيل جمال عبد الناصر .. هو ذلك الشباب الذى لا يفضل شيئاً عن مظاهره سياسية، أو فوضى فى الشارع، أو معركة مع الشرطة .. لقد كنت أستاذاً جامعياً فى مصر، وفى الولايات المتحدة الأمريكية.. ومازلت أتعجب لهذا الفارق الهائل، بين حياة الطلاب فى كلا البلدين .. فلذة الطالب المصرى بثورة وشيكة الوقوع .. أو بمظاهرة جماعية، هى مثل لذة الطالب الأمريكى، فى مشاهدة مباراة بيسبول .. أو فى غزو غرف نوم التلميذات، وسرقة ثيابهن الداخلية.

★★★

هذه هى شهادة «أمريكية» من كاتب واستاذ جامعى عمل مديراً لمجلة «تايم» فى الشرق الأوسط .. لسنوات طويلة.

هذا هو «شاهد من أهلها» يعترف بأن «لذة المخاطرة» بالاشتراك فى مظاهرة سياسية، أو ثورة جماعية .. هى نفس «اللذة» التى يحسها المراهق، وهو «يخاطر» بغزو غرف نوم التلميذات، أو يسرق ثيابهن الداخلية.

الفرق - إذن - هو الهدف من «المخاطرة» ؟!

فهل هذا يكفى لكى نرى فى اهتمامات وأهداف جمال عبد الناصر فى سن المراهقة.. سلوكاً طبيعياً لا يختلف عن سلوك جيله من الشباب؟!

من المؤكد أن «أخبار الإنتفاضة الفلسطينية» هى الأخرى .. تستطيع الإيجاب.

من المؤكد أن أعمار الطلبة فى فلسطين المحتلة، تقطع بأن «الطبيعى» فى أى بلد محتل، هو بالضبط ما كان يقلق الطالب جمال عبد الناصر .. وكتبه إلى صديقه.

وتقطع أيضا : بأن الطبيعى هو أن تحتل هموم الوطن المحتل، مركز الصدارة فى قلب وعقل أبنائه وبناته الأوفياء .. ثم بعدها تأتى بقية الاهتمامات.

لكن كل ذلك - وهو السر - لم يمنع قلب الفتى الشاب جمال عبد الناصر من أن يخفق ،

وتزداد سرعة ضرباته - كلما رأى من بعيد تلك الفتاة، التى يراها أحياناً- فى طريق العودة من المدرسة - مع الآنسة همت النشار .. شقيقته فى الرضاعة.

على كل حال .. فى نهاية العام الدراسى الحالى .. ستقيم المدرسة حفلها المعتاد كل عام.. وفى هذا الحفل يختلط طلاب قسم البنين بمدرسة النهضة الثانوية، مع طالبات قسم البنات فى نفس المدرسة .. وسيكون أمامه فرصة العمر، لكى يراها عن قرب .. أو يتحدث إليها إن أراد، حينما يصطحبه صديقه حسن النشار ، شقيق الآنسة همت، ويذهبان معاً إلى الحفل لحراسة همت - وصديقتها! - من مضايقات بعض الطلاب.

★★★

قبل الرابعة من مساء الأربعاء، الرابع من سبتمبر سنة ١٩٣٥.. وهو الموعد الذى حدده جمال عبد الناصر فى خطابه إلى صديقه حسن النشار، وإلى غيره من الأصدقاء الذى طلب منهم الحضور إلى منزله للتباحث « فى عمل يوقظ الأمة من غفوتها » .. كان جمال عبد الناصر وأصدقاؤه قد حصلوا على وعد بلقاء مكرم عبيد وزير الشباب فى حكومة الوفد، ظهر الثلاثاء الموافق ١٢ فبراير سنة ١٩٣٥.

وعندما وصلوا إلى هناك .. رأوا مكرم عبيد يخرج من مكتبه مغادراً مبنى الوزارة قبل قليل من الموعد، الذى كان قد حدده للقائهم.. فلم يتردد جمال عبد الناصر، واندفع فى جرأة نحو الوزير الوفدى، حتى لحق به أمام «الأسانسير» قائلاً :

- سيادة الوزير .. لقد ألفنا وفداً من الطلاب .. وكنا نود أن نعرف رأيك كوزير للشباب فى أفضل طريقة لخدمة مصر؟!

وبلا اكتراث أحالهم الوزير على اللجنة التنفيذية للطلاب الجامعيين .. وكانت هذه اللجنة وقتها، تتخذ من «نادى الجامعة» مقراً لها فى شارع «المناخ» الذى هو الآن شارع عبد الخالق ثروت.

ولما ذهبوا إلى هناك وجدوا أعضاء اللجنة يتقاتلون ويتصايحون فيما بينهم، حول من يشغل منصب رئيس اللجنة.. ومن نائب الرئيس .. ومن أحق بمنصب أمين السر .. هل هو فريد زغلول، أم عبد الظاهر حسن، أم نور الدين طراف، أم طاهر نعمان، أم الدمرداش التونى، أم غيرهم من الأسماء الأخرى؟!

أحس جمال عبد الناصر بالمرارة وخيبة الأمل .. فهاهم طلاب الجامعة مشغولون بالصغائر.. والمحترفون الكبار مصالحهم الشخصية فوق مصلحة الأمة.

ورغم ذلك .. طلب من زملائه ألا ييأسوا، واقترح عليهم أن يشكلوا فيما بينهم، لجنة

وطنية من طلاب المدارس «الثانوية» .. حيث كانت هذه اللجنة هى أول تنظيم سياسى يشكله جمال عبد الناصر فى حياته. (انظر ملحق الصور فى نهاية الكتاب) .

على أننا فتشنا فى ذاكرة «معظم المعاصرين وأوراقهم»[1] .. فلم نعثر من أسماء أعضاء هذا التنظيم، الذى لا يزال مجهولاً فى حياة عبد الناصر .. إلا على أسماء : محمد عسكر، عبدالرؤوف جبريل، فيكتور عبد المسيح، محمد الهلالى، أحمد فريد، إبراهيم حسين العقاد، أنور صديق سلام، زكى إبراهيم، محروس صالح، إبراهيم فهمى، حسين عباس، أحمد الشافعى، محمود التونى، حافظ الرماح، صلاح الجندى، عز الدين فريد، أمبابى أحمد، عثمان فريد، حسن النشار، جمال عبد الناصر .. وغيرهم من الزملاء الذين فرقتهم مشاغل الحياة، وجمعتهم هموم الوطن، حتى بلغ عددهم (٢٤) طالباً فى مدرسة النهضة الثانوية وحدها .. قسمهم جمال عبد الناصر إلى ثلاث شعب، كل شعبة تتكون من (٨) طلاب، وتتولى مهام قيادية وتنويرية محددة بين باقى الطلاب، قبل وأثناء التظاهر أو الإضراب .. كما كانت بعض اجتماعات التنظيم تعقد فى القسم الداخلى من مدرسة النهضة بالدور الثالث.

إلى أن جاء اليوم الذى اعتبره جمال عبد الناصر أول اختبار حقيقى لقوة تنظيمه الوليد.

★★★

نحن الآن فى التاسع من نوفمبر سنة ١٩٣٥.

صمويل هُور.. وزير خارجية بريطانيا يقف فى «الجولد هول» بلندن .. ويؤكد بأن بريطانيا أبلغت رئيس الحكومة المصرية بأنها «ضد عودة دستور ١٩٢٣» بدعوى أن الشعب المصرى لا يستحق تطبيق مثل هذا الدستور..!!

راديو القاهرة، وجرائدها تنقل تصريحات «هور» التى تكشف رسمياً بأن توفيق نسيم الذى اختاره الانجليز، وأيده حزب الوفد رئيساً للحكومة المصرية، لا يزال يتلقى تعليماته من لندن حتى فى أدق شئون مصر الداخلية.

صحف القاهرة تستنكر تصريحات «هور» .. والأحزاب السياسية تنقسم على نفسها .. بينما الغضب يشتعل فى أوساط الطلاب..

جمال عبد الناصر – شاحباً مهموماً – يقطع فناء المدرسة عرضاً وطولاً.. الساعة فى يده، لا تزال السابعة والربع من صباح اليوم التالى مباشرة لتصريحات هور.

الآن .. وصل محمدعسكر، وحسن النشار، وفيكتور عبد المسيح.. ثم لحق بهم عبد الرؤوف جبريل، وأحمد فريد..

---

١ – حسن النشار ، وعبد الرؤوف جبريل ، وأحمد فريد ، وصلاح الجندى ، وأنور صديق .

الآن .. بدأ .. الفناء يمتلأ .. ويبدأ الطلاب يتحلقون حول جمال عبد الناصر.

الإتفاق الذى تم مساء أمس، هو أن النشار، وعسكر، وفيكتور، هم الذين سيوجهون الهتافات.. وزكى الجندى وآدم، وإبراهيم فهمى، وعز الدين فريد- ومعظمهم من الطلاب الرياضيين - هم الذين سيتولون حماية المظاهرة.

أما جمال عبد الناصر .. فعليه التخطيط واللافتات وتحضير الهتافات مع التحديد الدقيق لخط سير المظاهرة .. سيبدأ الهتاف أولاً «بتحيا مصر .. ويسقط هور» وإن كان قد تطور فيما بعد إلى «يسقط هور .. ابن الثور» ..!!

بعدها .. سيأخذون علم مصر، من معاون المدرسة، ويتجهون به إلى خارج الفناء فى انتظار وصول طلاب مدرسة فؤاد الأول الثانوية.. وإذا تأخروا فسوف يكون الإتجاه إليهم - أولاً - لإخراجهم.

فى الحالتين .. سيكون على كل المتظاهرين أن يتجهوا بعد ذلك إلى شارع الفجالة .. ثم يتوقفون فى ميدان «باب الحديد» لتنضم إليهم المظاهرات القادمة من شبرا أو من طنطا أو من بنها، عن طريق السكة الحديد .. على أن يتقدم كل مظاهرة علم مصر وعلم المدرسة الخاص بها.

ومن باب الحديد .. إلى شارع نوبار، ففندق شبرد .. لتعلوا الهتافات بسقوط بريطانيا أمام شرفات الفندق التى لا تخلوا يومياً من الضباط الانجليز وزجاجات الويسكى..

ومن هناك .. إلى جامع الكخيا، فشارع قصر النيل، فمكان التجمع النهائى، وسط ميدان الإسماعيلية .. المعروف الآن بميدان التحرير، حيث يلتقى معاً طلاب المدارس الثانوية بطلاب الجامعات، وتبدأ الخطب.. وتعلو الهتافات.

وكالعادة .. سيتدخل البوليس .. يضرب من يضرب .. ويعتقل من يعتقل .. ويفر الناجون ليبدأوا من جديد..!!

★★★

نفس السيناريو تقريباً حدث - أيضاً - صباح اليوم، الموافق ١٢ نوفمبر سنة ١٩٣٥.

والجديد .. هو أن المتظاهرين حينما وصلوا هذه المرة إلى كوبرى الملك الصالح، فاجأهم جنود «الكونستبلات» الانجليز - أى راكبى الدراجات البخارية - بإطلاق الرصاص، فتفرقوا سريعاً فى كل اتجاه.

وفى المساء .. اجتمع جمال عبد الناصر، رئيس اللجنة التنفيذية لطلاب المدارس الثانوية، مع عبد العزيز الشوربجى، مندوب اللجنة التنفيذية لطلاب الجامعة .. واتفقوا على تكرار

السيناريو أيضاً صباح الغد الذى يصادف عيد الجهاد.

فى الغد .. اخترق المتظاهرون شوارع العاصمة فى طريقهم للإنضمام إلى زملائهم طلاب الجامعة .. كما هو متفق عليه.

وما إن وصلت مظاهرات المدارس، إلى حى «الروضة» حتى فتح البوليس عليهم كوبرى عباس .. وحاصرهم بطلقات الرصاص، فأصيب الطالب إبراهيم شكرى .. واستشهد محمد جميل مرسى ، وعبد الحكيم الجارحى ، وطه عفيفى، فى الوقت الذى كان فيه جمال عبد الناصر قد اندفع هو وبعض زملائه فى أحد المراكب إلى أسفل الكوبرى، ونجحوا فى إغلاقه .. إلا أن البوليس فتح عليهم النار ثانياً من كل اتجاه، فصرخ جمال فى رفاقه، أن «تفرقوا .. على أن نتجمع ثانياً عند بيت الأمة» .. حيث السرادق الذى أعدته الأحزاب للإحتفال بعيد الجهاد.

★★

كل الشوارع المؤدية إلى بيت الأمة تموج بالبشر.

ها هى الجماهير تزحف إلى الاحتفال .. جنود الانجليز يحاصرون ثانياً جمال عبد الناصر وزملائه قرب بيت الأمة .. إنه هو نفس الفتى الأسمر الذى كان عند الكوبرى منذ قليل، يقود «الشغب» ولا يزال .. إنه يستحق .. إضرب يا جونى .. جوووه .. لقد تفجر الدم من جبهته.. وغطى عينيه ..!!

★★★

فى الصباح روت جريدة «الجهاد» قصة المعركة التى دارت بين قوات الإحتلال البريطانى، وجموع الطلاب .. وروت أيضاً، كيف أن الطلاب الجرحى قد احتموا فى مقرها الذى يقع فى مكان المعركة.

وضمن قائمة الجرحى .. كتب إسم «جمال عبد الناصر الطالب بمدرسة النهضة المصرية .. وقد أصيب فى مقدمة رأسه» (١) . (راجع الوثيقة السادسة بالملحق).

أما مجلة «المصور» .. فقد نشرت له أول صورة تنشرها الصحف فى حياته، وكتبت تحتها «الطالب جمال عبد الناصر رئيس اللجنة التنيفذية لطلبة المدارس الثانوية، يتصدر جموع الطلبة الثائرين، احتجاجاً على تصريح صمويل هور، الذى أنكر فيه على مصر عودة الدستور»..!

وعليه .. اضطرت الحكومة إلى تعطيل الدراسة فى كل المدارس لمدة شهر، واحتجت الصحف عن الصدور، وأحس الإنجليز بأن تصريح هور قد أعاد الأمة المصرية كتلة واحدة فى

١ - الصفحة الأولى من جريدة «الجهاد» الصادرة صباح ١٤ نوفمبر سنة ١٩٣٥ .

«صورة مصغرة لثورة ١٩١٩» [1] .. فأعلنوا أنهم « لا يمانعون فى عودة الديموقراطية إلى الشعب المصرى» .. وأصدر الملك فاروق فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٣٥، مرسوماً ملكياً بعودة دستور ١٩٢٣ .. وصدرت مجلة «المصور» تقول :« لقد انتصر أنصار الحرية .. لقد انتصر الشباب .. بل لقد انتصرت مصر كلها » ..

★★★

كان المرسوم الملكى بعودة الدستور، هو أيضاً، مرسوم ملكى بعودة كل الطلاب إلى مدارسهم.

طالب واحد فقط .. هو جمال عبد الناصر، توجه إلى مدرسته، فمنعه ناظرها - سليم زكى - من دخول المدرسة.

ومن حسن الحظ، أن ثلاثة من طلاب مدرسة النهضة الثانوية، شاهدوا حضرة الناظر.

الأول : رآه يمنع صديقهم جمال عبد الناصر من الدخول.

والثانى: بحث عن علبة الكبريت.

والثالث : نشر الخبر فى كل الفصول.

وفى دقائق معدودة .. كان كل الطلاب قد خرجوا بمقاعدهم إلى فناء المدرسة .. وهددوا بحرقها..!

ولأن النهضة الثانوية .. ليست مدرسة حكومية .. لأنها مملوكة لصاحبها، هى والمقاعد، والسبورات، وأصابع الطباشير.. فقد وقع قلب الرجل عند قدميه، وجرى إلى بيت جمال عبد الناصر .. وعاد به إلى المدرسة، على أمل أن يقتص منه فى الإمتحان .. إلا أن جمال أحس بنية «حضرة الناظر» .. فأغلق على نفسه، باب حجرته، وجلس يستعد جيداً لإمتحان البكالوريا .. الذى اقترب .



١ - صفحة (٢٠٢) من كتاب عبد الرحمن الرافعى «فى أعقاب الثورة» - الجزء الثانى .

٨ - الحب .. فى الأجزخانة

على غير ما توقع حضرة الناظر، نجح جمال عبد الناصر، ورسب صديقه حسن النشار .. فى إمتحان البكالوريا .

ولما أحس حسن بأنه قد أفسد برسوبه بهجة النجاح على صديقه .. داعبه قائلاً:

- يا عم جمال .. أنا سقطت مخصوص علشان تقدر تزورنى فى المدرسة باستمرار وتحضر معايا حفلة آخر السنة .. وتشوف حبيبة القلب وقت ما أنت عايز.

★★★

أحس جمال بأن صديقه حسن يريد - بهذه المداعبة - أن يغلق عليه باب العتاب الذى يتوقعه منه لكسله، وإهماله، وعدم التزامه بالعهد الذى تعاهدا معاً عليه وهو ألا يكون الإهتمام بالسياسة على حساب الدراسة.

لهذا : صمت جمال، وسرح بخاطره بعيداً فى حبيبة القلب، وفى عيون حبيبة القلب .. وفى المرة التى رآها فيها عن قرب .. فى حفل المدرسة.

سرح بخاطره وتمنى أن يقام هذا الحفل مرة أو مرتين على الأقل .. فى كل أسبوع.

هو يعرف جيداً بأن هذا الحفل لا يقام إلا مرة واحدة كل عام.

ولكن ما حيلته .. والشاعر يقول لمحبوبته :

أبغى الأنيس فلا أرى لى مؤنساً

إلا التردد حيث كنت أراك

صحيح أن قلبه المثقل بفقد أمه المبكر، وبفقد وطنه لنسمات الحرية .. جعله يتخيل أن هذا القلب المهموم، لا يستطيع ولا يتسع لحب أي فتاة، أو لقدرته على مبادلتها كلمات الشوق والغزل والمناجاة .. إلا أن صديقه حسن عرف بعدها، لماذا كان يسمعه يدندن لنفسه في مرات كثيرة، بالأغنية الشهيرة «جفنه .. علم الغزل» .. وكأنه - في كل مرة - يكتشف معانيها ويتذوقها للمرة الأولى.

وكيف لا يدندن - فوق سطح منزل صديقه حسن النشار - وكعب بن زهير قد أنشد من قبله قائلاً :

«بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
وما سعاد غداة البين[1] إذ هلت
إلا أغن [2] غضيض الطرف [3] مكحول [4]
هيفاء مقبلة، عجزاء مدبرة
لا يُشتكى منها قصر .. ولا طول»

بالضبط : هي - فعلاً - شقراء، هيفاء، كحيلة العين .. وكأن «كعب بن زهير» .. رآها معه في حفل المدرسة.

★★★

في الكلية الحربية، ملف من الورق المقوى المهترئ عند أطرافه، يحمل إلى الآن اسم الطالب جمال عبد الناصر حسين.. ويحمل رقم (٢٤٣٤) .. وضمن الأوراق العديدة التي ضمها هذا الملف .. ورقتان. «راجع ملحق الوثائق» .

الأولى : تقرير عن الطالب المذكور، مكتوب وموقع بمعرفة اللواء عبدالواحد عمار، الذي كان يدرس له وقتها، مادة المدفعية والقانون العسكري .

والثانية : كشف بدرجاته في امتحان التخرج من الكلية.

في الورقة الأولى: يقول اللواء عبد الواحد في تقريره .. «الطالب جمال عبدالناصر يتصرف كالرجل الكامل .. لا يبتسم إلا نادراً، متزن، ملتزم، يقدر المسئولية، محب للقراءة، واسع الإطلاع، متقدم في الدراسة .. وهو أيضاً طالب مثالي يحبه رفاقه، وأساتذته جميعاً.. وبفضل بنيته القوية يتحمل بصبر لا ينضب دروس الرياضة البدنية.

---

١ - البين : الفراق
٢ - الأغن : الظبي الصغير الذي في صوته غُنَّة .
٣ - غضيض الطرف : مسدل النظر .
٤ - مكحول : سواد يعلو جفون العين من غير اكتحال .. وهو من صفات الجمال .

وبما أنه لم يقترف أي ذنب يستوجب العقاب منذ التحاقه بالكلية الحربية فى ١٧ مارس سنة ١٩٣٧ وحتى الآن .. فقد رأينا تعيينه عريفاً على زملائه» .

وفي الورقة الثانية : يقول بيان درجات الطالب جمال عبد الناصر حسين فى امتحان التخرج، بأنه ناجح وحاصل على ٧٩٪ من مجموع الدرجات النهائية للامتحان .. موزعة على مختلف مواد الدراسة كالآتى:

●● فى مادة التاريخ العسكرى حصل على ٦٨٪ من الدرجة النهائية.

●● وفى مادة التنظيم الوطنى حصل على ٧٢٪.

●● وفى مادة الرياضيات والعلوم حصل على ٨١٪.

●● وفى مادة التنظيم الإدارى حصل أيضاً على ٩٥٪.

وعلى هذا يكون الطالب جمال عبد الناصر حسين قد تخرج فى الكلية بتفوق واضح اعتباراً من «أول يوليو ١٩٣٨» وعين فى الكتيبة الخامسة مشاه التى لحق بها فى منقباد.

★★★

ها هو يطل من نافذة القطار المتجه إلى مدينة أسيوط، فيرى الشجر، والحقول، والبيوت، وأعمدة التليفونات تطارد بعضها بعضاً .. بينما سنوات طفولته، وشوارع قريته، وبيت جده فى بنى مر .. تتسابق هى الأخرى فى رأسه، فيرى نفسه فوق ظهر الحمار، بين نفس الحقول ونفس الفلاحين «الحفاة» .. الذين كان يراهم زمان ، وهو طفل..

هو يعرف جيداً أن من بين هؤلاء الفلاحين جاء أحمد عرابى، الذى تصدى للخديو، وقال له : لقد خلقنا الله أحراراً .. ولن نصبح عبيداً بعد اليوم.

ومن المؤكد أن الفلاحين فى القرية التى جاء منها عرابى - فى محافظة الشرقية - لا يختلفون كثيراً عن الفلاحين فى قرى الصعيد .. فلماذا لا يحلم هو الآخر، باليوم الذى يستطيع فيه مع رفاقه.. التصدى للطغاة ، واستكمال الطريق الذى بدأه عرابى.

على أية حال : ها هو قد وصل إلى منقباد، منذ عدة أيام واقترب أكثر من زملائه الجدد.. وإن كانت الغربة لا ترحمه من التفكير فى والده، وأشقائه، وأصدقائه القدامى .. وكذلك فى حبيبة القلب البعيدة .. فاليوم هو الثانى من أغسطس سنة ١٩٣٨ .. والشهر يكاد يكتمل، وهو هنا دون أن يسافر إلى القاهرة ليراهم..

إذن : لا بأس من أن يكتب لهم..

«عزيزى عبد الرؤوف جبريل..

أبلغ تحياتى وأشواقى الزائدة لرؤياكم.

وصلت منقباد .. والقشلاق يبعد عن المحطة ٣ كيلو مترات .. ويوجد طريق جميل يوصل بينهما بالإسفلت .. وشجر السنط على جانبى الطريق، لايحجب عن الرؤية المنظر الجميل لتلك الحقول الكثيرة جداً، المزروعة ذرة «عويجة» .. أظنك لا تعرفها ،.. لأنها لا توجد فى الوجه البحرى ..إذ أن كل عود ذرة .. ينبت «كوز» واحد فقط .. شايف العز؟!!

وهذه الأرض المنخفضة، تملأ بالمياه أيام الفيضان، وتبقى ملآنة، حتى أوان البرسيم.. طبعاً مناظر جميلة .. وجميلة جداً .. فهى تستمر حتى مسافة ٩ كيلو مترات، وتحد بسلسلة جبال عالية جداً من الجنوب الشرقى، إلى الجنوب الغربى .. أما الشمال فمزروعات جميلة أيضاً.

وقد وجدت بندقية عيار (١٦) وسأخرج يوم الخميس، لصيد الطيور، إذ أنها تكثر فى شجر السنط.

الحياة - يا عبد الرءوف - فى منقباد ظريفة .. إذ أننا (١٤) ضابطاً، منهم (٧) ضباط فى الأورطة الرابعة، وكذلك (٧) آخرون فى الأورطة الخامسة.. ونحن أصدقاء جميعاً .. ومكونين مجموعة مسلية، ويوجد مجموعة من الضباط، أخلاقهم حسنة جداً .. وأسيوط - بالمناسبة - أقل حجماً من طنطا .. وسوف أنزل أسيوط فى كل أسبوع مرة واحدة.

ولك تحيات أخوك :

«جمال عبد الناصر»

إنتهى خطاب الملازم جمال عبد الناصر إلى صديق دراسته فى مدرسة النهضة الثانوية عبد الرؤوف جبريل.

إنتهى الخطاب الذى نقرأه اليوم لأول مرة.. لنتلمس معاً عقلية صاحبه منذ وقت مبكر .. ولنتوقف أيضاً عند نظرته الشاملة، وعقله المرتب.. الذى يحدد موقع عمله بالضبط، ويصفه وصفاً علمياً دقيقاً، لا وصفاً شاعرياً فقط.

فالقشلاق يبعد عن المحطة «كذا» كيلو متر، والأرض المنخفضة تحيطها الجبال العالية .. والمقارنة بين الذرة فى منقباد ، والذرة فى وجه بحرى لا يقدر عليها إلا فلاح متمرس ، ولا يلحظها شاب مستهتر ، منغمس فى حياة المدينة .. ثم المقارنة بين حجم أسيوط وطنطا.. وبين الضباط وبعضهم البعض .. فهذا البعض ظريف وهذا البعض مسلى .. وهذا البعض أخلاقه حسنة جداً .. وهذه الصفات الثلاثة، لابد أنها ترمز إلى أشياء متبادلة بينه وبين صديقه عبد الرؤوف .. وإلا لكان قد استعمل صفة واحدة

محايدة .. فى وصفه لكل زملائه الضباط.

★★★

نفس الشئ حدث أيضاً عندما انتقل جمال إلى مدينة الخرطوم ... عاصمة السودان.

نفس المعانى نستطيع أن نتلمسها فى العديد من رسائله إلى الأهل والأصدقاء.

هذه - مثلاً - رسالة أخرى بعث بها من الخرطوم إلى صديقه حسن النشار فى السادس من ابريل سنة ١٩٤١ .. ينتقد فيها سلوك «وألاعيب» بعض زملائه الضباط، الذين لاهم لهم - فيما يبدو - سوى التفنن فى أساليب «معاكسة البنات»..!!

يقول جمال عبد الناصر :

«الضباط يا حسن كل واحد مختار له محل، علشان البنت اللى فى المحل .. وواحد مختار الأجزخانة .. أما هذا الواحد، فإذا دخلت حجرته، فسوف تجدها عبارة عن مخزن أدوية.. كل يوم يذهب إلى الأجزخانة، ليشترى منها أى حاجة .. ومرة قال لنا أنه لم يشتر اليوم سوى أسبرينه واحدة فقط بقرش تعريفه .. ومع ذلك فقد وقف مع البنت البائعة فى الصيدلية نصف ساعة تساوى شلن .

و.. ثانى يوم ذهبت إلى الأجزخانة، وقابلت البنت .. فقالت لى : «إنتوا كان عندكوا إيه إمبارح» .. كل الضباط جاءت واشترت اسبرين .. هو كل الضباط راسهم وجعاهم .. ولا إيه؟ حاجة تكسف يا حسن .. آدى يا سيدى الضباط «!!»

على فكرة .. أعرفك أن الخرطوم مافيهاش مجارى .. وفى الجرادل متسع للجميع.. والحكومة متعهدة بنزح الجرادل يومياً «!!».

هل تتصور يا حسن أن الأورطة - أى الكتيبة - تدفع مبلغ ٨٠٠ جنيه فى السنة ثمناً لنزح هذه الجرادل ؟!!

هل تعقل هذا يا أستاذ..؟!».

★★★

ومن جبل الأولياء هذه أيضاً رسالة أخرى.

هذه رسالة كتبها الضابط الشاب جمال عبد الناصر إلى نفس الصديق .. هذه رسالة أبلغ من أى تعليق.

تقول الرسالة : «خلف الخزان - تستطيع يا صديقى أن ترى مياه الفيضان محجوزة، والنيل يصل إلى مدى البصر فى الإتساع .. المياه زرقاء .. والقمر يعكس نوره الفضى. تصور كل هذه المناظر، وعليها شوية نسيم عليل كمان .. !!

بالرغم من ذلك كله .. فأنا لا أستسيغها.. ولا أحس لها طعماً .. فمثلها فى عينى، مثل أى صحراء، علماً بأنى - كما تعلم - لم أكن كذلك من مدة .. فهل مات الشعور؟!

هل ماتت عاطفتى يا حسن ؟! .. سؤال أسأله لنفسى مرات عددة، ولكننى لا أعرف الجواب .

ربما يكون السبب هو أن المصريين فى السودان، ليس لهم فى الحقيقة أى حس، أو صوت.. سواء فى ذلك الحكومة المصرية، أو الأهالى .. إننى أشعر بأن السودان مازال إلى الآن مصرياً بالاسم فقط.

حسن دى حاجة تسد النفس»..!!

●● لماذا..؟!!

لخيبة أمل ضابطنا الشاب فى تلك الفئة التى - كما يقول - كان « من المفروض أنها ترفع مجد البلاد » ..!!

والدليل : هو ما كتبه أيضاً - من الخرطوم - فى أغسطس سنة ١٩٤١ .. حيث كتب يقول : الحياة تختلف الآن يا حسن، اختلافاً كلياً، عما كانت عليه فى الماضى .. وطبعاً فى هذا الإختلاف ، تأثيراً على النفس.. وعلى الفكرة التى كونتها عن الحياة..

والحقيقة أن كل ما كنت أعتقده فى سنة ١٩٣٦، وما حولها من الأيام ، يتغير تغيراً مستمراً، وتثبت لى الأيام أن تفكيرى فى تلك الأيام الماضية، كان خطأ .. وأن نظرياتى ونظرياتك أيضاً كانت كلها من بنات الخيال .. وأن الحقيقة الآن تهدم هذا الخيال بالنسبة لى..

تصور كلامى وتعجب يا حسن .. جرى إيه لجمال عبد الناصر .. ولكن إذا عشت ربع المدة التى عشتها فى هذا الجو .. لكنت ألعن من ذلك ..!!

الإخلاص معدوم .. والذمة مفقودة .. والضمير لا تسمع عنه .. حتى أنى أعتقد الآن، أننى بدأت أفكر فى نظرية تقول : إذا كنت أنا الوحيد فى هذه البيئة الذى اعترف بالضمير، واعترف بالذمة.. فطبعاً سأكون مغبوناً جداً .. إذ أن كل البلاوى ستقع على هذا الذى لا يرضى للذمة بديلاً..

فاكر يا حسن نظريات الإصلاح التى كنا نتباحث فيها زمان .. وقدرنا لها (١٠) سنوات.. لقد قدرت لها الآن (١٠٠٠) سنة، ونكون كسبانين كمان .. طبعاً فى الجو الهايص الذى نعيش فيه..

برضه راح تقول جمال عبد الناصر جرى له إيه .. ولكنى أقول لك هذا الكلام لأعكس لك

واقع الخبرة .. والإحتكاك بفئة من الفئات المفروض أنها ترفع مجد البلاد..»!!

★★★

الإخلاص معدوم .. والذمة مفقودة .. والضمير لا تسمع عنه..

تلك كانت قضية الضابط الشاب جمال عبد الناصر فى «عز شبابه» .. وهو - بالضبط - فى الثالثة والعشرين من عمره.

تلك هى الحقيقة التى رفضها، ولم يتواءم معها، عند احتكاكه «بفئة من الفئات المفروض أنها ترفع مجد البلاد »

لم يتواءم معها .. فأضافت إليه «هماً» جديداً ثقيلاً .. بات يؤرقه، ويعطل - فى رأيه - نظريات الإصلاح الذى سبق أن قدر لها ١٠ سنوات.

وكيف لا تؤرقه .. وهو الذى سبق أن كتب منذ أقل من أربعة أشهر فقط - أي فى أبريل ١٩٤١ - إلى نفس الصديق، يحثه، من جبل الأولياء فى السودان، على الجد والإجتهاد للإسراع بالحصول على ليسانس الحقوق.

وبعدها :« سيكون أمامك يا حسن طريق المستقبل .. ولكنه يحتاج إلى جهاد.. ولا لذة لمستقبل بدون جهاد .. فالحياة الخاوية الخاملة، تنعدم فيها اللذة.. وطبعاً حياة بدون لذة .. لا تعد حياة ...« هذا ما أنا مؤمن به .. واقول لك ذلك يا حسن حتى لا تتململ من جهادك بعد الليسانس إن شاء الله » .!!

★★★

هذا هو ما يؤمن به جمال عبد الناصر .. حياة خاوية، خاملة .. لا تعد حياة .

لا مفر إذن من العمل .. لا مفر فى رأيه من البحث فى المحن عن أسباب الأمل.

والدليل : هو أيضاً .. ما سبق أن كتبه - إلى صديقه حسن النشار - فى اليوم التالى مباشرة لوصوله إلى منقباد.

«صديقى حسن ..

تسلمت عملى أمس فى منقباد .. وهى مكان جميل وشاعرى يبعث على التأمل .. وهى تجمع بين الصحراء والجبال، والمزارع، والبرك والأنهار.. ففى الشمال مزارع، وفى الجنوب سلسلة جبال تمتد من الجنوب الشرقى إلى الجنوب الغربى .. وتطوق الصحراء بسواعد جبارة عاتيه ..!

ويسرنى يا حسن أن تعلم بأن أخلاقى مازالت متينة .. وأن جمال الحاضر، أو الموجود فى منقباد.. هو طبعاً جمال الذى تعرفه منذ زمن بعيد .. جمال الذى يبحث عن آماله فى الخيال،

فتفر منه كالأشباح.. جمال القوى الذى يبحث فى المحن عن أسباب الأمل . وإلى أن أراك لك وللأسرة العزيز تحيات أخوك :

«جمال عبد الناصر»

جمال الذى يبحث عن آماله فى الخيال .. «فتفر ـه كالأشباح».

تفر منه السطحية، والفجاجة .. لتطل جذوره علينا بكل هذه البلاغة، التى هى ليست فقط واقعية، وإنما هى أيضاً رومانسية وشاعرية .. عاشقة للخضرة والماء .. والوجه الحسن.

وجه حبيبة القلب التى رآها لأول مرة عن قرب .. فى حفل المدرسة.

يومها :اهتز جسده .. وخفق قلبه .. وظهر عليه الإرتباك والخجل.. فأدرك على الفور بأنه قد وقع فى الحب .. ولا أمل..!!

★★★

يروى أن «ابن سينا» [1] قد جاءوا إليه بمريض يتأوه من الألم .. وأخبره أهل المريض بأنهم استدعوا لمريضهم أمهر الأطباء، فلم يفلح أحد منهم فى تخفيف ما به من آلام.

ولما فحصه ابن سينا هو الآخر، فحصاً دقيقاً، لم يجد به أى نوع من أعراض الأمراض المعروفة له .. فأطرق ابن سينا برأسه ، وفكر طويلاً .. ثم وضع يده على قلب المريض، وسأل قريب للمريض أن يذكر اسماء المدن والقرى المجاورة.

فأخذ قريبه يذكرها قرية ، قرية .. ومدينة ، مدينة .. فشعر العالم الطبيب بأن ضربات قلب المريض ، قد ازدادت عند سماعه لاسم إحدى القرى المعينة.. عندها ، اعتدل ابن سينا وطلب من قريب المريض أن يذكر أيضاً ربوع هذه القرية .. فلاحظ أنه عند ذكر ربع معين منها أسرع نبض المريض .. فطلب منه ابن سينا أيضاً أن يذكر اسماء الأسر التى تقطن ذلك الربع .. فشعر أن نبض المريض قد ازدادت سرعته أكثر عند ذكر اسم أسرة بعينها .. فعاد ابن سينا وطلب من قريب المريض أن يذكر اسماء فتيات تلك الأسرة البالغات غير المتزوجات .. بينما هو لا يزال يضع يده على قلب المريض.

فلما أخذ القريب يذكر اسماء تلك الفتيات .. واحدة .. واحدة .. لاحظ ابن سينا، أن نبضات قلب المريض قد زادت زيادة كبيرة، واعترته هزة شديدة.. ثم أرسل آهة حزينة كادت تفتت قلوب الحاضرين من أهله، عند ذكر اسم فتاة منهن بعينها..!!

عندها : قال العالم الطبيب لأهل المريض، بأن ابنهم متيم بحب هذه الفتاة .. وأن حبه لها،

---

١ – صفحة (٢٧) من كتاب «المرأة عبر التاريخ» لحسن محمد جوهر .

هو سبب مرضه وبلواه.. «!!!».

★★★

صحيح أن الدكتور يحيى الرخاوي ذكر هو الآخر في بحث عنوانه «الإنسان ذلك المجهول» بأن بعض العلماء يرون فعلاً أن «الحب مرض عضال لا يشفى منه من يصاب به»..!!

إلا أن الدكتور نقولا فياض، يرى فى كتابه «من نافذة العقل» بأن «الحب .. كالسم، فيه الداء ، وفيه الدواء»..!!

●● كيف ..؟!!

يقول الدكتور نقولا :« إذا كان المحب من الأقوياء عقلاً، وبدناً، وإرادة .. فالحب عنده يبعث على النشاط، وينعش الطموح، ويحفظ الصحة .. وصفاء الروح.!

أما إذا كان المحب، ضعيف الإرادة، قصير الحيلة، قليل الصبر والإحتمال .. فكثيراً ما يكون الحب عليه، أفتك من السم .. وأشقى من الوبال»!!.

★★★

هل كان حسن النشار هو «ابن سينا » الذى «أخبر أهل صديقه» .. فباعد بينه وبين السعادة؟!

أم أن جمال عبد الناصر نفسه .. هو الذى كان محباً من الأقوياء .. عقلاً .. وبدناً .. وإرادة ؟!!



٩ - عبد الناصر .. ومارلين مونرو

خفق قلب الطالب جمال عبد الناصر فى حفل المدرسة .. لتلك الفتاة الشقراء الهيفاء .. كحيلة العين.. على طريقة الرئيس جون كيندى، حينما رأى «مارلين مونرو».. لأول مرة..!!

كان اليوم - يومها - هو ١٨ أبريل سنة ١٩٦٢.

والمناسبة : هى احتفال البيت الأبيض بعيد ميلاد الرئيس الأمريكى جون كيندى.

فى الحفل .. قدم المغنى «فرانك سيناترا» صديقته مارلين مونرو، إلى الرئيس جون كيندى .. وإلى أخيه - المدعى العام - روبرت كيندى..

كانت مارلين ليلتها فى قمة الجمال والأنوثة.. خيوط الإضاءة الخافتة تتراقص فوق تضاريس جسدها البرونزى العارى .. الكل يبحلق .. والكل يأكلها بعينيه.. والكل يتمنى لو اقتربت منه.

وفى لحظة خاطفة .. وضعت مارلين - ممثلة الإغراء الشهيرة - عينيها فى عينى الرئيس كيندى .. واقتربت منه بصدرها .. ثم تطلعت إلى أخيه روبرت .. وقررت أن تحتويهما معاً.. فى فراش واحد ..!!

انتفض قلب الشاب الحالم جون كيندى .. وسرت فى جسده رعشة خفيفة .. أحس بعدها بأنه قد وجد فى مارلين مونرو النموذج الذى يشبع رومانسيته الحالمة ..! أحس بالضبط .. بأن نظرتها المكسورة، وابتسامتها البلهاء .. بركان الأنوثة الذى يمنيه بكل ما ينشده ..!!

هى كانت تعلم جيداً بأن «جو» إنسان رومانسى حالم .. وأن الأهم من الجنس عنده، هو كلمات الحب الساخنة .. على ضوء خافت .. وموسيقى هادئة ..

لهذا .. أجادت دورها جيداً .. فهمس لها برقم تليفونه «الخاص» .. وتكررت اللقاءات.. وهمست له – هى الأخرى – بكل قاموس العشق.. والوله .. والإخلاص.!!

أما شقيقه روبرت الذى لا يعرف الرومانسية.. فقد اختصر الطريق .. ودخل إلى مارلين مونرو مباشرة، عن طريق «الفراش» .. فأحبته بجنون .. وراحت تخطط للزواج منه .

كل ذلك والمخابرات الأمريكية تراقب اللعبة، وأطرافها الكبار فى حذر شديد.. ولما أحست بأن القطة – المتقلبة المزاج – بدأت تنشب أظافرها فى هيبة وكرامة الدولة العظمى .. ضيقت عليها الخناق..

ويوماً بعد يوم .. إنهارت القطة اللعوب .. وراحت تصرخ .. وتصرخ .. وتضرب رأسها فى كل الحوائط..

عندها : كان لابد من أن تختفى من ملعب الكبار..

وفى يوم ٤ أغسطس من نفس عام ١٩٦٢ .. خرجت كل صحف العالم تقول :

«عثر أمس على نورماجين بيكر .. الشهيرة بمارلين مونرو .. جثة هامدة فى سريرها – بحجرة نومها – بالقصر الفخم الذى تمتلكه بحى بيفرلى هيلز بهليود .. وقد عثر عليها شبه عارية .. وبجوارها زجاجتان من الحبوب المنومة فارغتان»!!.

وفارغتان .. قفزت – إلى الدنيا – دائرتان.

واحدة : تقول – أنها انتحرت .

والثانية : تؤكد أنها .. «نُحِرت» ..!

★★★

على أية حال .. لايهمنا فى كل هذه القصة .. إلا رومانسية الرئيس كيندى التى أوقعته فى حب «مارلين مونرو».

وهى بالطبع .. تختلف كثيراً عن رومانسية جمال عبد الناصر التى أوقعته فى حب فتاته الشقراء.

وتختلف أكثر فى أن جمال عبد الناصر لم يشاركه شقيق أو صديق، فى حب تلك الفتاة.. لم تكن «بنت باشا» .. ولم تكن ممثلة .. وربما لم تكن تعرف – أيضاً وقتها عن السينما أو الإغراء .. إلا أنها تسكن أمام سينما «فيكتوريا» مباشرة .. وأنها تقرأ على حائط السينما – أحياناً – لقب «ممثلة الإغراء».

رغم ذلك : أقسم الاستاذ صلاح منتصر فيما كتبه على صفحات «الأهرام» . بأنها كانت

«تنتمى إلى اسرة من الباشوات، وكان من عادتها أن تذهب كل يوم أربعاء إلى سينما ديانا لتشاهد فيلم الساعة الثالثة بعد الظهر.. وكان جمال عبد الناصر حريصاً على أن يكون دائماً على باب السينما كل أربعاء، إنتظاراً لرؤية الفتاة التى أحبها فى صمت»..!!

وكما نعلم .. لم يكتف الاستاذ منتصر بتلك الرواية الملفقة .. وإنما أدعى أيضاً بأن جمال عبد الناصر، تجرأ بعد ذلك، وطلب يد فتاته « من والدها الباشا.. الذى ثار عليه ... وربما طرده من المنزل، لفقره وسمار بشرته»..!!

وعليه .. أفتانا أيضاً بأن جمال عبد الناصر .. «تولدت لديه عقدة خاصة من الباشوات.. وكان أول قرار يصدره مجلس وزراء يوليو بعد طرد الملك فاروق مباشرة، هو قرار إلغاء الرتب والألقاب» .. ليقتص به جمال من «كل الباشوات» .. لا فقط من والد الفتاة التى أحبها .. وتمنى أن يتزوجها.. «!!!».

★★★

فرق كبير بين دور المخابرات الأمريكية فى «اختفاء الحبيبة» فى قصة غرام جون كيندى.. و«إخفاء الحقيقة» فى قصة غرام جمال عبد الناصر.

فى قصة كيندى : لم تُضبَط المخابرات الأمريكية «متلبسة» بنحر مارلين مونرو .. وإن كانت مجلة أكتوبر - التى يرأس تحريرها الآن الاستاذ صلاح منتصر - قد ذكرت فى (١٥) أغسطس سنة ١٩٨٢ بأن «الطبيب الشرعى الذى قام وقتها بفحص جثة مارلين مونرو، اعترف أخيراً على صفحات الصحف الأمريكية، وبعد ٢٠ عاماً من الوفاة .. بأن المخابرات الأمريكية أجبرته يومها على التوقيع على شهادة وفاة مزورة.. تقول أن مارلين مونرو توفيت بسبب تناولها لكمية كبيرة من الحبوب المنومة.. واعترف أيضاً بأن المخابرات كانت تخشى أن تكشف مارلين عن الخطط السرية لاغتيال الرئيس المصرى جمال عبد الناصر، والرئيس الكوبى فيدل كاسترو .. والتى علمت بها بسبب علاقتها الخاصة جداً بروبرت كيندى الذى كانت تريد الزواج منه .. ولكنه رفض.

وخشية أن تنتقم مارلين من روبرت بإفشاء مثل هذه الأسرار .. قتلتها المخابرات»..!!.

هذا ما اعترف به الطبيب الشرعى فى قصة غرام «إخوان كيندى» . أما فى قصة غرام جمال عبد الناصر.. فقد «ضُبط» صلاح منتصر «متلبساً بنحر الحقيقة» على صفحات الأهرام.. بل ومع سبق الإصرار والترصد .. ذلك لأن حسن النشار، اتصل به وذكر له حقيقة القصة كاملة، بل ودعاه إلى منزله ليطلعه على ما يؤكدها بخط جمال عبد الناصر نفسه - وهو الخطاب المنشور حرفياً فى ملحق الوثائق - ورغم ذلك رفض صلاح منتصر الدعوة .. ورفض أن يصحح ما روج له كذبا على صفحات الأهرام .. بل وأصر على أن تظل الحقيقة

هكذا - وكما يودون - مذبوحة ..!!

وعليه : لم يكن أمام النشار إلا أن يجلس، ويعد بخطه «مسودة» خطاب إلى إبراهيم الزيادى المحامى .. يقول فيه :

«بالإشارة إلى مراجعتكم لبعض ما ورد بمقال الاستاذ صلاح منتصر بالأهرام، عن علاقة حب من طرف واحد بين جمال عبد الناصر فى شبابه ، وإحدى الفتيات الشقراوات، وذهابه لرؤيتها أمام سينما ديانا كل يوم أربعاء، ومحاولته التقدم لخطبتها من أبيها الباشا الإقطاعى.. أقول أن هذه الرواية، غير صحيحة، ومختلقة تماماً من قائلها، وناقلها .. وقد طلبت من الاستاذ منتصر تليفونيا تصحيح الواقعة، وعرضت عليه حضوره لزيارتى، والإطلاع على ما كتبه عبدالناصر بمذكراته لدى بخط يده، فى فترة الثلاثينيات، بشأن هذه الموضوعات عندما شرع فى الزواج .. لكن صلاح منتصر.. لم يفعل»..!!

و .. لم يكمل صديق عبد الناصر خطابه إلى الزيادى .. وبالتالى لم يرسله له من الأساس، لأنه تذكر وهو يكتب «مسودة» الخطاب - المرفقة - بأن الزيادى نفسه لم ينطلى عليه ما كتبه منتصر.

أما لماذا إبراهيم الزيادى بالذات، فلأنه كان - وقتها - مديراً لجريدة «الشعب» الناطقة بلسان حزب العمل .. ولأنه كتب على صفحتها الرابعة منّ العدد الصادر فى (٩) أغسطس ١٩٨٣ .. مقالاً أكد فيه أنه «ومعه كثيرون» مثله ممن عاشوا قبل الثورة، وعاصروها حتى الآن «ينفون بشدة» أن يكون ما ذكره صلاح منتصر حول فشل جمال عبد الناصر فى الزواج، من بنت باشا زمان .. ينفون أن يكون ذلك هو السبب الحقيقى - إن صحت الرواية أصلاً - وراء قيام عبد الناصر بإصدار قانون إلغاء الألقاب، وقانون الإصلاح الزراعى .. أو حتى وراء التعجيل بصدورهما...!!

ودلل الزيادى فى نفس المقال على أن منتصر «أغفل ذكر حقيقة» أن عبد الناصر، أصدر هذين القانونين «استجابة لرغبة الشعب» .. ولرغبة بعض أحزاب الشعب التى «لاشك فى أن الصحف ومضابط مجلس النواب، ومجلس الشيوخ قبل الثورة، مازالت تنطق بها إلى اليوم.. وكان واجباً الرجوع إليها مادمنا نكتب للتاريخ .. وللحقيقة»!!

★★★

للتاريخ والحقيقة: المدقق فى صورة «مسودة» الخطاب الذى فكر حسن النشار فى كتابته إلى إبراهيم الزيادى، يستطيع أن يتبين بسهولة أن النشار شطب على سطر فيه يقول :

«.. والمرحوم الأستاذ أحمد حسين - رئيس حزب مصر الفتاة - وحرمه أطال الله بقاءها

كانا يعلمان.. ».

و .. لم يكمل النشار القول بأنهما كان يعلمان « أصل وفصل وحقيقة الفتاة التى أحبها جمال عبد الناصر ».

لم يكمل .. لأنه أدرك بأنه إذا قال ذلك فى خطابه إلى الزيادى .. فلابد وأن يشرح له قصة الغرام كاملة.. وأن يذكر له أيضاً، بأن جمال عبد الناصر حينما رأى فتاته لأول مرة، فى حفل مدرسة النهضة الثانوية .. كانت معها زميلتها همت شقيقة حسن النشار نفسه .. وزميلتها زينب عبد الفتاح حسين .. بنت شقيق أحمد حسين، والتى أصبحت فيما بعد زوجة لشقيق حسن النشار .. وكثيراً ما استرجعوا سوياً هذه الذكريات .. «راجع الوثيقة التاسعة فى ملحق الوثائق».

★★★

كانوا يومها ثلاث فيتات يجلسن سوياً فى حفل المدرسة.

فتاة عبد الناصر .. ثم الآنسة همت .. ثم الآنسة زينب عبد الفتاح.

وفى هذا الحفل الذى تقيمه المدرسة، مرة واحدة كل عام .. تختلط - كما تعلمون - طالبات قسم البنات، مع طلاب قسم البنين فى جو من الأخوة والزمالة التى لم تكن تفسدها إلا بعض «السخافات» التى قد تصدر أحيانا من بعض الطلبة المشاكسين .

وكان من عادة الطلاب العقلاء أن يلتفوا أثناء الحفل حول الطالبات لحمايتهم من مثل هذه المضايقات التى كانت تسئ إلى كل الطلاب على السواء .. ولا تعكس المعنى الصحيح لمفهوم الزمالة.

لهذا .. يقول «أحمد الخزاعى» لمجلة المصور، بعد وفاة جمال عبد الناصر - بالضبط فى ١٦ أكتوبر ١٩٧٠ - بأنه، وقت أن كان طالباً بمدرسة النهضة الثانوية.. « كانت مهمته الأساسية، هو وكثيرون من غيره من الطلاب .. هى أن يمسك بخنجر .. ويتجول بين الطالبات للمحافظة عليهن - أثناء الحفل - من أية مضايقات .. وذلك بتكليف مباشر من زميلهم الطالب جمال عبد الناصر رئيس اللجنة التنفيذية لطلاب المدارس الثانوية» ..!!

أى بتكليف من نفس الشخص الذى أعترف - من قبل - وهو رئيس جمهورية مصر، لصديقه فتحى رضوان .. بأن أول مرة يستخدم فيها يده فى إحدى المشاجرات.. كانت أيضاً بسبب حرصه على عدم إيذاء مشاعر «الستات»..!!

يقول جمال عبد الناصر :

«كنت يومها فى السينما، أنا وعبد الحكيم عامر .. وكان إلى جوارنا عدد من

الشبان الأرزال، أفسدوا علينا متعة مشاهدة الفيلم .. فقد كانت تعليقاتهم فجة، ومقززة.

ورغم أنني نظرت إليهم مراراً، ليكفوا قليلاً.. فإنهم لم يلقوا بالاً بنا أو بغيرنا .. ولهذا لم يكن أمامي إلا أن أنتظرهم أنا وعبد الحكيم خارج السينما.. وما كدت أرى كبيرهم، وأوقحهم .. حتى هبشت فيه هبشة عنيفة، ورحت أكيل له الضربات. وفي نفس الوقت كان عبد الحكيم يفعل مثلي مع شخص آخر .. أما الباقون فقد هربوا بجلدهم.

وأؤكد لك بأنني نمت ليلتها مستريحاً .. ذلك لأن هؤلاء الأوغاد آذوا مشاعر السيدات اللاتي كن يجلسن بالقرب منهم ومنا .. إيذاءً شديداً..!! وكانت هذه العلقة التي أعطيتها لهم – أنا وحكيم – تعويضاً لنا عن الفيلم»[1] ..!!

★★★

يقول العالم الشهير سيجموند فرويد :« الحب يدفع المحب إلى عمل كل ما من شأنه أن يفيد المحبوب .. وعلى هذا الأساس نستطيع أن ندرك ، لماذا تمد الأم من الطير صغارها بالطعام ؟! ولماذا تتكلف المجهود وتسعى في أن تمهد لصغارها فراشاً ليناً من الشعر والريش..؟! ولماذا يسعى الأب في البحث عن قوت زوجته وصغاره، ويتصدى لحمايتهم من هجمات الأعداء .. وليست هذه الأعمال ومثلها ، موجهة بطبيعة الحال، إلى نفع المحب ذاته .. إذ أن فيها ما يقتضي جهداً شاقاً قد يعرضه لخطر محقق .. ولكنها موجهة إلى نفع من هم موضع حبه وحنانه .. أي أنها نتيجة نضال داخلي قوي .. بين حب الغير، وحب الذات .

وعلى الرغم من أن المحب يعلم جيداً بأنه قد يضطر إلى مواجهة أمور غير سارة أو محتملة الخطر .. فإن الحب يتغلب في معظم الأحيان على ما سواه من العوامل .. ويخرج الفرد من هذا النضال الداخلي، بعاطفة ثالثة، أو مجموعة من العواطف المركبة المختلطة .. هي عاطفة الواجب .. أو الضمير الأدبي» ..[2].

★★★

نفس هذه العاطفة – عاطفة الواجب نحو الأب والأخ والوطن والأصدقاء – هي أيضاً التي دفعت جمال عبد الناصر إلى أن يكتب من منقباد إلى صديقه حسن النشار هذه الرسالة الهامة، الزاخرة بالأسرار «العائلية» ذات الدلالة .. والتي تنفرد اليوم بنشرها لأول مرة.

تقول الرسالة :

---

١ – صفحة (٢٨٩) من كتاب «٧٢ شهراً مع عبد الناصر» – للاستاذ فتحي رضوان .
٢ – صفحة (١٨) من «عاطفة الحب وأثرها في حياتنا الجنسية» لسيجموند فرويد .

«عزيزى حسن ..

أهديك سلامى، وأرجو أن تكون بخير ..

أرسلت لك جواباً من زمان ولكن لم يصلنى الرد إلى الآن .. عايز أعرف السبب.

أعرفك أن وقتى مشغول جداً فى هذه الأيام .. حتى أننى لم أرسل لك ولا لعبدالرءوف من مده طويلة.

مسألة نقلى لم يبت فيها إلى الآن وإن كان الباشا قد عرفنى أنها ستتم قريباً.

أرجو أن تسأل عن أخى عز العرب .. وتزوده بنصائحك .. فهو «كسعد» شقيقك تماماً .. وقد عرفنى الوالد أنه - أى عز - قد ذهب إلى المدرسة .. ولكننى لا أعرف نصيب ذلك من الصّحة .

وعز لم يرسل لى ولا جواب، وهو غير مهتم جداً.

لم ترسل لى أى معلومات كما اتفقنا على المحطة عندما تركتك، وقد كنت فكرت فى أن أخذ أجازة هذا الأسبوع، ولكننى أجلتها لشهر رمضان .. وأظن أن هذا أحسن.

عزيزى حسن.. عندى موضوع وأظنك تعرف له حل، وهو رغبتى فى إدخال شقيقى الليثى المدرسة مجاناً.. لأنه أخذ مجموع أكثر من ٧٠٪ وطبعاً هذا يقلل المصاريف علىّ أنا على وجه الخصوص .. لأن والدى يظهر مش ناوىَ يدفع المصاريف أو جزء منها .. لأنه بالرغم من اتفاقى معه على دفع نصف المصاريف .. وأنا الباقى، ابتداء من أول أغسطس .. فإنه لم يكتف بعدم الدفع بل أرسل لى فى طلب فلوس .

أرجو أن تهتم بمسألة أخى الليثى، وتجاوبنى بصراحة : هل هذا فى مقدورك ؟! حتى أعرفك بمجرد إرسال الطلب.

سلامى إلى العائلة وإلى محمد أفندى عارف .. وعرفه أنى باق فى منقباد حتى يجئ إن شاء الله .. إذا لم أنقل.

وتقبل سلامى وأشواقى .. أخوك:

«جمال عبد الناصر».

★★★

من المؤكد أنكم معى فى أن مثل هذا الخطاب «الوثيقة» .. ليس فى حاجة - هو الآخر -

إلى أى تعليق . «راجع صورته بملحق الوثائق تحت رقم « ١ » .

فقط : تعالوا نقترب أكثر من ظروف راسله .. ونهبط من جديد على منقباد.. لنقرأ معاً، المشاغل ، والمشاكل، ومسئولياته العامة التى رغم كثرتها .. لم تصرفه أو تنسيه مسئولياته العائلية.

وتعالوا نعرف أيضاً .. لماذا كتب جمال عبد الناصر خطاباً «ثانياً» إلى صديقه حسن النشار يقول له فيه :

« أما مسألة الزواج .. فأظن أنه ليس من المناسب الكلام فيها الآن».



١٠ - نساء .. خمر .. أم مخدرات ؟!

كانوا يومها - كما رأيتم - ثلاث زميلات.

الآنسة همت النشار .. والآنسة زينب عبد الفتاح .. والآنسة «سين» [١].

الثلاث - كما تعلمون - طالبات فى مدرسة النهضة الثانوية .. وقد جئن لمشاهدة الحفل السنوى للمدرسة.

أما صاحبنا جمال عبد الناصر، وصديقه حسن النشار .. فقد كان الشاغل الأساسى لكل منهما، هو أن يمر الحفل دون أن تتعرض همت - ومن معها - للمضايقات.

ذلك لأن همت هى شقيقة حسن، وشقيقة له هو الآخر.. فى «الرضاعة»..

★★★

كل الذى حدث يومها .. هو أنه رأى الآنسة «سين» .. هيفاء .. شقراء . كحيلة العين.. فاهتز جسده .. وخفق قلبه .. وظهر عليه الخجل والإرتباك .. ولما سأله صديقه حسن عن السبب .. مال عليه عبد الناصر هامساً :

- أكيد يا حسن .. أنا هاتجوز .

★★★

أحس حسن النشار بأن صديقه جمال يقصد الآنسة «سين» بعينها .. ذلك لأن جمال يعلم

١ - أشرت فى هوامش الفصل الأول إلى أننى وعدت الأستاذ حسن النشار أن أشير إلى الفتاة التى أحبها صديقه جمال عبد الناصر .. بالحرف الأول من إسمها .. ذلك لأنها رحلت عن دنيانا .. وأظنكم معى فى أن القضية الأساسية ليست هى الأسم.

بأن شقيقته همت، هى أيضاً شقيقة لجمال فى «الرضاعة» والآنسة زينب عبد الفتاح حسين - بنت شقيق أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة - هى أيضاً «مخطوبة» لواحد من أشقاء حسن.

إذن : من المؤكد أنه يقصد «سين» بالذات.

وسين .. هى الأخرى، أحست بكل شئ.

أحست - وهى تصافح جمال - بأن عينيها حينما جاءت فجأة ، فى عينه «.. تعطلت لغة الكلام ، وخاطبت عينه فى لغة الهوى .. عيناها».

لهذا : أسدلت نظرتها إلى الأرض .. وابتسمت .

فقط : ابتسمت ..!!

★★★

نظرة - فابتسامة فموعد .. فلقاء..

هكذا تبدأ معظم قصص المحبين والأحياء.

★★★

نظرة .. فابتسامة .. فموعد فلقاء..

عفواً : نظرة .. فابتسامة .. فموعد .. ففراق .. على عكس معظم الذين سبقوهم من التيمين والعشاق..!!

★★★

سافر جمال عبد الناصر إلى كتيبته «الخامسة مشاه» فى منقباد .. واتفق مع صديقه حسن النشار على أن يكتب له دائماً بكل ما يتجمع لديه من أخبار الآنسة «سين».

ولما تكاسل حسن فى مهمته .. قال لى بأن ذلك كان سبباً فى أن يعاتبه عبد الناصر عتاباً شديداً فى أكثر من خطاب - قرأنا أحدها فى الفصل السابق - لأنه لم يرسل له «أى معلومات كما اتفقنا على المحطة».

عاتب جمال عبد الناصر صديقه حسن النشار، وكتب إليه كثيراً يتلمس عنده «أى معلومات» تطمئن قلبه المشغول جداً بالآنسة «سين».

أما عقله : فقد كان - على عكس قلبه - مشغول بمدارس أشقائه وظروف والده، وزوجة والده .. وفساد القصر .. والأحزاب .. والإنجليز - الذين هم فى رأيه - أصل «كل البلاء» فى مصر ..

وفوق كل ما سبق .. هاهى الحرب العالمية - هي الأخرى - تندلع .. فتتحرك كتيبته «الخامسة مشاه» إلى طنطا .. ولا يعرف إن كان سيبقى بها أم سيرحل - بسبب الحرب - إلى «العلمين» .. قرب الحدود المصرية الليبية.

باختصار : كل الظروف ضد تفكيره الآن فى أبسط حقوقه الإنسانية .. وهو «الزواج» ..

وعليه : ليس أمامه إلا أن يكتب هذا الخطاب : «صورته بالملحق تحت رقم ١١»..

« عزيزى حسن ..

أهديك سلامى الزائد، وأرجو أن تكون بخير..

أرسلت لك جواباً من مدة، ولكن لم يصلنى أى رد حتى الآن.

أنا لازلت بطنطا .. وربما نبقى بها مدة طويلة، إذا لم تقم الحرب بين مصر وإيطاليا .. وإلا فإلى الحدود.

لقد سبق أن كلمتك فى موضوع الليثى حتى يتمكن من أن يدخل المدرسة مجاناً .. وقد قدمنا له طلباً بمدرسة المحلة الكبرى - التى يعمل ويقيم فيه عمه خليل - فأرجو إن كنت تعرف أى شخص يعرف ناظر المدرسة فتكلمه .. خصوصاً أنه - أى الناظر - منقول من الوزارة، واسمه عبد القادر عبد العزيز غالى.

أما مسألة الزواج ، فأظن أنه ليس من المناسب الكلام فيها الآن .. إيه رأيك.. بسبب الحرب والحياة غير المستقرة التى نحن فيها الآن .. هل محمد عارف سافر إلى منقباد .. وفى أى أورطه هو ؟!

سلامى إلى الجميع.

«جمال عبد الناصر»

الكتيبة الخامسة - طنطا

★★★

وقبل أن تأتى الكتيبة الخامسة إلى طنطا.

«كنا نجلس دائماً فوق التباب العالية، يتوسطنا شاب رقيق .. وديع .. عامر النفس بالحب والصفاء، الأمر الذى جعله ملتقى لصداقتنا جميعاً.

كنا نمرح .. فنضحك عالياً، ونسخر من كل شئ .. وأحياناً نغنى.

ولا نكاد ننطلق فى المرح، حتى نجد موضوعاً هادئاً يثيره بيننا هذا الضابط الشاب .. ولا يلبث أن يستنبط منه رأياً، أو فكرة تثير بيننا مناقشة مفيدة هادئة.

وإلى جانب هدوئه، وحيائه الشديد.. كان يمثل بيننا الشخصية الكاملة لأبناء الصعيد .. فنجده وديعاً رقيقاً مليئ الصدر بالحنين، عندما تلمس نفسه لمسة عاطفية، قد لا تحرك أحداً من الناس .. ولكنه سرعان ما ينقلب أسداً هصوراً في اللحظة التي يشعر فيها بأن أحداً فكر مجرد تفكير، في الاعتداء عليه.

لقد كان هذا الصديق بيننا هو جمال عبد الناصر .. صورة حلوة للإخاء، والصداقة،والحياء والهدوء، والكرامة، والاتزان، والرصانة .. حتى في ساعات الفرح والمرح.

ولهذا كله .. كان يستأثر باحترامنا جميعاً .. ويمثل لنا المعنى المجسم الحي لكل المعاني النبيلة.

وفي إحدى الأمسيات .. كنا نحتفل بعيد ميلاد هذا الصديق ، الملازم الشاب جمال عبد الناصر، وعلى مائدتنا الكبيرة، يوجد العدس المشهور، الذي طبخناه بأيدنا، وبالقرب منه كومة من قصب السكر.

ولكي نعطي هذه المناسبة حق قدرها من التكريم، أحضرنا كمية كبيرة من أبو فروة من أسيوط .. وجلسنا جميعا حول النار .. نشوي . ونأكل.

وبينما كنا نمزح .. بدأ جمال عبد الناصر بصوته الهادئ الرزين يقول:

- لننتهز هذه الفرصة، ونخلق فيما بيننا رابطة متينة .. ليكن اجتماعنا هذا اجتماعاً تاريخياً .. وليحرص كل منا على أن يبقى أميناً للصداقة التي تربطنا وتوحد فيما بيننا.

لم يكن أحد يدري أن هذه المجموعة من الأصدقاء ستكون نواة لمجموعة أكبر .. وأكبر .. وأن اجتماعها فوق تلك التباب البعيدة لن يكون صدفة تمر، وبتشتت بعدها شمل الأصدقاء، وإنما ستكون البداية الحقيقية لجهاد عنيف ومحن كثيرة، وعمل خطير.

كان جمال يقول لنا بأن الإنجليز هم أصل بلائنا كله .. وكانت هذه العبارة مفتاح تفكير طويل لم يلبث أن أصبح خطى عملية متتابعة .. هذه العبارة قالها جمال عبد الناصر، وكأنه يحدد لنا رسالة كبرى لا ينبغي أن يتخلى عنها أحد ».

و .. اكتفي بهذا القدر من سطور «الغزل» التي ملأ بها أنور السادات كتابه المختفي من الأسواق «صفحات مجهولة» .. عن جمال عبد الناصر ..!!

وهو نفس «جمال عبد الناصر» الذي رحل عن دنيانا .. فعاد أنور السادات وكتب عنه حرفياً « .. بالرغم من أنني تعرفت على جمال عبد الناصر، حينما كان كلانا، في سن التاسعة عشر، فإنني لا أستطيع أن أقول سوى أن علاقتنا كانت علاقة إحترام وثقة من جانب كل منا.. وليست صداقة على الإطلاق .. ذلك لأن عبد الناصر لم يكن من السهل عليه، أن

ينشئ علاقة صداقة بمعنى الكلمة مع أى إنسان .. وهو المتشكك دائماً .. الحذر .. المليئ بالمرارة.. العصبى المزاج.. ».

قال ذلك أنور السادات على صفحة (١١٤) من كتابه «البحث عن الذات» لا عن الحقيقة.. ونسى أنه على صفحة (٩١) من نفس الكتاب تفاخر قائلا : «.. أنا وعبد الناصر تصادقنا ونحن فى سن التاسعة عشر .. ثم جاءت الثورة، وأصبح هو رئيساً لجمهورية مصر.. فقلت فى نفسى أهلاً وسهلاً .. صديقى الذى أثق فيه صار رئيس جمهورية .. وهذا شئ يسعدنى، وهو نفس الإحساس الذى شعرت به عندما أصبح عبد الناصر زعيماً للأمة العربية كلها ».

ومن فرط صدق السادات، ووفائه لهذه الصداقة «عاب» على عبد الناصر - فى صفحة (٩٢) من نفس الكتاب - بأنه عاش ومات «دون أن يستمتع بحياته كما يستمتع الآخرون».. بل ووصف عبد الناصر - على نفس الصفحة - فى مماته .. بأن «داخله مليئ بتنقضات لا يعلمها إلا الله، ويحتم علىّ واجبى كصديق ألا أكشفها، أو أفصح عنها» ..!!

وهكذا ..بخل علينا الرئيس المؤمن، ولم يفصح لنا عما اكتشفه - وحده !! - من تناقضات عبد الناصر «بحجة واجب الصداقة» . وهو الذى سبق أن قال لنا منذ قليل «بعظمة لسانه» - على صفحة (١١٤) - بأن العلاقة التى كانت تربطه بعبد الناصر « لم تكن صداقة على الإطلاق» ..!!

وبخل علينا أيضاً، ولم يفصح عما اكتشفه - وحده !! - من تناقضات عبد الناصر .. بحجة أن «داخل» عبد الناصر « لا يعلمه إلا الله» .. وهو الذى سبق أن تطوع فى حياة عبد الناصر واستعرض لنا علمه «بدواخل» البشر .. وأقسم فى كتابه «صفحات مجهولة» بأن نفس عبد الناصر «عامرة بالحب والصفاء» .. وساق لنا قائمة أخرى طويلة من الغزل، وصفه فيها «بالصديق، الهادئ، الرقيق، الوديع، الرصين، العاطفى، المفكر، الرزين، الحساس، الخجول .. وأيضاً الهصور» ..!!

وفى صفحة (٢٠٨) من كتابه «ياولدى هذا عمك جمال» وصف جمال عبد الناصر أيضاً بأنه «رسول الخير، والحق، والسلام .. المسير بإلهام من عند الله» !!

★★★

غريبة : لجنة «الإقتراحات والشكاوى» .. فى مجلس الشعب، وقت أن كان يرأسها المرحوم محمود أبو وافيه عديل الرئيس المؤمن أنور السادات، كانت قد تلقت إقتراحاً نشرته الصحف، وقتها من النائبة المطربة فايدة كامل - زوجة النبوى إسماعيل وزير الداخلية الشهير فى عهد السادات - تقترح فيه أن نلقب الرئيس المؤمن «بسادس الخلفاء الراشدين».

والآن.. الرئيس المؤمن نفسه يقول لنا فى كتابه «يا ولدى هذا عمك جمال» بأن عبد الناصر كان «رسولاً للخير، والحق، والسلام .. مسير بإلهام من عند الله» ..!!

فلماذا - إذن يعيب عليه لأنه «لم يستمتع بحياته كما يستمتع الآخرون» .. العاديون من البشر؟!

على أية حال .. الرئيس المؤمن لم يحدد صنوف هذه «المتع» .. أو طبيعتها .. لكن البديهى أن نفهم من كلامه هذا أنه تنبه لهذه النصيحة مبكرا..ولم يرتكب «غلطة» عبد الناصر .. فعاش يستمتع بحياته «بأكثر» مما يستمتع الآخرون .

وعليه .. تعالوا «نقلب» سريعاً فيما تركه لنا السادات من كتب ومقالات .. لعلنا نتبين بعضاً من هذه «المتع» فى رأيه .. ونتبين - بالتالى - لماذا وقع جمال عبد الناصر فى حب أول فتاة تبتسم له .. ولماذا سعى أيضاً، للزواج منها، وهو لايزال ملازم شاب فى سن العشرين؟!!

●● فى العدد رقم (٧٠٥) الصادر فى ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٥٥ من جريدة «الجمهورية» كتب أنور السادات مقالاً غريباً قال فيه « .. ومنذ فجر شبابى، وأنا أحس بميل شديد للفنانين، كما أننى لا أجد نفسى حقيقة إلا فى صحبة الممثلين .. وإلى جانب هذه المتعة، لم تخلو حياتى من القيام بتمثيل كل الأدوار على مسرح الحياة .. إلا الحقيقة»!!

●● وفى صفحة (٥٧) من كتابه الهام المختفى أيضاً « ٣٠ شهراً فى السجن» .. إعترف السادات بأن المرة الأولى التى اجتمع فيها داخل أسوار السجن بزملائه المتهمين فى قضية اغتيال أمين عثمان .. كانت فى ٣ يوليو سنة ١٩٤٦ .. أى وهو فى «الثامنة والعشرين» .. ورغم ذلك أتفقوا فيها أيضاً : «على أن كل من يرى امرأة جميلة فى شباك سجن النساء، أن يخطر الباقين لمشاهدتها أثناء الطابور .. ويكتفى مؤقتاً بالمشاهدة أو المصمصة فقط» ..!!

وحينما انشأوا فيما بينهم إذاعة داخل السجن، قال السادات - على نفس الصفحة - بأنه أحتفظ لنفسه بفقرتين فى البرنامج:

الأولى : تذاع فى تمام الساعة (٦) وهى بعنوان :« حديث للأطفال للمربى الفاضل بابا أنور».

والثانية : تذاع : فى الساعة (١١) وهى بعنوان « أغنية حديثة للمجعراتى المتسول محمد أنور السادات» .. هكذا بالنص ..!!

●● أما حينما كان السادات يعمل مع الألمان .. فقد اكتفى فى كتابه «صفحات

---

١ - صفحة (٢٨٩) من كتاب « ٧٢ شهراً مع عبد الناصر» - للاستاذ فتحى رضوان .
٢ - صفحة (١٨) من «عاطفة الحب وأثرها فى حياتنا الجنسية» لسيجموند فرويد .

مجهولة» بوصف عوامة صديقته الراقصة حكمت فهمى التى كان يتردد عليها لمقابلة مندوبى المخابرات الألمانية، وعدد لنا – فى صفحة ٦٦ – ما كان يجده بها فى كل مرة من «وسائل الحياة الناعمة، وأدوات الترف، والغانيات العاريات، وكؤوس الشراب، وصناديق الويسكى».

و .. نسى طبعاً أن يقول لنا بأنه كان يكتفى «بالفرجة فقط» .. وهو يجلس بين كل هذه «الوسائل الناعمة»» فيما وصفه نصاً «بوكر الترف، والنعومة، وحياة الليل، والتهتك» .. وهو تقريباً، نفس الوصف الذى قرأناه جميعاً للحفلات التى كانت «ناهد رشاد» تعدها للملك فاروق، بينما السادات وزملاء من أعضاء الحرس الحديد منتشرون داخل الحفل وخارجه للحفاظ على حياة «مليكهم المفدى» الملك فاروق.

●● وبعد أن أصبح السادات رئيساً للجمهورية «لم يكن سراً أنه كان يشرب بانتظام .. الفودكا فى الصباح، لإعتقاده أنها لا تترك رائحة فى الفم .. والويسكى بالليل، بعد أن ينتهى البرنامج الرسمى للمقابلات»[1] .. وإن كان صديقه أنيس منصور قد ألمح مراراً فيما كتبه بعد «حادث المنصه» إلى أن الرئيس السادات كان يتعاطى أيضاً «أنواعاً أخرى من المخدرات» ..!!

★★★

لو كانت هذه هى مقاييس السادات «للإستمتاع» بالحياة .. فمن حقه – فعلاً– أن يعطى عبد الناصر «صفراً» كبيراً .. ومن حقه أيضاً أن يتهمه، كما أتهمه فى «البحث عن الذات» بأنه عاش فعلاً ومات «دون أن يستمتع بحياته» .. وهذه هى الأسباب :

●● على الصفحة رقم (١٣٦) من كتابه «صفحات مجهولة» قال لنا أنور السادات بأن قائدهم فى معسكر منقباد، الذى كان ولوعاً بالخمور، كثيراً ما كان يطلب منهم أن يشاركوه الشراب بالأمر.. «إلا أن الضابط الشاب جمال عبد الناصر، وهو الذى لا يطيق رائحة الخمر.. لم يكن يضيق فقط بهذه الأوامر .. وإنما كان يرفض .. ويسخط .. ويقاوم .. بل ويفسد على القومندان المهيب مجلس الشراب».

●● وفى صفحة (١٠٩) من كتاب «جمال عبد الناصر» الصادر عن «دار التقدم» سنة ١٩٨٣، قطع الكاتب السوفيتى «أجاريشيف» بأن عبد الناصر – بنص كلماته – عاش ومات «دون أن يقرب المشروبات الكحولية» ..!!

●● وفى الرسالة التى بعث بها الدكتور جمال غوردون رئيس الجمعية المصرية لرعاية مرضى السكر .. ونشرها صلاح منتصر على صفحات مجلة أكتوبر» فى ٢٤يوليو ١٩٨٨ .. كشف الدكتور غوردون عن ضيق الرئيس عبد الناصر، واستغنائه عن خدمات أحد الأطباء

---

١ – صفحة (٣٣٩) من «خريف الغضب» لمحمد حسنين هيكل .

المشاهير «عندما استدعته الرياسة أمس على عجل، من مأدبة عشاء للكشف على عبد الناصر - إلا أن الرئيس شم فى نفس الطبيب رائحة الخمر»..!!

●● وعلى صفحة (٨٤) من كتاب «ما لم تنشره الصحف» لمحمد رجب .. واقعة هامة، تقطع بأن عبد الناصر، عاش فعلاً ومات، وهو يمقت أيضاً «البغاء».. والإباحية.. والخيانة الزوجية..!!

والمتأمل لهذه الواقعة بالذات، يستطيع أن يتلمس فيها أبعاداً «أخلاقية» أخرى، غائرة فى نسيج عبد الناصر.. دون أن يشك مطلقاً فى صدق الواقعة.. ليس فقط لأن راويها لم ينكرها حتى الآن.

وإنما أيضاً: لأن الراوى هو «مصطفى أمين» .. وبعد وفاة عبد الناصر..!!

تقول الواقعة : أن مصطفى أمين ذهب إلى الرئيس عبد الناصر يسأله عن سبب فصل صديقه إبراهيم نوار من رئاسة تحرير جريدة الجمهورية - فعلم أن هناك من قدم للرئيس معلومات تؤكد بأن إبراهيم نوار «أسس مع بعض أصدقائه جمعية لتبادل زوجاتهم، فيما بينهم، وحرروا بذلك عقداً مكتوباً» .. أطلع عبد الناصر مصطفى أمين على صورة منه..!!

وبينما كان مصطفى أمين يتأمل صورة العقد، شاهد أحد «الجرسونات» قادم نحوه، وهو يحمل له كوب ليمون بارد .. ولما كان الجرسون بارز العظام، أسود الوجه والجسد، ولا يكاد يبدو من وجهه غير أسنانه البيضاء، حينما يبتسم .. فقد مال مصطفى أمين على عبد الناصر قائلاً :

- هل ترى هذا الجارسون يا سيادة الرئيس؟!

فرد عبد الناصر، وقد شدته غرابة السؤال قائلاً :

- طبعاً شايفه..

فسأله مصطفى أمين ثانياً :

- وهل ترى كم هو أسود، ورفيع، وخشن ؟!

فقال عبد الناصر بنفس الدهشة .

- لماذا تسألنى هذه الأسئلة..؟!

فابتسم مصطفى أمين وهو يهمس للرئيس :

- هذا الجرسون أكثر فتنة، وجمالاً - من زوجة إبراهيم نوار .. فهل يعقل أن يختارها رجل ليبادلها بزوجته.

وعندها : قاطعه عبد الناصر بلهجة حاسمة تقول :

- أنا مافهمش فى مسائل الـ« .... » بتعاتكم دى..!!

و .. بعد أن هدأ مصطفى أمين من حدة الرئيس .. رجاه أن يعيد النظر ثانياً فى هذا الموضوع بهدوء. وألا يعتمد على مصدر واحد فى معلوماته عن هذا الموضوع ، مؤكداً لعبد الناصر أنه لو ثبت إدانة إبراهيم نوار بعد أن يتحرى الرئيس الأمر بنفسه .. فسوف يستقيل هو الآخر.. لأنه يعرف نوار أكثر من نفسه، ولأنه هو الذى رشحه للرئيس ليكون رئيساً لتحرير جريدة الجمهورية.

ولم تمض أيام قليلة، حتى استدعاه عبد الناصر ثانياً، وأخبره بأنه «تحرى موضوع نوار بنفسه، وأولاه عناية كاملة، بل وتابعه أكثر من جهاز.. ووصل إلى أن الإمضاء الموقع فى ذيل العقد باسم إبراهيم نوار، هو إمضاء مزور،وأن العقد كله أكذوبه ملفقة بسبب بعض الصراعات الشخصية الرخيصة، ويستطيع نوار أن يعود إلى رئاسة تحرير الجمهورية من باكر»..!!

والواقعة كما ترون ليست فى حاجة إلى أى تعليق، للتدليل على مدى القدر الكبير الذى كان عبد الناصر يمقت فيه البغاء .. والإباحية .. والخيانة الزوجية ، وما إلى ذلك مما قد يعلله البعض «بالحرية الشخصية» .. وإن كان مصطفى أمين قد ذكر هذه الواقعة أساساً «للنيل» من أحد ضباط الجهاز الأمنى الذى ضبطه متلبساً بالتجسس لصالح أمريكا..!!

★★★

وعلى ذكر أمريكا .. وفى كتابه الشهير «التقدم نحو القوة» يقول «يوجيم جوستين» مدير المخابرات الأمريكية الأسبق «مشكلتنا الحقيقية مع جمال عبد الناصر .. أنه بلا رزيلة، مما يجعله من الناحية العملية غيرْ قابل للتجريح.. فلا نساء.. ولا خمر .. ولا مخدرات .. كما لا يمكن شراؤه، أو رشوته، أو حتى تهويشه.. نحن نكرهه ككل .. ولكننا لا نستطيع أن نفعل تجاهه شيئاً .. إنه فعلاً بلا رزيلة»..!!

★★★

شخص هذه صفاته - على رأى صديقه حسن النشار - كان لابد من أن يفكر فى الزواج مبكراً.

شخص يكتب إلى صديقه .. فلا يذكر إسم حبيبته فى الخطابات إلا مقروناً بلقب «الهانم».. كان - فعلاً - لابد من أن يكره البغاء.

شخص يقابل حبيبته فى الشارع صدفه .. «فيشهد الله على أنه لم يحاول تتبعها أو معاكستها، حتى ينزه نفسه عن عبث الشباب الحديث» [1] .. كان لابد من أن يبتعد فعلاً،

١ - راجع نص خطاب جمال عبد الناصر إلى صديقه حسن النشار المنشور فى الفصل الثانى وعنوانه «ماعدا السبت والثلاثاء» .

عما وصفه السادات فى كتابه «صفحات مجهولة» بأوكار «الترف، والنعومة، وحياة الليل.. والتهتك». وكان أيضاً لابد من أن يعجل بإجراءات زواجه ممن يحب.

وعليه : فاتح صديقه حسن النشار فى « الموضوع » ثانياً.. وأخذ أسبوعاً أجازه من الجيش.. وطلب من والدة صديقه حسن ، «نينه» وهيبه - كما يناديها - أن تصطحب معها الآنسة همت .. وتذهب لتتأكد بنفسها مما تجمع لديه من أخبار مقلقة عن «ظروف» العروسة.. و«لجس نبض» عائلتها أيضاً - قبل أن يذهب هو ووالده وعمه خليل، لخطبتها - غداً.



١١ - وما المانع .. ؟!

نحن الآن في منزل الآنسة «سين».

«نينه» وهيبه .. تشرب الشاي في حجرة الصالون مع «أم العروسة» .. فهي «معرفة» قديمة .. والإثنتان «دمايطة زي بعض».

أما إبنتها الآنسة همت النشار .. فقد «تحججت» برؤية صديقتها «سين» .. وتسللت إلي حجرتها .. لتبشرها بالعريس..

الآنسة «سين» - كما نعلم - اتجهت بعد حصولها علي شهادة «البكالوريا» .. للعمل بالتدريس في مدرسة الفنون «الطرزية» بشبرا .

وجمال عبد الناصر، وصديقه حسن النشار .. اتجه كل منهما إلى السماء .. ووقف ينتظر «الفرج» بالقرب من المنزل .. وإن كانت همت - شقيقة جمال في الرضاعة - قد طمأنته فى الطريق على مشاعر زميلتها «سين».

دخلت الست وهيبه فى الموضوع مباشرة.

حدثت صديقتها القديمة، عن «أخلاق جمال، وأدب جمال، وكمال جمال» .. والمستقبل الذى ينتظره كضابط فى الجيش..

قالت أم العروسة : «كان يوم الهنا يا وهيبه يا أختى .. كنت أجهزها، وأوديها له لغاية بيته» ..

●● وما المانع ..؟!

شقيقتان .. تصغرهما الآنسة «سين» لم يتزوجا إلى الآن.

و .. « ما يصحش زى ما أنتى عارفة، إن البنت الصغيرة، تتخطب قبل الكبيرة .. إلا إذا كنتِ – وهى تضحك – تأخذى واحده لإبنك حسن، والثانية لأخوه على .. وسين يأخذها جمال»..!!

قالت الست وهيبه : « وياكلوا منين .. ؟! حسن لسه فى «تانية» حقوق .. وعلى فى الليسانس .. وجمال بس هو اللى تخرج ويقدر يفتح بيت»!

★★★

فقط : ضاع كل شئ.

★★★

أحست «نينه وهيبه» بالأسى .. والحيرة..

جمال .. ضاعت منه سين .. وإبنتها همت لا تجوز له شرعاً.

لا بأس : فالبنات تملأ الدنيا ..!

★★★

حاولت «نينه وهيبه» أن تبحث لجمال عن عروسة بين بنات أقاربها.

حاول أيضاً: صديقه عبد اللطيف البغدادى .. أن يزوجه من شقيقة زوجته..

لكن جمال عبد الناصر .. الذى لم «يرتاح» لهذه الطريقة .. رجاهم أن «يتركوها للظروف».

وقبل أن ينصرف .. أحالهم إلى كتاب «الخطيئة والعلم» الذى قال فيه إدوارد الأول سنة ١٢٨٥ بأن «الزواج فى العصور الوسطى ، لم يكن ناجحاً .. بل كان أقرب إلى البغاء .. بسبب افتقاده إلى الحب»..!!

وعلى رأى صديقه حسن النشار : ما الذى كنا ننتظره غير ذلك من عريس فى «رومانسية» جمال عبد الناصر .

فهو – زمان– الذى غنى «جفنه علم الغزل» .. حينما تعطلت لغة الكلام.. وخاطبت عينه لغة الهوى .. فى عينى حبيبته «سين».

وهو الذى قالت عنه السيدة الجليلة قرينته لطبيبه الخاص .. بأنه كتب على دبلة خطوبتها له .. «تاريخ أول مرة يراها فيها .. لا تاريخ حفل الخطوبة» [1].

١ – عن حوار أجريته مع طبيبه الخاص د . منصور فايز ونشرته جريدة «الأهالي» في (١٢) أكتوبر ١٩٨٨ ومنشور على صفحات هذا الكتاب فى فصل عنوانه (طبيبه الخاص) .

وهو الذى لم يقدم للسيدة الجليلة قرينته «طقم صيني» هدية الزواج .. وإنما قدم لها «جرامافون صغير .. ومعه عشر اسطوانات من الموسيقى الكلاسيك» [1] .. في ليلة الزفاف..!!

وهو الذى «زغر» بعينه ليساوره صلاح الشاهد، ورفض أن يضع يده في يد «ملكة اليونان».. حتى لا تضطر زوجته، إلى أن تلتزم هى الأخرى بالبروتوكول، وتفعل مثله مع ملك اليونان.. ثم مال عليها وهو يقول : « أنا رجل صعيدى .. ولا أطيق أن أراك تضعين يدك، في ذراع شخص آخر .. حتى ولو كان ملكاً»[2].

وهو الذى قالت عنه إبنته «مني» بأنه لم يكن يسمح لوالدتها - السيدة تحية كاظم - بأن تسافر بمفردها على أية طائرة دون أن يكون معها «ليس فقط، لأنه لا يطيق فراقها .. وإنما أيضاً لأنه لم يكن يتصور أنه يستطيع الحياة بدونها، فيما لو أصيبت الطائره بمكروه لا قدر الله » [3].

وهو : الذى قالت عنه إبنته منى - أيضاً - «بأنه كان يعمل في مكتبه أحياناً حتى الساعات الأولى من الفجر .. بينما والدتها تجلس في ركن حجرة مكتبه، تشغل نفسها بالتطريز أو شغل الإبرة .. حتى لا تفارقه، وهو في نفس البيت .. بينما الموسيقى الكلاسيكية الهادئة، أو صوت أم كلثوم الخافت .. يضمهما معاً في سكون الليل»[4].

وهو الذى قال لى عنه الدكتور منصور فايز، بأنه مريض، مطيع، ورب أسرة «مثالي» .. وزوج «محب» .. لا يحب منظر الدم .. ويخرج على نظام العلاج، حين تطهو زوجته أحد أصناف «المحشى» [5].

وهو الذى كان مريضاً، «في الوقت الذى وضعت فيه كريمته منى مولودها جمال، في مستشفى الدكتور على إبراهيم، فاتصل به بنفسه، وطلب منه تأجيل خروجها لمدة يومين، لحين شفائه .. حتى يزورها في المستشفي، ويظهر معها في صورة تذكارية مثلما فعل من قبل مع شقيقتها هدى حينما وضعت إبنتها هالة» [6].

وهو الذى قال عنه إبنه خالد - قبل غربته - بأنه « لم يكن أبداً يضرب .. أو يحرم أى منهم» [7].

وهو الذى قال فزعاً من حياة القصور : «هناك .. في القصر . سوف يعيش كل منا في

---

١ - كتاب «السيدات العشر الأوليات في العالم» للكاتبة الأمريكية باوليني فريدريك.
٢ - صفحة (٣٢٨) من كتاب «ذكرياتي في عهدين» لصلاح الشاهد.
٣ ، ٤ - صفحة (٤٤) من مجلة «الشرقية» - عدد يوليو سنة ١٩٨٢.
٥ ، ٦ - جريدة الأهالي - مصدر سابق.
٧ - من حوار أجريته مع خالد عبد الناصر في حجرة مكتب والده، ونشرته على صفحات مجلة روزاليوسف في (١٣) يناير سنة ١٩٧٥.

جناحه الخاص .. وبالتالى سوف نصبح أسرة مفككة. أما هنا فى منزلنا .. فإننا جميعاً نعيش معاً، ونأكل معاً، ويطمئن كل منا على الآخر .. إننى لا أنسى يوم أن انتقلنا مرة إلى قصرة الطاهرة، بصفة مؤقتة لمدة خمسة أسابيع، حينما كانوا يبنون طابقاً ثانياً لمنزلى الصغير فى منشية البكرى .. لا أنسى حينما راح أطفالى يكسرون الفازات ، والتحف الثمينة، وهم يلعبون فى ممرات وصالات القصر .. فدفعت ثمن كل شئ كسروه.. وتأكدت جيداً بأننى لا أستطيع القيام بأعباء الحياة داخل القصور .. إننى أحب بيتى الصغير، وأحب أن أرى من نافذته شجرة خضراء فى ضوء القمر .. وأسعد حينما أستيقظ مبكراً، فأسمع زقزقة العصافير، ونقراتها الخفيفة على زجاج النافذة.. » [1].

وهوالذى قال عنه صديقه الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل «بأنه يحب الإستماع إلى أم كلثوم،.. ويحب أيضاً صوت فيروز، ويعتبر أنها كانت ينبغى أن تظهر فى مصر، وأن ظهورها فى لبنان . يعد من قبيل أخطاء المصادفات» [2].

وهو – أخيراً– الذى دخل عليه محمد حسنين هيكل، وقت أن كان وزيراً للإعلام .. فقال له عبد الناصر : عندكم مطربة إسمها عفاف راضى ..

فقال هيكل : عندنا فين ..؟!

فقال عبد الناصر : فى الإذاعة ..

فقال هيكل : أنا الحقيقة لا أستمع كثيراً إلى الراديو..

فقال عبد الناصر : «وأنا أيضاً لا أعرف عفاف راضى شخصياً .. ولكنى سمعتها مرتين أو ثلاثة، وصوتها يذكرنى بصوت فيروز .. ولو أن البيروقراطيين فى الإذاعة، راعوها .. وأتاحوا لها فرصة الظهور .. يمكن يطلع منها فيروز ثانية» [3]..

★★★

رأينا – معاً – كيف أن جمال عبد الناصر، لم يكن «عريساً» رومانسياً فقط .. وإنما أيضاً، كان زوجاً .. ووالداً .. وضابطاً .. يمتلئ بالحب، والشاعرية .. كتلة من المشاعر والأحاسيس، تأكل، وتشرب وتمشى على قدمين، وتنفعل بما حولها، فى كل الأوقات .. ليس فقط تجاه أهله، أو أصدقائه، أو المحيطين به .. وإنما أيضاً تجاه الوطن .. والمحن .. وملامح المستقبل.

ومن لا يصدق : يتأمل – مثلى – ما كتبه جمال عبد الناصر نفسه .. وبخط يده .. إلى

---

١ – من حديث لعبد الناصر مع الكاتب الصحفى دافيد وين مورجان نشرته الصنداي تايمز اللندنية في يونيه ١٩٦٢ .

٢ – صفحة (١٧) من مجلة أكتوبر الصادرة صباح الأحد (٦) يونيه ١٩٨٦ .

٣ – مجلة «اكتوبر» في (٦) يونيه ١٩٨٦ – مصدر سابق .

الأهل والأصدقاء..

من لا يصدق : يتأمل - مثلى خطابات كل المصريين إلى ذويهم .. وسيجدها فى «معظمها» .. لا تزيد على السلامات والتحيات والسؤال عن الصحة والعافية «التى هى غاية المراد من رب العباد»..!!

أما خطابات عبد الناصر إلى أهله أو إلى أصدقائه .. فسيجدها تختلف كثيراً ..

هذا - مثلاً - خطاب يكشف فيه الضابط الشاب جمال عبد الناصر عن روح القاص الساخر، والهازئ «بنواب» الثرثرة .. والاستعراض.

يقول جمال فى رسالة فريدة ، مؤرخة فى الثالث من مارس ١٩٣٩ إلى صديقه حسن النشار ما نصه حرفياً:

«عزيزى حسن ..

فى محطة الجيزة، فتح باب ديوان القطار، ودخل منه شخص معه بندقية، ومن حوله الخدم يرددون :

حاضر يا سعادة الباشا .. طيب يا سعادة الباشا ...

وبعد أن ألقى عليَّ التحية ورددتها عليه .. أخذ مكانه إلى جانبي، ووضع أمتعته على المقعد المقابل، وهو يقول :

أنا بقى «فلان الفلاني» بتاع مجلس الشيوخ اللى بيقولوا عليه لتات وغلباوي.

فقلت له : تشرفنا ..

فعاجلنى قائلاً : أنا الوحيد اللى عارضت معاهدة ١٩٣٦ .. ثم راح يحكى لى قصة حياته منذ سنة ١٩٠٧ .. وحتى .. لا أذكر إلى أى سنة أخري..

كان يتحدث يا حسن بسرعة غريبة، وكلما حاولت أن أرد عليه .. يقول لى : إنتظر .. إنتظر .. ثم يستمر فى كلامه بصوت عال..

عندها : عرفت أننى لن أستطيع النوم، ولن أستطيع الإصغاء .. فظللت ناظراً له وأنا لا أفقه حرفاً واحداً مما يقول، حتى آلمتنى رقبتي..

وحتى اطمئن نفسى .. انتهزت إحدى الفرص .. وقلت له : سعادتك نازل فين..؟!

فقال : احمد ربنا اللى لقيت واحد يسليك حتى بنى سويف..

وحمدت الله فعلاً فى سرى .. وظل هو يحكى وأنا استمع حتى وصلنا إلى

بنى سويف..

وهناك أنزل حوائجه .. بينما كان ينصحنى بأن أحترس جيداً من الزحمة.. ثم نسي نفسه، وبدأ يحكى لى حكاية جديدة، حتى خفت أن يغير رأيه .. ويستمر معى إلى محطة ثانية ليكمل الحكاية .. لكن الله سلم، ونزل والقطار يتحرك .. ومن يومها ، وأنا أشكو من الصداع الذى لا أعرف كيف أتخلص منه إلى الآن » ..!!

★★★

هذه أيضاً : رسالة أخرى عميقة الدلالة تنشر لأول مرة، ويقول فيها عبد الناصر - سنة ١٩٤١ - من جبل الأولياء بالسودان ما يلي:

«عزيزى حسن ..

اكتب إليك الآن وأنا ثائر، فى نفسى ثورة داخلية عائلية.

وصلنى جواب من العم - خليل - شديد اللهجة، يقول فيه أنه كتب لى جوابين ولم يصله الرد.. ويتهمنى بأننى كنت أكتب له فقط مدة وجود أشقائى عنده - فى المحلة الكبرى - وقد كان هذا الخطاب قاسياً، وكافياً لأن أرد عليه رداً يقطع علاقتى به، وبالعائلة أجمع إذا احتاج الأمر .. فقد كانت أفكارى تدور حول ماجنته هذه العائلة عليَّ وما قاسيته، على يديها .. ولكننى تداركت نفسى .. ورددت عليه بخطاب يؤلمه، ولن يؤنب بعده إلا نفسه على إرساله هذا الخطاب.

لقد أخبرته أنه يعتقد أن جمال عبد الناصر، ممتع ويعيش كما يتصورون عن الضباط، ليس له مشاغل فى الحياة، خالى البال.

وطبعاً شخص هذه صفاته، لابد من أن يكون قد أجرم فى التقصير برد خطاب عمه .. وأخيراً أثبت له أن جمال عبد الناصر ليس خالى البال .. ولديه الكثير من الهموم والآلام الخاصة والعامة.. وقدكان لا يزال معاهداً نفسه ألا يشرك أحداً معه فى هذه الهموم، وأن جوابه هذا، كان سيولد حوادث سيئة العواقب.. ولكنى تداركت نفسي.

على العموم يا حسن .. أنا مش عارف ألاقيها منين .. ولا منين .. هنا فى عملى كل عيبى أنى دغري، لا أعرف الملق، ولا الكلمات الحلوة .. ولا التمسح بالأذيال.

وشخص هذه صفاته .. يحترم من الجميع .. ولكن الرؤساء .. الرؤساء ياحسن

يسوءهم ذلك الذى لا يسبح بحمدهم .. يسوءهم ذلك الذى لايتملق إليه..
فهذه كبرياء - وهم شبوا على الذلة فى كنف الاستعمار.

يقولون : كما كنا يجب أن تكونوا .. كما رأينا يجب أن تروا .. والويل، كل الويل لذلك المتكبر - كما يقولون - الذى تأبى نفسه السير على منوالهم، يعاديه الجميع من تلاميذ العهد القديم.

ويحزننى يا حسن أن أقول أن هذه السياسة، نجحت نجاحاً باهراً .. فهم يصهرون نفوس الشبان .. وكلهم شبان لم تصقلهم الأيام.

ويحزنى يا حسن أن أقول أن هذا الجيل الجديد، قد أفسده الجيل القديم، فأصبح منافقاً، متملقاً ..!!

ويحزننى يا حسن أن أقول أننا نسير إلى الهاوية .. الرياء .. النفاق .. الملق، تفشى فى الأصاغر .. نتيجة معاملة الكبار.

أما أنا فقد صمدت ولا زلت .. ولذلك تجدنى فى عداء مستحكم ومستمر مع هؤلاء الكبار» !! «راجع الوثيقة الثانية عشر» .

و ..من منقباد.. كان أيضاً قد كتب إلى نفس الصديق - فى فبراير سنة ١٩٣٩ - يقول :

«نحن نعمل يا حسن تحت رياسة شوية .. أكثرهم أو كلهم يتمنون عودة الاستعمار للسيطرة على الجيش .. كلهم مجردون من الأخلاق.. ربنا مايوريك» .!!

وفى مارس سنة ١٩٤١ .. لا ينسى، وهو فى السودان، أن يسأل عن أحوال مصر قائلاً:

«يبدو يا حسن أن الأخبار غير مطمئنة فى مصر .. ولو أن الجرائد لاتظهر بها شئ .. إلا أن الواحد ممكن يفهم شويه من بين السطور .. قرأت أن مجلس النواب، يتناول موضوع بعض الطلبة المعتقلين، وغيرهم ممن فتشت منازلهم .. ويظهر أن حمدى محجوب، وسليم زكى ليمتد . عاملين همة .. أرجو أن يكون ظنى فى غير محله» ..!!

وحينما وقع ما وقع فى الرابع من فبراير سنة ١٩٤٢.

حينما حاصرت دبابات الإنجليز قصر الملك، وأرغمته بالقوة على أن يتولى حزب الوفد ورئيسه مصطفى النحاس تشكيل الحكومة.

حينما كانت مصر كلها تئن تحت سياط المذلة والإهانه.. فيما عدا «رجال» حزب الوفد.. الذين جاءت بهم بريطانيا إلى الحكم على فوهات المدافع.

عندها : كتب حسن النشار إلى صديقه جمال عبد الناصر، بكل التفاصيل .. فرد عليه جمال - من العلمين - فى ١٦ فبراير سنة ١٩٤٢ يقول :

«خطابك يا حسن جعلنى أغلى غليانا .. وكنت على وشك الإنفجار من الغيظ .. ولكن ما العمل، بعد أن وقعت الواقعة، وقبلتاها مستسلمين خاضعين خانعين؟!!

الحقيقة أنى أعتقد بأن الاستعمار يلعب بورقة واحدة فى يده، هى ورقة التهديد.. ولو أنه أحس بأن هناك من المصريين من ينوون التضحية، بدمائهم، ومن سيقابلون القوة بالقوة .. لانسحب كأى إمرأة عاهره .. وطبعاً هذا حال الاستعمار وتلك عادته..!!

أما نحن .. أما الجيش .. فقد كان لهذا الحادث تأثير جدى على الروح والإحساس فيه.. فبعد أن كنت أرى الضباط لايتكلمون إلا عن اللهو والملذات، أصبحوا يتكلمون عن التضحية، والاستعداد لبذل النفوس فى سبيل الكرامة.. وأصبحت أراهم وكلهم ندم.. لأنهم لم يتدخلوا - مع ضعفهم الظاهر- ليردوا للبلاد كرامتها .. وليغسلوا عارها بالدماء .. ولكن إن غداً لناظره قريب.

لقد حاول البعض يا حسن بعد الحادث، أن يفعلوا شيئاً بهدف الانتقام .. لكن الوقت كان قد فات .. أما القلوب، فلا تزال كلها غضب ونار.

عموماً: هذه الطعنة ردت الروح إلى بعض الأجساد .. وعرفتهم أن هناك شيئاً إسمه كرامة الوطن.. وأن عليهم أن يستعدوا دائماً للدفاع عنها.

لقد كان هذا درساً .. ولكنه .. درس قاس»..

★★★

و .. تمر الأيام..

ويخرج الفارس ليلة (٢٣) يوليو سنة ١٩٥٢ .. وهو يحمل روحه على كفه قرباناً «لكرامة الوطن»..

يخرج الفارس فى منتصف الليل، وهو يحمل روحه على كفه .. ليرد طعنة الرابع من فبراير، إلى صدر بريطانيا العظمى .. فتحمل «عصاها على كاهلها.. وترحل»..

يخرج الفارس، فى منتصف الليل، وهو يحمل روحه على كفه .. بينما «بعض» هؤلاء الذين يتطاولون عليه الآن فى مماته، يشدون الأغطية جيداً على «أنفسهم» وهم نيام ..!!

والبعض الآخر : إما كان «مبتلاً» ليلتها في «لفائف» الرضع .. وإما كان «غارقاً» فيما أسماه السادات «بأوكار الترف.. والتهتك.. وحياة الليل» ..!!

وبينما الفارس ماض بنا إلى قرص «الشمس».

بينما هو ماض بنا إلى مجتمع الحلم .. مجتمع الحرية، والإشتراكية، والوحدة.

وبينما تثقل كاهله هموم البناء..

تطل عليه - فجأة - ذكريات الأمس .. ومن صفحة الوفيات :

«توفيت أمس إلى رحمة الله السيدة سين .. فقيدة عائلة الصدر .. و .. ستشيع الجنازة في الحادية عشرة من صباح اليوم الموافق ١٧ من مايو سنة ١٩٧٠»..!

ومن بعيد .. يراه صديقه حسن النشار .. كما قال لي.

يراه - وهو قائد العروبة! - يضع على عينيه نظارة سوداء .. يسدل ستائر سيارته الصغيرة .. ويسير بها وحده - بضعة أمتار - خلف الجنازة .. دون حراسة، ودون أن يشعر به أحد، فيفسد عليه جلال اللحظة.

لحظة وفائه للأمس .. وإخلاصه للحاضر .. ووداعه الأخير للمرأة التي خفق لها قلبه زمان.. ولم يحدث «نصيب» ..!



شفيق أحمد علي

الجيزة - مدينة الصحفيين في ١٥ يناير ١٩٨٩

◎ فصل جديد ◎

جريمة هذا الكتاب !!

قبل نزول الطبعة الأولى من كتاب «المرأة التى أحبها عبد الناصر» إلى الأسواق .. فى سبتمبر ١٩٨٩

وبمجرد نشر بعض الأخبار «الموجزة» عن قرب صدوره فقط .

وفقط : بمجرد نشر عنوانه ..

ولأننا فى عصر الهامبورجر .."والتيك آواى" . !

لأننا فى زمن الدجل .. والسمسرة .. وركوب الموجة . !

لأننا فى ظل قيم التهليب .. والتسليك .. والأستسهال .

استسهل بعض «الكتبة» الموظفين من «الودنية» .. وضاربى الرمل .. ومرتزقة كل عصر.. وسماسرة الصهاينة والأمريكان فى مصر .. استسهلوا قراءة «الغيب » على قراءة كتابى نفسه .

ودون أدنى خجل .. وقبل أن يصدر الكتاب ، قالوا عنه فيما كتبوا : هذا الكتاب «جريمة» .. ويستحق «الحرق» هو ومؤلفه .. فى ميدان التحرير . !!!!

كيف ..؟! تعالوا نرى .

★★★

فى كل بلاد الدنيا : لا يعلم الغيب .. إلا الله .

وفى كل بلاد الدنيا : لا يستطيع أى شخص «محترم» أن يحكم على كتاب أو يبدى رأيه

فيه وهو لا يزال فى علم الغيب ، ولم يصدر بعد .

والنصابون .. أو المرتزقة .. أو المخبرون الفاشلون ، هم فقط الذين يستطيعون ضرب الرمل ، وفتح «الكوتشينة» لمعرفة مضمون الكتاب قبل أن يصدر .

ومن بين تسعة عشر جريدة ومجلة ، تناولت كتاب «المرأة التى أحبها عبد الناصر» بالنقد أو العرض ..

تطوع «موظف» سابق فى هيئة الكتاب ، كان قد أحيل إلى المعاش منذ فترة ، وقرر أن يستفيد بخبراته السابقة فى كتابة «التقارير» من منازلهم .. حتى ضد الكتب التى لم تصدر، وما زالت فى علم الغيب . !!

وبدلاً من لعب الطاولة على قهوة المعاشات ، اتخذ صاحبنا إياه ، الكتابة للصحف «سبوبة» للرزق الذى أصبح هذه الأيام يحب «الخفية» وركوب الموجة ، وتشويه عبد الناصر، لصالح الصهاينة والأمريكان ، ونفاقاً للوفد والوفديين ، الذين فتحوا له جريدتهم «الغراء» .. دون أن يخجل حتى منهم وهو ينجم ، ويحرض ، ويضرب الرمل على صفحات جريدة الوفد قائلاً عن كتاب «المرأة التى أحبها عبد الناصر» قبل أن يصدر ، وقبل أن يقرأه «.. فى الطريق إلى الصدور كتاب يبدو أنه يروج تفسيرات غريبة ، لما حدث فى مصر يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ عن طريق التظاهر بتفنيدها والرد عليها » !!

قال ذلك فى مقال عنوانه «سعدية هانم وثورة يوليو» نشرته جريدة الوفد صباح الأحد ١٣ أغسطس سنة ١٩٨٩ ونعيد نشره – هو وغيره – فى هذا الفصل الجديد من الكتاب .. لمن لم يقرأه .

ومثلما سارع صاحبنا ، وضرب الرمل ، فى مقاله هذا وقال «يبدو...» .

فتح الكوتشينة أيضاً «وتنبأ» بأن الكتاب الذى لم يكن قد صدر وقتها «.. محاولة خطيرة ، وخبيثة ، ومريبة ، حتى لو كانت عن طريق تفنيد هذه الادعاءات والتفسيرات الغريبة» .

قال ذلك « الموظف» السابق قبل أن يصدر الكتاب ودون أن يقرأه «كاملاً» .. معتمداً فقط ، وباعترافه فى نفس مقاله على بعض الأخبار التى نشرتها الصحف وقتها عن الكتاب قبل صدوره .. بدليل أنه هو نفسه ، قال فيما كتب بأن «إحدى صحف المعارضة قالت أن الكتاب فى الطريق إلى الصدور ، ويبدو أنه .. كذا .. وكذا» .!

ولأنه يقرأ الغيب .. فقد «تنبأ» بأن الكتاب الذى قال بأنه «فى الطريق إلى الصدور» هو محاولة «خطيرة .. وخبيثة .. ومريبة ... إلخ» . !!!

وهو بذلك يكون قد أراح ضميره «الوظيفى» ونبه السلطات إلى «خباثة» الكتاب

وخطورته لتسارع إلى مصادرته قبل وصوله إلى أيدى القراء .!

وإمعانا فى استدعاء كل خبراته «الوظيفية» السابقة ، تناسى تلال التشويه ، والتجنى التى أهالها هو نفسه على عبد الناصر فى نفس مقاله زوراً ونفاقاً للوفد .. وراح يستعدى أسرة عبد الناصر ، ويحرض محبيه على مقاطعة الكتاب الذى لم يكن قد صدر بعد ولم يكن - بالتالى - قد قرأه قاطعاً بأن أسلوب الكتاب ، هو « ..اسلوب مرفوض انسانيا ، وترفضه تقاليد شعبنا ، لأنه يجرح مشاعر أسرة مصرية، كانت لها شأن فى مصر لسنوات طويلة» .. وهى طبعاً أسرة عبد الناصر ، الذى أهال عليه صاحبنا إياه فى نفس مقاله «تلالاً» من الزور والتجنى ، وروج لكل الأكاذيب والإدعاءات التى يرددها الصهاينة والأمريكان "وأحذيتهم" فى مصر .. وحشد فى مقاله قائمة طويلة من ادعاءاتهم التى يرددها المرتزقة وسماسرة كل عصر ، وراح يروج لها فى مقاله «عن طريق التظاهر» بذكرها كأمثلة لما أسماه «بانتقادات» جريدة الوفد لنظام عبد الناصر .. ولم لا .. أليس هو الذى سبق واتهم كتابى بأنه يروج لتفسيرات غريبة لأسباب ثورة يوليو «.. عن طريق التظاهر» بالرد عليها وتفنيدها « ؟!!»

★★★

ووفقاً لمقتضيات «نفاق» الحزب الذى فتح له صفحات جريدته ، كان صاحبنا إياه «سخياً» جداً فى نفاقه وتملقه للوفد على حساب عبد الناصر .. وحساب الغرض الذى قال أنه كتب من أجله المقال ، وهو تحريض الكل ضد كتاب «المرأة التى أحبها عبد الناصر» قبل أن يصدر . !!

ومن لا يصدق : يفتح جريدة «الوفد» الصادرة صباح الأحد (١٣) أغسطس ١٩٨٩ وسوف يجد على صفحتها الثالثة مقالاً عنوانه «سعدية هانم وثورة يوليو» .

مجموع سطوره على صفحات الجريدة (٦٧) سطراً منها (١٦سطراً) فقط للغرض الذى كتب من أجله المقال ، وهو تحريض القراء والسلطات وأسرة عبد الناصر ضد الكتاب

أما نفاق الوفد وجريدته ، فقد أفرد له صاحبنا (٥١) سطراً من مجموع (٦٧) سطراً هى كل سطور المقال .. عملاً بالمثل القائل : تراعينى قيراط .. أراعيك (٥١) قيراط يا حزب «الوفد» الحبيب .. بل وأهيل زوراً كل الصفات السيئة على عدوك اللدود جمال عبد الناصر الذى انتزع من " باشاواتك" السلطان والجاه ، والأراضى الشاسعة ، ووزعها على الفلاحين الحفاة ، الذين كانوا عبيداً لمعاليكم ، وخدماً لسموكم. !!

ولا مانع أيضاً من التضليل ، والتجريح ، وتغيير الجلد ، حسب اتجاه الريح .. أو حسب طلب «الزبون» .. أو حسب هوى الجريدة التى سينشر فيها المقال .. ذلك لأن صاحبنا هذا ، وأمثاله .. دائماً لا ينتقدون الحاكم ، ولا يرون سلبياته ، إلا وهو فى قبره .. أو بعد أن يترك

منصبه .

وإذا سألت أحدهم أين كانت هذه الشجاعة والحاكم على عرشه ، ولماذا تهاونت في حق أمتك ولم تكشف مفاسد الحاكم ، وتتصدى لسلبياته وهو على قيد الحياة .. جاءتك الإجابة الجاهزة : كنا نخشى بطشه وجبروته . !!

ورغم أنهم يقولون لنا يومياً بأننا الآن «فى أزهى عصور الديمقراطية» - مثلما قالوها أيضاً أيام السادات - لم نر واحداً منهم يذكر لنا سلبية «واحدة» فى الرئيس الذى يجلس الآن على عرش مصر .. وكأنه معصوم من الخطأ .. ولم نر واحداً منهم ينتقد الرئيس الحالى بسبب أخطاء وزرائه أو معاونيه .. مثلما يتهجمون الآن على عبد الناصر ، ويحملونه أخطاء أصغر ضابط ، أو موظف فى عصره .. ويتهمونه بنفس الاتهامات التى ينسبها إليه الصهاينة والامريكان «واحذيتهم» فى كل مكان .

والدليل : هو كل ذلك الغزل الدائم فى «كل» ما يفعله الرئيس "الحالى" لمصر .. وتلك القائمة الطويلة من السلبيات والكوارث التى حشدها صاحبنا إياه .. فى مقاله ، ونسبها إلى عبد الناصر وهو فى «قبره» .. حتى أنه لم يترك سلبية عرفها البشر على مر العصور إلا ونسبها إلى عبد الناصر .. ولمن لا يصدق .. ها هى قائمة الاتهامات والمصائب التي جاءت نصاً فى مقال صاحبنا إياه تتهم عبد الناصر صراحة «.. بالقهر ، والتعذيب ، والدكتاتورية ، والتصفية الجسدية ، والتجارب الاجتماعية غير المدروسة ، والتخبط الاقتصادى والتخبط الثقافى ، والتدخل فى شئون البلاد العربية الاخرى ، والتناقض فى المواقف السياسية ، ووقوع مصر فى قبضة مجموعة من المعاونين لعبد الناصر ، والتعتيم الإعلامى . والمعتقلات ، والسجون ، والاحكام الجزافية ، والتدخل فى حياة الناس الخاصة ، وقهر إرادة الإنسان المصرى، وتزوير هذه الإرادة فى الاختيار، والانتخاب ، وتخريب وجدان الناس ، وتصفية الذين شاركوا يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، والصراع اللا إنسانى على السلطة ، ومطاردة المثقفين ، والمخالفين ، فى أرزاقهم ، وحل الأحزاب ، وضرب القوى السياسية جميعها ، والانفراد بالقرار ، والدخول فى مغامرات عسكرية ، وتبديد ثروة البلاد على أطماع شخصية».!!

هكذا بالضبط .. وبالحرف الواحد .!

★★★

وهكذا أيضاً : لم يعد فى الدنيا «مصيبة» إلا ونسبها الموظف السابق واتهم بها عبد الناصر ونظامه على صفحات جريدة «الوفد» مدعياً بأنها قد «دأبت» بتعبيره ، منذ صدورها وحتى الآن .. على ما اسماه «بإلقاء الأضواء الناقدة على كل هذه القائمة الطويلة

من السلبيات بأسلوب سياسى ، ولكنها ابداً . ابداً ، لم تحاول مرة واحدة ، أن تقترب من الحياة الشخصية للرئيس الراحل جمال عبد الناصر» .

هكذا يقول صاحبنا فى مقاله ، وهو بالطبع ، إدعاء صارخ وتبجح فاضح من صاحبنا الموظف السابق فى هيئة الكتاب ، التابعة لوزارة الثقافة ، التى لم تنشأ فى عهد حكومة الوفد ، وإنما فى عهد جمال عبد الناصر «الدكتاتور» الذى وصفه الموظف السابق فى مقاله «بعهد التخبط الثقافى ، ومطاردة المثقفين» عن طريق معاونى عبد الناصر « الاشرار» الذى يتناسى الموظف السابق أنه كان واحداً منهم بصفته - كما قال على صفحات جريدة الأهالى فى ٤ مايو ١٩٩٦ «كان مديراً عاماً» كبيراً .. فى هيئة الكتاب ، أيام عهد الناصر . !!

وادعاء المدير السابق ، بأن جريدة الوفد « .. لم تحاول أبداً أبداً ، مرة واحدة أن تقترب من الحياة الشخصية لعبد الناصر» لا يمكن أن نعذره فيه إلا فى واحدة من الحالات الآتية :

●● الحالة الأولى : أن يكون صاحبنا المدير السابق !! - ممن لا يعرفون القراءة أصلاً .. ويكون فى هذه الحالة معذوراً جداً ، لأنه لا يستطيع قراءة جريدة «الوفد» .. وبالتالى قراءة غمزها ولمزها ، وهجومها الشخصى ، وغير الشخصى على عبد الناصر وأبنائه .. قبل الأكل وبعده .

●● والحالة الثانية : أن يكون المدير السابق ، ممن يعرفون القراءة جيداً ، ولكنه لا يقرأ جريدة «الوفد» التى يكتب فيها ، ويتملقها بطريقته الفجة ، وأظنها ليست فى حاجة إلى هذه الطريقة الكريهة فى تبرير ما تكتبه عن عبد الناصر أو غير عبد الناصر!

●● والحالة الثالثة والأخيرة : هى أن يكون صاحبنا الذى كان مديراً «كبيراً» فى عهد عبد الناصر ، يعرف القراءة جيداً ، ويقرأ جريدة الوفد يومياً ، ولكنه يسخر عمداً من عقول قراء الوفد فى كل مكان ، متجاهلاً أن أى قارئ دائم .. أو حتى نصف دائم للوفد ، يستطيع وبسهولة ، أن يعد ملفاً ضخماً مثل الذى أمامى الآن ، عن تلال الغمز واللمز ، والتهجم الشخصى ، وغير الشخصى ، الذى تعرض له عبد الناصر ولا يزال ، هو وابنائه ، الذين لا يحلو لجريدة الوفد ، إلا أن تسميهم تلميحاً ، أو تصريحاً «بالمليونيرات أبناء زعيم الاشتراكية» .. وكأنهم أصبحوا مليونيرات فى عهد والدهم أو أستغلالاً لنفوذه - وهو فى القبر !! - كما يفعل «حالياً» أبناء الكوارث الجاثمة على صدورنا الآن .. ونسميهم بالمسئولين الكبار . !!

●● متناسياً أيضاً : تلال الغمز واللمز والتجريح الذى يتعرض له معاونو عبد الناصر ومحبوه ، والمنتمون لفكره على صفحات الوفد . التى «دأبت» بتعبير المدير السابق ، منذ صدورها وحتى الآن ، على تشويه عبد الناصر وتلطيخ عصره ، بالسواد .. سواء من خلال ما

يسمونه «بجبرتى» الوفد ، أو خلافه . !!

●● ومتناسياً أيضاً : أن جريدة الوفد بتسويدها «المطلق» لكل صفحات عبد الناصر السياسية ، تكون قد سودت أيضاً ، صفحاته الشخصية ، لأن الشخص لا ينفصل أبداً عن سياساته وأفعاله .. والشخص السوى يتبنى سياسات سوية ، والعادل لا يتبنى سياسات ظالمة ، والمحب يرفض التعذيب والتصفية الجسدية ، ومطاردة المثقفين فى أرزاقهم .

●● ومتناسياً أيضاً : أن جريدة "الوفد" التى يتملقها صاحبنا إياه ، قد «دأبت» بتعبيره.. على إلصاق كل مساوئ الدنيا بعبد الناصر «بأسلوب سياسى» كما يقول .. دون أن تذكر لعبد الناصر حسنة واحدة حتى الآن من فرط «الموضوعية» .. وهى الحقيقة التى تجاهلها المدير السابق فى مقاله ، ولم يستطع تبريرها فى سياق تبريره الفج لفتح جريدة الوفد صفحاتها لما أسماه «بالتناول السياسى» للقاذورات التى تضمنها كتاب اعتماد خورشيد .

●● متناسياً : أن القاذورات دائماً .. هى القاذورات وليس لها تناول سياسى ، وتناول «قاذوراتى» .. خصوصاً وأنها هى التى اعترفت فى كتابها بأنها كانت تذهب إلى فراش الرجال نظير أجر معلوم .. فهل يعتد بشهادة مثل هذه «النوعية» من النساء بأى صورة من الصور .. ضد زعيم فى حجم عبد الناصر وتاريخه ؟! .. ورغم ذلك لا ينكر المدير السابق فى مقاله ، أن جريدة «الوفد» قد احتفت وروجت لاكاذيب اعتماد خورشيد ضد عبد الناصر ومعاونيه بصور وعناوين عريضة وبارزة وفتحت الصفحات الكاملة للكتاب وقاذوراته . !

ونفاقاً للوفد .. برر صاحبنا ذلك بطريقة فجة ، وكريهة قائلاً بأن الجريدة تناولت القاذورات التى تضمنها الكتاب «تناولاً سياسياً» .. وكأن القاذورات – كما قلت – لها تناول سياسى وآخر قاذوراتى .

وحتى حينما فتحت جريدة الوفد صفحاتها لهذا الذى أسماه الموظف السابق «بالتناول السياسى» لقاذورات إعتماد خورشيد ، لم تعلن الوفد صراحة ضمن سطوره بأنها ضد هذا الكتاب .. ولم تقل أنه «محاولة ، خطيرة .. وخبيثة ، ومريبة .. لكذا .. وكذا .. وكذا» مثلما قال الموظف إياه عن كتاب «المرأة التى أحبها عبد الناصر».!

ولم تقل الوفد أيضاً ، وهى تفتح صفحاتها لكتاب اعتماد خورشيد بأن «أسلوبه مرفوض إنسانيا ، وترفضه تقاليد شعبنا ، لأنه يجرح مشاعر أسرة مصرية . كانت لها شأن فى مصر لسنوات طويلة» كما قال صاحبنا أيضاً عن كتابى .. ولكن على العكس فتحت جريدة «الوفد» أيضاً صفحاتها لفضائح اعتماد خورشيد ، وروجت أكاذيبها ضد عبد الناصر «.. عن طريق التظاهر ، بتناولها سياسيا» .. تماما مثلما اكتشف المدير السابق بأن كتابى يروج لتفسيرات غريبه عن أسباب ما حدث يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ «.. عن طريق التظاهر

بتنفيذها» كما قال في مقاله . !!

●● متناسيا . وهو الأهم . أن عبد الناصر نفسه لم يكن في حياته الشخصية «أصلا» مطاعن حقيقية .. وإلا ما سكتت المخابرات الإسرائيلية ، ولا المخابرات الأمريكية عليها حتى الآن .. وكلنا يعرف أنها قلبت بعد وفاته - ولا تزال - كل حجر في بنوك سويسرا وغير سويسرا ، بحثا عن أى شئ يسيئ إلى أخلاق عبد الناصر أو ذمته المالية .. وها هو «يوجيم جوستين» المدير الأسبق للمخابرات الأمريكية ، في كتابه الشهير «التقدم نحو القوة» يقول نصا عن جمال عبد الناصر :

«مشكلتنا مع ناصر أنه بلا رذائل خلقية ، مما يجعله من الناحية العملية ، غير قابل للتجريح ، فلا نساء .. ولا خمر .. ولا مخدرات .. كما لا يمكن شرائه ، أو رشوته أو حتى تهويشه .. نحن نكرهه ككل .. ولكننا لا نستطيع أن نفعل تجاهه شيئاً .. إنه فعلاً بلا رذيلة شخصية .. ولهذا ليس أمامنا ، ولا أمام أصدقائنا .. إلا مهاجمة سياساته بشدة ومن كل اتجاه» . !!

●● ومتناسياً أيضاً : أن الشعب المصرى مثل كل الشعوب المتحضرة ، من حقه أن يعرف كل صغيرة وكبيرة في الحياة الشخصية وغير الشخصية لزعمائه ورؤسائه وشخصياته العامة في كل عصر ، ماداموا قد تصدوا للعمل العام ، وأصبحوا شخصيات عامة . مثلماً يحدث في كل الدول «فعلاً» لا إسماً .. والغريب أن المدير السابق إياه .. يجعل من نفسه «وصياً» ورقيباً على عقول المصريين - وهو الذى يتهم عبد الناصر بالقهر وكبت الحريات - ويدعو إلى حجب الحقيقة عن الناس ، والانتقاص من حقهم في معرفة الحياة الشخصية لزعمائهم ، في مقاله المنشور على صفحات جريدة الوفد .. التى تتغنى بالحرية ، والليبرالية ، وحق الناس في المعرفة .. وهو بالضبط ما طالب به كاتبنا الكبير «محسن محمد» في يومياته التى نشرها على صفحات جريدة «أخبار اليوم» صباح السبت ١٨ فبراير سنة ١٩٨٩ .. حين توقع - حرفياً - فيما كتب يومها بأن « .. البعض سوف يلوم الكاتب الصحفى شفيق أحمد على لأنه اخترق الحياة الشخصية للزعيم ، ونشر قصة المرأة التى أحبها جمال عبد الناصر ، ولكن حياة الزعماء الشخصية منذ ميلادهم ، وحتى وفاتهم - على عكس ما يرى المدير السابق!! - يجب أن تكون كتاباً مفتوحاً للشعب وللتاريخ ، ولا يوجد ما يعيب زعيماً يحب.. بل على العكس من ذلك ، إن كان في حياته قصة حب حقيقية ، فإن نشرها ، يجعله في نظر الناس إنساناً ذا عواطف بدلاً من أن ترسم له صورة الزعيم العابس الذى لم يخفق قلبه بعاطفة .

هذا ما كتبه حرفياً الاستاذ محسن محمد عن «كتابى» .. رغم أنه لا يخفى عداء

الصريح لعبد الناصر فى كل ما يكتب.

★★★

كل هذا - طبعاً - يتجاهله ويتناساه صاحبنا إياه ، الذى كان مديراً عاماً ، وكبيراً فى وزارة الثقافة ، التى استحدثها عبد الناصر «الدكتاتور» فى العهد الذى وصفه المدير السابق فى مقاله دون خجل «بالقهر والتعذيب والتصفية الجسدية ، وتزييف الإرادة ، وتخريب الوجدان ، والتخبط الثقافى ، ومطاردة المثقفين» .. ويدعى أن نشرى لقصة حب رومانسية فى حياة جمال عبد الناصر سوف يجرح مشاعر أسرته .. أما القائمة السابقة لاتهاماته الكاذبة لعبد الناصر بالقهر ، والتعذيب ، وخلافه .. فسوف تنزل برداً ، وسلاماً على أسرة عبد الناصر التى يدعى الغيرة على مشاعرها .

وحتى إذا افترضنا - جدلاً - صحة كل الادعاءات التى ساقها المدير السابق فى مقاله المذكور .. فما هو إذن حجم مسئوليته هو ، ومسئولية «تقاريره» إياها عن هذا الذى وصفه زوراً فى مقاله «بالتخبط الثقافى ، ومطاردة المثقفين» بصفته كان وقتها مديراً كبيراً ، ومسئولاً فى وزارة الثقافة . كما قال هو على صفحات جريدة "الأهالى» فى ٤ مايو سنة ١٩٩٦ .

كل هذا يتجاهله ويتناساه صاحبنا إياه .. إذا كان يكتب مقاله لجريدة «الوفد» التى تهاجم عبد الناصر ..قبل الأكل وبعده .

أما إذا كان المقال لجريدة "الأهالى" مثلاً .. كما حدث فعلاً على صفحة (١٨) من عددها الخاص الذى صدر فى ٤ مايو ١٩٩٦ بمناسبة وفاة المرحوم «خالد محمد خالد» فعبد الناصر عند صاحبنا نفسه يختلف تماماً . !!

ومن لا يصدق : يفتح جريدة «الأهالى» ويقول معى سبحان مغير "الجلود" .. الذى جعل عبد الناصر فى مقال صاحبنا إياه على صفحات "الوفد" يطارد المثقفين بالقهر والتعذيب ، والتصفية الجسدية ، وجعله فى مقال آخر «لنفس» المدير السابق على صفحات الأهالى زعيماً وطنياً «يهتم بالمثقفين ويرعاهم ، ويدعو خالد محمد خالد إلى بيته فى منشية البكرى ، ليستمع إليه ويوافق على اختياره عضواً بمؤتمر القوى الشعبية، وهو المؤتمر الذى اشترك فيه خالد محمد خالد بمداخلات وتعليقات دفعت عبد الناصر إلى الرد عليه وشرح رأيه فى الديمقراطية ، وكانت مساجلة - علنية - بينهما فى المؤتمر ، أعادت الأضواء إلى اسم خالد محمد خالد» . !!

هذا ما قاله حرفيا المدير السابق فى مقاله على صفحات جريدة «الاهالى» فى ٤ مايو ١٩٩٦ عن المرحوم خالد محمد خالد الذى عارض عبد الناصر واختلف معه فى الرأى علنا

وأمام الجميع في مؤتمر القوى الشعبية .. ورغم ذلك ، لم يتم اعتقاله أو تعذيبه ، أو تصفيته جسدياً في العهد الذى وصفه المدير السابق على صفحات الوفد «بالقهر والتعذيب والتصفية الجسدية» . !!

أما عقلية عبد الناصر «الدكتاتور» في رأي المدير السابق على صفحات "الوفد" في ١٣ أغسطس ١٩٨٩ فهي في رأي نفس المدير على صفحات «الاهالى» في المقال المنشور له في ٤ مايو ١٩٩٦ «عقلية تختلف كثيراً عن عقلية معاونيه .. وبهذه العقلية ادرك عبد الناصر حقيقة مواقف خالد محمد خالد واسلوب تفكيره ، وتفهم ما جاء بكتبه ، وحماه من التقارير السريعة السطحية» . !!

هذا هو حال النقد ، والموضوعية في تقييم عبد الناصر في زمن البيع ، والخصخصة، «واللغوصة» في كل شئ حتى التاريخ .. حسب طلب «الزبون»

وهذا هو أيضاً : المدير السابق ، الغيور أكثر منى على سمعة عبد الناصر .. إذا كان يكتب لجريدة «الوفد» فلا حسنة «واحدة» لعبد الناصر ، وكل سلبيات الدنيا فيه وفي منجزاته .. وإذا كان يكتب لجريدة «الاهالى» فعبد الناصر « .. يهتم بالمثقفين ، ويرعاهم ، ويحميهم من التقارير السريعة والسطحية» التى يكتبها المديرون .. والمخبرون إياهم . !!

★★★

وفي ظل هذه القيم .. قيم الخصخصة ، و«اللغوصة» وتملق الزبون .. كان من الطبيعي أن يكون «كتابي» في رأي المدير السابق على صفحات الوفد في ١٣ أغسطس سنة ١٩٨٩ « .. محاولة خبيثة للإنحراف بتاريخنا المعاصر ، وتفسير أسباب ما حدث يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وطمس الاسباب الحقيقية للإطاحة بحكومة حزب الوفد في ٢٧ يناير ١٩٥٢ ، والتآمر عليها من جانب أمريكا وأجهزتها ، وبريطانيا والقصر ، وعدد من أحزاب الأقلية السياسية غير الديمقراطية ، وذلك لضرب الثورة الشعبية ، التى حددت أهدافها في الاستقلال الوطني والتخلص من النفوذ الانجلو أمريكي ، والعدل الاجتماعي .. تآمرت كل هذه القوى جميعها ، وأجهضت الثورة الشعبية ثم جاء الضباط الأحرار إلى السلطة ، وسرعان ما انفرد جمال عبد الناصر بكل مقومات الحكم» .

هذا ما قاله نصاً المدير السابق في مقاله المذكور ، وفقاً لمقتضيات التضليل وتملق الوفد ، وكأن السيد المدير لا يعرف اسماً ولا وصفاً لما حدث في مصر يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .. وكأنه لا يعرف أيضاً كيف جاء عبد الناصر وأعضاء تنظيمه "السرى" إلى السلطة .. وكأن مجيئه هو والضباط الاحرار إلى الحكم ، كان جزءاً من "مؤامرة كبرى" اشترك فيها عبد الناصر وأمريكا وبريطانيا والملك ، وأحزاب الأقلية ، ضد حكومة الوفد التى أقالها الملك بعد حريق

القاهرة ، وكأن الملك فاروق لم يتآمر مع أمريكا وبريطانيا وأحزاب الأقلية فقط ضد حزب الوفد - كما يقول المدير السابق - وأنما تآمر أيضاً مع عبدالناصر .. ليطيح به ويطرده من مصر ؟!

هل رأيتم أكثر من ذلك «هبل» .. أو خبل ؟!!

★★★

على أية حال : نحن الآن لسنا بصدد سرد أسباب إقالة الملك فاروق لحكومة الوفد الأخيرة في ٢٧ يناير ١٩٥٢ بعد حريق القاهرة .. وإن كان «مرسوم الإقالة» المنشور يقول في العدد رقم ٢٠ لسنة ١٩٥٢ من جريدة الوقائع المصرية يقول بأن سبب إقالة الوزارة الوفدية إياها هو «التقصير في جهود حفظ الأمن والنظام» وأن هذا التقصير كان سبباً من الأسباب التي أدت إلى سرعة انتشار الحريق الشهير الذي أكل القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

وبصرف النظر عن مدى «حقيقة» هذا السبب المعلن في الوقائع المصرية .

وإذا كان صاحبنا إياه لا يعرف حقاً الأسباب «الحقيقية» التي من أجلها تمت إقالة الوزارة الوفدية الأخيرة في ٢٧ يناير ١٩٥٢ .. ويتهم كتابي «بمحاولة طمسها» .. فأنا بالمناسبة : أحيله إلى المؤرخ المحترم ، الدكتور يونان لبيب رزق في كتابه الهام «تاريخ الوزارات المصرية» وما عدده في هذا الكتاب من أسباب عجلت بإقالة هذه الوزارة الوفدية التي يتباكى عليها صاحبنا إياه ، والتي أسماها الدكتور يونان على صفحة (٥٠١) من كتابه المذكور «بحكومة التنازلات المتتالية .. بدءاً من رضوخها لرغبة الملك فاروق ، وتعيين محمد حيدر باشا وزيراً للحربية وهو وزير غير وفدي أمر الملك باشتراكه في وزارة الوفد ، وأيضاً تعيين الملك فاروق لحافظ عفيفي رئيساً للديوان الملكي دون علم الوزارة أو إستشارتها .. وانتهاء بإقالتها لشيخ الأزهرالشيخ عبد المجيد سليم من منصبه لأنه انتقد الملك فاروق في مجلة آخر ساعة وقال الشيخ وقتها عن بذخ الملك : تقتير هنا وإسراف هناك» . !!

●● وأحيله أيضاً : إلى المرحوم جلال الحمامصي في كتابه «معركة نزاهة الحكم» وما كتبه عن نفس الوزارة الوفدية التي أسماها هو الآخر على صفحة (١٣٧) بوزارة «الاستسلام للملك ، والمهادنة الكاملة للقصر» . !!

●● وأحيله أيضاً : إلى الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه الهام «مذكرات في السياسة المصرية» وما قاله على صفحة (٣٥٢) من الجزء الثاني منتقداً نفس الوزارة الوفدية ودفاعها على لسان فؤاد سراج الدين في البرلمان عن تصرفات كريم ثابت المستشار الصحفي للملك أثناء نظر مجلس الشيوخ للاستجواب الذي كان قد تقدم به النائب مصطفى مرعي ، واتهم فيه كريم ثابت صراحة بالإستيلاء على خمسة آلاف جنيه من

أموال جمعية المواساة بالاسكندرية . !!

●● وأحيله أيضاً : إلى المرحوم محمد زكى عبد القادر فى كتابه «محنة الدستور» وما كتبه عن نفس الوزارة الوفدية التى اتهمها «بمخالفة الدستور» وإصدار ما عرف وقتها بقانون «أنباء القصر» لحجب أخبار الملك وفضائحه عن الشعب . !!

●● وأحيله أيضاً : إلى الاستاذ الكبير أحمد بهاء الدين - شفاه الله - فى كتابه «فاروق ملكاً» وما كتبه عن نفس وزارة الوفد الأخيرة التى اتهمها على صفحة (١٨٩) بمهادنة الملك «ومسايرته ومساومته ، وإرضاء طلباته ، بعد أن أصبح بقاؤها فى الحكم هدفاً فى حد ذاته».. بعد أن اتهمها الأستاذ بهاء أيضاً بما أسماه «بتحلل بنيان الوفد من داخله».!!

●● وفوق كل ما سبق .. أحيله أيضاً : إلى العالم والمستشار طارق البشري فى كتابه «الحركة السياسية فى مصر» وماكتبه عن أسباب سقوط نفس هذه الوزارة الوفدية الأخيرة مؤكداً على صفحة (٣٠٧) بأنها «حملت منذ الأيام الأولى لتشكيلها أسباب سقوطها وبذور تفككها» . !!

★★★

هذا عن الأسباب "الحقيقة" التى أدت إلى الإطاحة بآخر وزارة وفدية حكمت مصر ، والتى قال عنها صاحبنا إياه بأن أمريكا ، وبريطانيا ، والملك فاروق ، والأحزاب ، والضباط الاحرار وغير الاحرار .. قد «تآمروا» معاً للإطاحة بها ، وهى الاسباب التى تطوع نفس صاحبنا إياه، وفتح الكوتشينة وتنبأ بأن كتابى هذا ، والذى لم يكن قد صدر وقتها هو فى رأيه «محاولة خبيثة لطمس الأسباب» التى أدت إلى سقوط آخر وزارة وفدية حكمت مصر» .. وتنبأ أيضاً بأن أسلوب كتابى ، وقبل أن يصدر .. هو «اسلوب مرفوض إنسانياً وترفضه تقاليد شعبنا» لأنه يتحدث عن علاقة عبد الناصر والسادات بالخمور والنساء » . ولهذا فهو فى رأيه كتاب ينتمى إلى كتب الفضائح ، والاثارة .. ويستحق «الحرق» هو ومؤلفه فى ميدان التحرير .!!!

★★★

وهكذا : وعلى طريقة «المخبرين» أخذوا كتابى «بالشبهات» وقالوا قبل أن يصدر «يبدو..» ومرفوض .. ويستحق . !!

ومثلما ضربوا الودع ، وقرأوا الغيب ، وقالوا «يبدو» .. شقوا صدرى ودخلوا قلبى.. وأفتوا بأن رغبتى فى إظهار الحقيقة ، وفضح أكاذيبهم ، وأساليبهم المشبوهة ، لتشويه عبد الناصر .. هى فى الحقيقة ، مجرد «تظاهر» بالرد والتفنيد. !!

ولما نزل الكتاب إلى الباعة ، عاد نفس السماسرة ومعهم بعض «الودنيه» الذين لا يقرأون

وقالوا : الكتاب - بالفعل - جريمة .. وأيضاً فضيحة . !!

وأنا أيضاً : أراه جريمة .. وفعلاً فضيحة .

هم قالوا أن هذا الكتاب «جريمة» ارتكبتها أنا فى حق عبد الناصر الذى أحبه ، وافتقده.. وانتمى لفكره ومبادئه .. وهم أكثر منى غيرة عليه . !!

وأنا أرى أن الكتاب بالفعل «جريمة» .. ولكنى أرتكبتها فى حقهم هم .. هؤلاء الكتبة ، والمخبرين ، والودنية ، والمرتزقة ، وضاربى الودع ، وسماسرة كل عصر ، الذين يركبون كل موجة ، ويتصدون للعمل العام فى مصر ، بالفهلوة وعدم القراءة ، واعتماداً على آذانهم ومصالحهم فقط .. ومنهم بعض الذين ينسبون أنفسهم إلى «الناصرية» بالطبع . !!!

وهم قالوا أن هذا الكتاب فضيحة «تجرح مشاعر أسرة مصرية كان لها شأن فى مصر لسنوات طويلة» .

وأنا أرى أن الكتاب بالفعل «فضيحة» .. ولكن لأنه كشف «عورة» هؤلاء الذين يهاجمون عبد الناصر من سماسرة الصهاينة ، وأحذية الأمريكان ، ورموز الفساد ، ومرتزقة كل عصر ، والذين أضيروا من إجرءات الثورة .. ومعهم أيضاً هؤلاء «الودنية» الذين يتصدون للعمل العام بالفهلوة ، دون قراءة اعتماداً على آذانهم فقط.. ومنهم بعض مدعى «الناصرية» كما قلت من قبل .

●● والحقيقة : كل هؤلاء لا يعنوننى فى شئ .. ولم أحقق ، ولم أدقق .. ولم أبحث عن الحقيقة وأضعها فى هذا الكتاب من أجلهم ، أو من أجل «تغييرهم» لأننى مثلكم، أعرف جيداً ، أن اتجاه «بوصلتهم» لن تغيره دار الكتب كلها .. تغيره فقط مصالحهم الذاتية . !!

لهذا لم اكتب لهم .. ولا أعنيهم .. ولا اتوجه إليهم بهذا الكتاب .. كتاب «المرأة التى أحبها عبد الناصر» .

●● يعنينى فقط بسطاء مصر وشرفائها .. الذين خاطر عبد الناصر من أجلهم ، وخطط ودبر ، وخرج هو ورفاقه ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ للإطاحة بالملك وبالفساد ، وبالاحتلال الانجليزى الذى نتناسى أن عبد الناصر قد طهر مصر من دنسه بعد (٧٢) عاما من الاحتلال المتواصل .. رغم علم عبد الناصر ورفاقه بأنهم لو فشلوا فيما هبوا من أجله .. فسوف يعلقون على أعواد المشانق .. أو يعدمون علناً رمياً بالرصاص . !!

●● وللأمانة : يعنينى أيضاً بعض «الودنيه» الذين ينسبون أنفسهم إلى «الناصرية» ويسيئون إلى عبد الناصر القارئ المثقف .. ويبنون مواقفهم أو يتصدون للعمل العام ، إعتماداً على آذانهم فقط .. هؤلاء الذين رأوا فى كتابى قبل أن يقرأوه .. أننى ارتكبت «جريمة» حينما تصديت لنسف أكذوبة صلاح منتصر.. واقتربت من «غراميات» عبد الناصر.

وبدلاً من أن يفرحوا للكتاب ويروجون للحقيقة التى توصلت إليها من خلال خطابات عبد الناصر نفسه .

وبدلاً من أن يستفيدوا بالخطابات والوثائق التى نشرتها فى الكتاب ، ويشاركون بها فى تفنيد أكاذيب صلاح منتصر ، وأمثاله .. صدمهم أن أتجرأ وابادر بالبحث عن الحقيقة فى حكاية «المرأة التى أحبها جمال عبد الناصر» .

●● ومثل كل «الودنية» فى مصر ..

ودون أن يجهد أحد منهم نفسه ، ويقرأ الكتاب .. استسهلوا أن يعتمدوا على آذانهم فقط ، وأفتوا بأن كتاب « المرأة التى أحبها عبد الناصر» يستحق «الحرق» فى ميدان التحرير .. دون أن يتفضل واحد منهم «حتى الآن» ويفتينا بالطريقة «المثلى» فى رأيه ، التى كان يمكن بها فضح حقيقة الأكذوبة التى اختلقها صلاح منتصر ونسبها إلى عبد الناصر .. ثم نشرها على الصفحة السابعة من جريدة لأهرام فى ٣١ يوليو ١٩٨٣ قائلاً أنه «سمعها» .. دون أن يحقق أو يتحقق منها بنفسه كما تقول أبسط قواعد «الأمانة» الصحفية .. إن كان حقاً قد سمعها كما يقول .. أو إن كان فعلاً بلا غرض . !!

●● ومثل كل «الودنية» فى مصر ..

اعتمد صلاح منتصر على «أذنه» ونشر أكذوبة قال أنه «سمعها» فقط .. ورغم ذلك نصب من نفسه محللاً نفسياً ، واتخذها دليلاً قاطعاً على أن عبد الناصر كما يقول حرفياً «كانت لديه عقدة خاصة من باشوات زمان ، وسبب هذه العقدة ، هو قصة حب من طرف واحد هو جمال عبد الناصر ، وفتاة شقراء تنتمى إلى أسرة من الباشوات، ولما تقدم عبد الناصر لخطبتها من والدها الباشا ، ثار عليه وربما طرده من منزله لفقره وسمار بشرته» . !!!

لهذا – والفتوى لا تزال لصلاح منتصر – لم يسارع عبد الناصر بإلغاء الألقاب ، ولم يقم بتوزيع الأراضى على الفلاحين المعدمين ، حباً فى عيون الفقراء ولا تحقيقاً للعدالة الاجتماعية، وإنما انتقاماً من باشوات زمان .

هكذا : أفتانا المؤرخ «الودنى» الكبير صلاح منتصر فى تفسيره "العاطفى" لأسباب ثورة عبد الناصر ومنجزاته ، ونافس صديقيه الشهيرين الدكتور «مرضان» .. وأنيس الصهاينة والامريكان .. وتفوق عليهما معاً فى التهجم زوراً على عبد الناصر فى هذه الأيام – أيام التصهين والأمركه !! – بعد أن كانوا هم الثلاثة ، قد تغزلوا من قبل فى «التراب» الذى كان يمشى عليه عبد الناصر زمان . !!!

★★★

وحتى حينما صادفت الاستاذ صلاح منتصر بعدها أثناء خروجنا من إحدى الندوات التى

عقدت فى جامعة القاهرة عن غزو العراق للكويت وفى أعقابه مباشرة .. وسألته يومها معاتباً عن السبب الذى منعه من تصحيح ما تجنى به على عبد الناصر وهو فى قبره ، خصوصاً وإننى قد بادرت وأرسلت له كتاب «المرأة التى أحبها عبد الناصر» حتى مكتبه – فور صدوره مباشرة عام ١٩٨٩ ، وبالتحديد فى أوائل سبتمبر من نفس العام – وكان صلاح منتصر وقتها لايزال رئيساً لتحرير مجلة «اكتوبر» .

يومها : وبتبجح مغلف بابتسامة باهتة ، ليبدو وكأنه يمزح .. قال لى صلاح منتصر وهو يقفز فى اتجاه سيارته : يعنى يا سيدى عايزنى أكدب نفسى مثلاً علشان خاطر عبد الناصر بتاعك !!!

★★★

وهكذا : ورغم صدور الطبعة الأولى من كتاب «المرأة التى أحبها عبد الناصر فى سبتمبر ١٩٨٩ .

ورغم مرور أكثر من سبع سنوات كاملة على وضع الحقيقة أمام صلاح منتصر من خلال خطابات عبد الناصر نفسه .. إلا أن الاستاذ «منتصر» لم ينتصر للحقيقة حتى تاريخ كتابة هذه السطور ، ولم يشغل باله أويكلف نفسه بتصحيح الاكاذيب التى افترى بها على جمال عبد الناصر ، وهو فى قبره ، ولو من باب «الأمانة» الصحفية.!!

وعلى ذكر الحديث عن الأمانة الصحفية ، أو عن ميثاق الشرف الصحفى .. لا أستطيع أن أحدثكم عن عدم اكتراث الكاتب و«الصحفى» الشهير صلاح منتصر بتصحيح الأكاذيب التى روجها عن عبد الناصر ، ولو من باب الالتزام بميثاق الشرف الصحفى .. لا أستطيع أن أحدثكم فى ذلك دون أن أذكركم بأن الاستاذ «الكبير» صلاح منتصر عضو فى «مجلس الشورى» الذى هو منوط – مع نقابة الصحفيين – بمتابعة مدى التزامنا نحن الصحفيون ، بالتقاليد «والأمانة» الصحفية .

ولا أستطيع أن أحدثكم أيضاً عن مدى انتهاك الصحفى الكبير صلاح منتصر للأمانة الصحفية .. دون أن أقارن بين موقفه هذا ، وموقف الكاتب والصحفى المبدع ، المحترم «عبد العال الباقورى» الرئيس الحالى لجريدة الأهالى .. حيث تصادف أن كان الاستاذ عبد العال الباقورى هو رئيس التحرير التنفيذى لجريدة «الاتحاد» الإماراتية وقت أن أرسلت لها كتابى هذا لنشره مسلسلاً فى حلقات بعنوان «عبد الناصر والمرأة التى أحبها ولم يتزوجها» .. بحيث يكون النشر مشتركاً ومتزامناً فى ذات الوقت ، مع جريدتى «الوطن» الكويتية ، و«الراية» القطرية .

وقبل النشر : أراد الاستاذ الدمث ، والشجاع عبد العال الباقورى أن يتفرد كعادته ، وأن

تتميز جريدة الاتحاد – وقتها – عن بقية الصحف الخليجية التى ستشاركها فى نشر كتابى على حلقات ليس فقط فى «التوضيب» والإخراج الفنى .. وإنما أيضاً فى العناوين والمانشيتات الرئيسية .

ورغم ثقتى الكاملة فى الاستاذ عبد العال الباقورى وفى شرفه وتميزه المهنى من خلال متابعتى لكتاباته – زمان – على صفحات الجمهورية .. إلا أنه لم يعط نفسه حق تغيير العنوان الرئيسى لكتابى كيفما شاء . بدعوى أنهم اتفقوا معى على نشره ، وسوف يدفعون لى المبلغ الذى طلبته عن كل حلقة .. وإنما اتصل بى الاستاذ الباقورى من أبو ظبى تليفونياً فى منزلى بالجيزة ، مقترحاً أن تنفرد جريدة «الاتحاد» عن غيرها بعنوان يومى للكتاب يقول: «حكاية عبد الناصر وبنت الباشا الشقراء» .

فعل ذلك الاستاذ عبد العال الباقورى ، ولم أكن قد تشرفت بمعرفته «شخصياً» من قبل.. بل وكانت هذه هى المرة «الأولى» التى نتحدث فيها معاً ، تليفونياً أو غير تليفونياً .

لهذا : وافقته فوراً على العنوان الذى اقترحه ، وكنت سأوافقه أيضاً على أى عنوان آخر..

لا لشىء ، إلا لأنه هزنى من الداخل .. حينما لم يتعلل ببعد المسافات ، ولم يعط لنفسه حق تغيير عنوان كتابى تحت أى مبرر ، دون الرجوع لى .. احتراماً لأمانة الكلمة ، وللتقاليد الصحفية الصحيحة ، حتى وهو فى «أبو ظبى» .. فما بالكم – إذن – بالاستاذ «الكبير» صلاح منتصر الذى أرسلت له كتابى هذا – وقتها – حتى مكتبه فى مجلة اكتوبر على كورنيش النيل «بالقاهرة» .. فور صدور طبعته الأولى فى سبتمبر ١٩٨٩ ، ليقرأ فيه بنفسه خطاب عبد الناصر الذى يوضح فيه السبب «الحقيقى» لعدم زواجه من فتاته الشقراء . !!

ورغم مرور أكثر من سبع سنوات حتى الآن .. لم يهتم الصحفى الكبير صلاح منتصر بتصحيح أكاذيبه إياها .. ولو من باب الأمانة الصحفية ، التى يطالبنا بها مجلس الشورى.. الذى هو – طبعاً – عضو فيه . !!!!

●● ومن أجل عيون أبناء «صهيون» .

وإمعانا فى التقرب إليهم ، والارتماء تحت أقدامهم .. خرج الاستاذ منتصر على إجماع كل الصحفيين ، وسافر إلى إسرائيل متحدياً قرارات الجمعية العمومية لنقابتنا «الموقرة» .. تلك القرارات التى تنص صراحة على مقاطعة إسرائيل وعدم التطبيع معها ، أو السفر إليها إلا بعد عودة جميع الحقوق والأراضى العربية المحتلة فى فلسطين والجولان وجنوب لبنان .

سافر صلاح منتصر إلى إسرائيل ، كما كتب على صفحات مجلة أكتوبرفى ٢٨ يناير ١٩٩٦ التى نشربها مسلسله الشهير «إسرائيل بعيون صحفى مصرى» .. بحجة رغبته فى معرفة إسرائيل عن قرب وتصحيح أكاذيبنا ومفاهيمنا الخاطئة عنها .. أما أكاذيبه هو عن

عبد الناصر والتى نشرها وروج لها على صفحات الأهرام فى ٣١ يوليو ١٩٨٣ .. فلم يهتم بتصحيحها حتى الآن .. ذلك لأن الدفاع عن عبد الناصر هذه الأيام ، لا يجلب عليه «المنافع» الكثيرة .. ولا يجعله ينعم «بحصانه» أو منصب . !!

سافر صلاح منتصر إلى إسرائيل بحجة «معرفتها عن قرب» .. وكأنه لابد وأن نتعاطى الهيروين - مثلا - لنعرف "عن قرب" أنه مدمر .. أو كأنه لابد وأن نمارس "اللواط" - والعياذ بالله - لنعرف عن قرب مدى فحشه وقذارته !!

لكن الحقيقة المره ، التى جعلته يهرول إلى إسرائيل مثل باقى السماسرة إياهم .. هى أن الأرتماء تحت أقدام الصهاينة والأمريكان هذه الأيام ، أصبح له الآن منافع كثيرة .. ومن يريد - فى هذا الزمن الردئ - أن يتمتع «بحصانة» هذا المجلس أو ذاك، أو يأكل «بقلاوة» ذلك المنصب أو ما شابه .. فعليه أن يفعل مثل كل سماسرة الصهاينة فى مصر حالياً .. ويأكلها «معجونة» بماء المهانة والاستكانة والتبرير .. ومخلوطة بدماء آبائنا وأبنائنا ، وأشقائنا .. الشهداء « والأسرى » الذين قتلهم الصهاينة فى مذبحة بحر البقر ، ومذبحة «قانا» ودير ياسين ، وأبى زعبل وصبرا وشاتيلا وساحة المسجد الإبراهيمى ، والجولان ، وجنوب لبنان ، وعلى أرض سيناء . !!

★★★

والآن : ليتفضل واحد من السادة «الناصريين» الذين هاجموا كتاب «المرأة التى أحبها عبد الناصر» دون أن يقرأوه .. ليتفضل واحد منهم ويفتينا عن الطريقة «المثلى» فى رأيه لفضح الأكذوبة التى اختلقها صلاح منتصر ليشوه بها ثورة عبد الناصر ومنجزاته !!

ليتفضل واحد منهم ، ويفتينا بما كان يمكن أن يقوله التاريخ عن عبد الناصر ومنجزاته ، لو تركنا أكذوبة صلاح منتصر دون فضح أو تعرية ؟!!

وماذا لو جاء - بعد مائة عام مثلاً - واحد من المؤرخين «المحترمين» مثل الدكتور يونان لبيب رزق ، وبينما هو يفعل ما يفعله الآن الدكتور يونان فى سلسلته الهامة «الاهرام ديوان الحياة المعاصرة» .. يفاجأ بأكذوبة صلاح منتصر فى حق عبد الناصر على صفحات جريدة الأهرام .. دون أن يجد لها أى رد أو تحقيق ؟!!

ماذا يقول مثل هذا المؤرخ «المنصف» لو وجد - بعد مائة عام فرضاً - هذه الأكذوبة منشورة على صفحات الأهرام دون أن يجد لها أى نفى أو تفنيد منا نحن المعاصرين ؟!

المؤكد أنه سيحكم وقتها بصحتها ، ويظلم عبد الناصر وثورته بسبب أكذوبة صلاح منتصر ، لو لم يتصدى كتابى لنسفها بالحقائق .. والوثائق . !

وإذا كان هذا هو حال المؤرخ المنصف فى مواجهة مثل هذه الأكاذيب التى لا يحققها أو

ينفيها معاصروها .. فما بالنا إذن ، بسماسرة التاريخ ومرتزقة كل عصر من أمثال أنيس الصهاينة والأمريكان .. والدكتور مرضان .. وإيلى سالم . !!!

★★★

على أية حال : أنا بالتأكيد لست فى حاجة إلى «صك غفران» من الودنية .. حتى لو كانوا ناصريين .

وأنا أيضاً : لست فى حاجة إلى شهادتهم لصدق انتمائى لعبد الناصر ومبادئه .. أنا فقط، أحاول أن أفعل ما سبقنى إليه الكاتب المحترم ، والروائى المبدع "يوسف القعيد" .. وأقول علنا لكل "الودنية" الذين ينسبون أنفسهم للناصرية : إنتم أخطر على الناصرية من أعدائها .. ذلك لأن أعداء عبد الناصر يتخذون منكم سلاحاً لتشويه الناصرية والمنتمين لها .. وأنتم بحسن النية ، وعدم القراءة ، تمنحون المصداقية ، والجدية للزعم المغرض الذى يروجه أعداء عبد الناصر قائلين بأن الناصريين «يألهون» عبد الناصر ، ويتخذون منه «صنماً» أو معبوداً ينزهونه عن أخطاء البشر . !

والصنم بلا قلب ..

والمعبود ليست له غراميات .. فكيف إذن ، يتجرأ شفيق أحمد على ويكتب عن «المرأة التى أحبها» المعبود ؟!

ولما جاء كتابى بخطابات عبد الناصر نفسه التى تفضح أكاذيب السماسرة ، وتثبت أن ناصر .. قائد العرب والعروبة ، كان بشراً .. يأكل ويشرب ويحب .. ويذهب - مثلنا - إلى دورة المياه .. انكشفت خطورة «الودنية» .. وسقطت ورقة التوت عن "عورة" المرتزقة وسماسرة الصهاينة والأمريكان فى مصر . !

أما الكتاب الذى كشف هذه العورة وفضحها على الملأ .. كان من الطبيعى أن يعتبروه «جريمة» .. وأيضاً فضيحة . !!

وتلك هى الفضيحة «الحقيقية» لكتابى .. وجريمته .

★★★

وللأمانة : ثلاثة من كبار الكتاب والصحفيين فى مصر .. تنبأوا - قبلى - بما حدث من بعض الناصريين وغير الناصريين تجاه كتاب «المرأة التى أحبها عبد الناصر»

وهؤلاء الثلاثة ، بترتيب تواريخ نشر «نبوءاتهم» هم الأساتذة : محسن محمد ، ومحمد العزبى ، ويوسف القعيد .

الأول ، وهو الكاتب الصحفى الكبير محسن محمد .. ورغم أنه لا يخفى عداءه الصريح

لعبد الناصر فى كل ما يكتب .. إلا أنه قال حرفياً على صفحات أخبار اليوم « .. البعض سوف يلوم الكاتب الصحفى شفيق أحمد على الذى نشر قصة المرأة التى أحبها عبد الناصر ولم يتزوجها ، مسلسله فى ثلاث صحف عربية فى وقت واحد - هى الوطن الكويتية ، والاتحاد الاماراتية ، والراية القطرية - البعض سيلوم شفيق لأنه اخترق الحياة الشخصية للزعيم عبد الناصر .. وربما يرى آخرون أن حياة عبد النصر منذ البداية ، كانت موجهة للوطن، ولا يجب أن يتخللها حب ، ولو كان رومانسياً ونظره من بعيد .. ولكن حياة الزعماء الشخصية ، منذ ميلادهم وحتى وفاتهم ، يجب أن تكون كتاباً مفتوحاً للشعب وللتاريخ ، ولا يوجد ما يعيب زعيماً يحب .. بل على العكس من ذلك .. إن كان فى حياته قصة حب حقيقية ، فإن نشرها يجعله فى نظر الناس إنساناً ذا عواطف بدلاً من أن ترسم له صورة الزعيم العابس الذى لم يخفق قلبه بعاطفة» . !!

هذا هو حرفياً بعض ما كتبه الاستاذ محسن محمد وتنبأ به فى يومياته على الصفحة الأخيرة من جريدة «أخبار اليوم» التى صدرت صباح السبت ١٨ فبراير ١٩٨٩ .. وهو ما حدث بالفعل .. البعض «لامنى» .. والبعض اعتبر كتابى "جريمة" .. والبعض ، ومنهم الاستاذ محسن محمد نفسه وهو لا يخفى عداءه لعبد الناصر ، قالها بوضوح : «لا يوجد ما يعيب زعيماً يحب» .. وقال أيضاً : « .. حياة الزعماء الشخصية منذ ميلادهم وحتى وفاتهم ، يجب أن تكون كتاباً مفتوحاً للشعب وللتاريخ» .. وهو بالضبط ما فعلته . «!!» وهو أيضاً ما أؤمن به ، ويؤمن به معى كل «محترم» يحترم عقل الشعب المصرى ، وحقه فى معرفة كل شئ عن حكامه .. كل حكامه .. الأحياء منهم قبل الأموات ، ماداموا قد تصدوا للعمل العام ، وماداموا قد قبلوا الوقوف أمام «فلاش» الكاميرا ، وأضواء الشهرة وهو ما يحدث فى كل دول العالم المتحضرة .. لأن الانسان «كل» لا يتجزأ .. وما يفعله فى الخفاء ، لا يجب أن يتناقض مع ما يفعله فى العلن .. عبد الناصر لم يكن فى حياته الشخصية ، أو غير الشخصية ما يخجل منه أو يشينه .. وكان دائما يفخر بأن الشعب المصرى ملهمه ومعلمه.. ولم يقل لشعبه يوماً «هاآكلكم منين» مثلما قرأناها وسمعناه كلنا عبر شاشات التليفزيون فى زمن التصهين ، والأمركه .

عبد الناصر كان يؤمن بالشعب المصرى ، ويحترم حقه فى العلم والمعرفة والحياة الكريمة والناصريون بالتالى ، هم أولى الناس بتكريس هذا المفهوم وتأكيده .. وبعض الذين ينتسبون إلى الناصرية ، ويتصدون للعمل العام دون إطلاع أو قراءة .. بعضهم الذى هاجم كتابى دون أن يقرأه ، أو يقرأ حتى ما نسبه صلاح منتصر إلى جمال عبد الناصر ، وكان سبباً فى إصدار هذا الكتاب .. بعضهم الذى يتصور خطأ بأن عبد الناصر ، لم يكن بشراً مثلنا ، يأكل ويشرب ويحب .. هذا البعض ، اعتقد أنه هو الذى كان ماثلاً أمام كاتبنا الرقيق ، المحترم

«محمد العزبى» حينما كتب حرفياً على صفحات جريدة الجمهورية يقول «التهمت بعيونى كتاب المرأة التى أحبها عبد الناصر ، واشفقت على مؤلفه شفيق أحمد على من الناصريين أصدقائه ورفاق فكره .. أما الأعداء ، فهو كفيل بهم» .

هذا ما كتبه بالنص "الاستاذ" والكاتب الصحفى محمد العزبى فى بابه الأسبوعى «عيون» على الصفحة الثامنة من العدد الأسبوعى لجريدة الجمهورية الذى صدر يوم الخميس ٢١ سبتمبر سنة ١٩٨٩ .

ورغم أن الأستاذ محمد العزبى قد أسعدنى وطوق عنقى بتعبيره الموحى الذى قال فيه «التهمت بعيونى» كتاب المرأة التى أحبها عبد الناصر .. إلا أنه .. موضوعياً . لم يكتف بذلك .. وكتب مشكوراً مقالا آخر ونشره باللغة الإنجليزية فى ٩ سبتمبر ١٩٨٩ على صفحات جريدة «إجشيان ميل» وقت أن كان رئيساً لتحريرها .. قال فيه نصاً بأن الكتاب «محاولة عاقلة ومنطقية ، تؤكد أن حكاية صلاح منتصر عن بنت الباشا إياها ، هى محض إفتراء» فى حق عبد الناصر وثورته» . !

وقال أيضاً : بأن «النتائج التى توصل إليها مؤلف كتاب المرأة التى أحبها عبد الناصر تتفق مع أخلاقيات جمال عبد الناصر ، باعتباره رجل عائلى محافظ ، ولم يعرف عنه من قبل أنه رجل ألعبان» . !

وفوق كل ذلك : تظل عبارة الأستاذ "العزبى" ترن فى أذنى إلى الأبد .. تلك العبارة التى قال فيها نصاً : «أشفقت على شفيق أحمد على من الناصريين أصدقائه ورفاق فكره .. أما الاعداء فهو كفيل بهم» .

وأنا فعلاً يا أستاذ محمد «كفيل بأعدائى» الذين هم لصوص الوطن .. ومرتزقة كل عصر ، وسماسرة الصهاينة والأمريكان فى مصر . !

أما الناصريون « .. أصدقائى ورفاق فكرى» فيحزننى جداً أن يكون منهم «ودنية» يسمعون فقط ، ولا يقرأون لأن أى ناصرى حقيقى ، أو أى منصف ، أو أى محب للحقيقية على ظهر الأرض .. لو قرأ كتاب «المرأة التى أحبها عبد الناصر» .. فأنا على ثقة بأنه سيكون معه .

وتلك هى المشكلة الحقيقية التى فجرها كاتبنا وأديبنا الشفاف «يوسف القعيد» وتصدى لها بجرأة ، حينما غرس سن قلمه علنا ، وبشدة فى «دمل» نائم .. ودائم .. فى جسد العمل العام فى مصر إسمه ، هؤلاء «الودنية» الذين يتصدون لبعض القضايا ، إعتماداً على آذانهم ودون قراءة .. وذلك من خلال المقال الذي طوق به عنقى هو وغيره .. وكتبه «بحبر قلبه» الأبيض .. عن كتابى هذا ونشره على صفحات مجلة «الأهرام الاقتصادى» فى ٢٥ سبتمبر

١٩٨٩ .. وهو المقال الذى نعيد نشره كاملاً ، هو وغيره ، فى نهاية هذا الفصل .

فى هذا المقال : غرس يوسف القعيد سن قلمه علنا وبشدة فانفجر "الدمل" وطفح صديداً محزناً .. صديداً كان لابد أن يطرده من هو فى جرأة يوسف القعيد .. ليريح ويستريح .

فى هذا المقال : كتب يوسف على صفحات الأهرام الاقتصادى يقول : «كتاب المرأة التى أحبها عبد الناصر مشكلة .. ومشكلته ومشكلة مؤلفه شفيق أحمد على هذه المرة مع الناصريين . وليست مع الذين يعادون جمال عبد الناصر .. فالبعض من الناصريين يتساءل : لمصلحة من يصدر كتاب عن غراميات عبد الناصر ، خصوصاً فى مواجهة كل هذه الحملات ضد عبد الناصر ؟!

وعندما نعرف أن كثيرين من الذين يتصدون للعمل العام فى مصر ، والناصريون جزء منهم ، يتصدون للعديد من القضايا ، بصورة شفهية ، أى بدون قراءة ، وبمجرد السمع فقط ، ستعرف مدى صعوبة الموقف الذى يقفه شفيق الآن .. ذلك لأن كتاب المرأة التى أحبها عبد الناصر شئ .. وعنوانه شئ آخر تماماً .. وانزعاج بعض العناصر الناصرية ، من هذا الكتاب موقف طبيعى .. ذلك لأنهم فيما يبدو .. مازالوا ينظرون إلى عبد الناصر باعتباره المعبود .. والمعبود لا يحب .. وليست له غراميات .. وتلك نظرة رومانسية مضحكة» . !!!

★★★

هى فعلاً نظرة رومانسية «مضحكة» كما يقول الاستاذ يوسف القعيد ..

ولكنها أيضاً : محزنة .

وشر البلية ، ما يحزن ويضحك فى وقت واحد .

عموماً : سأظل - للأبد - مديناً بالكثير للأديب والروائى المتميز «يوسف القعيد» .. ليس فقط لأنه كان فى مقدمة الشرفاء الكثيرين ، الذين احتفوا من قبل بكتابى الأول - إبنى البكر - الذى أصدرته عام ١٩٨٦ .. وفضحت فيه بالوثائق والمستندات جريمة قيام السادات ووزير داخليته باغتيال «أول» شهداء التطبيع فى مصر ، وهو الفلاح المصرى الشهيد «سعد حلاوة» الذى قتله النبوى إسماعيل فى قريته علناً ، وقت أن كان وزيراً للداخلية بأوامر شخصية من السادات ، لأنه تجرأ - فى أزهى عصور الديمقراطية إياها !! - وطالب بطرد السفير الإسرائيلى من مصر ، لحظة رفع علم الكيان الصهيونى على سفارتهم «الوكر» فى القاهرة يوم الثلاثاء ٢٦ فبراير سنة ١٩٨٠ . !!

وليس فقط : لأن يوسف القعيد ، لخص بجرأة «جريمة» كتابى الحالى هذا ومشكلته مع «الودنية» فى مصر

وإنما أيضاً : لأن يوسف فى الحقيقة طوق عنقى هو الآخر ، بكلمات رقيقة ، ومؤثرة..

اكذب إذا لم أقل أنها أسعدتنى كثيراً .. واخجلتنى أكثر .

ومن لا يخجل - تواضعاً - إذا ما كتب فيه ، وفى كتاباته روائى مبدع فى حجم يوسف القعيد ما يلى بالحرف الواحد : «كتابات شفيق أحمد على تحيى مرة أخرى متعة القراءة . يشعر الإنسان بسعادة حقيقية وهو يقرأ له ، ومشكلته الوحيدة ، أنه يقلل من كتاباته ، وأن هذا الإقلال يصل إلى حد المشكلة الحقيقية ، مع أن هناك الكثير مما يمكن قوله ، خصوصاً وأن ما يكتبه شفيق أحمد على يقف فى منتصف المسافة تماماً بين الأدب والصحافة .. يأخذ من الأدب جمال الكلمة وعذوبة الصياغة ، والشكل الفنى للكتابة .. ويأخذ من الصحافة تلك السهولة فى التناول ، وذلك الجرى واللهث وراء الحدث» .

هذا بعض ما كتبه الأستاذ يوسف القعيد على صفحات مجلة «الأهرام الاقتصادى» فى ٢١ سبتمبر ١٩٨٩ .

ويظل بداخلنا دائماً « طفل» يفرح لمثل هذه النسمات والسمات إلا بداعيه الجميلة التى تنسحب أيضاً على يوسف القعيد . لأنه يحسها ، وينتصر لها ، وتستوقفه فيما يقرأ .. وبالتالى يسعى هو الآخر إلى تحقيقها فيما يكتبه .

أما أنا : فواحد من الذين يملأهم "الرعب" .. وتملأه الفرحة أيضاً .. والإحساس بالمسئولية.. إذا ما وفقت فى تحقيق أى قدر من هذه السمات الإبداعية الجميلة التى تسعى إليها جميعاً فيما نكتب .

والمؤكد أيضاً : أننى سأظل للأبد ، مديناً بالكثير لكل الذين احتفوا بكتاب «المرأة التى أحبها عبد الناصر» هؤلاء الذين قرأوا الكتاب أولاً ، ثم كتبوا ما كتبوه سواء كان مع الكتاب أو ضده .. لا هؤلاء «الودنية» الذين هاجموا كتابى قبل أن يصدر .. وقالوا «يبدو» .. ويستحق . !!

★★★

فوق كل هذا وذاك : سوف أظل مديناً أيضاً ، لكل هؤلاء الذين وصلهم كتابى بمثل ما كنت أود وأتمنى .. وأسعدونى كثيراً .. واخجلونى أكثر بما كتبوه عن الكتاب .. وعنى .

سأظل مديناً مثلاً - ودون ترتيب - للكاتب الصحفى «الشهم» فاروق عبد السلام رئيس تحرير مجلة الإذاعة والتليفزيون على كل سطر فى مقاله «الرشيق» الذى نشره عن كتابى فى ١٩ سبتمبر ١٩٨٩ ، وأعلن فيه بشجاعة مفرحة - وعلى صفحات مجلة حكومية - حبه وانحيازه لعبد الناصر قائلاً : «وكيف لا انحاز إلى عبد الناصر ، وهو الذى انحاز إلى الملايين من الفقراء والمعذبين من أمثالى ، ولولاه ، ولولا مجانية التعليم فى عصره على سبيل المثال ، ما كنت قد أكملت تعليمى الجامعى .. لا أنا ولا الكثير من البسطاء فى مصر»

قال ذلك الأستاذ فاروق عبد السلام على صفحات مجلة الإذاعة والتلفزيون فى مقال شهير أهداه وخاطب فيه إبنه "عمرو" قائلا :

– ولدى الحبيب عمرو .. يا ملكيتى الخاصة والوحيدة فى هذه الدنيا .. ويا إشراقة الغد.. وشعاع الأمل والنور فى هذا الزمن الأغبر .. ويا مهجة العين ونورها فى بحر الظلمات المتلاطم الأمواج والمليئ بالدجالين والأفاقين .. إليك يا ولدى وأنت ما زلت فى العاشرة من عمرك أو دونها بشهرين ، أهدى هذه الحكاية .. وهى واحدة من حكايات عديدة حاول فيها المشككون من حملة الأقلام المشبوهة أن يشوهوا فيها تاريخ جدك جمال عبد الناصر .. واعلم يا ولدى الحبيب ، أن الذين يهاجمون الآن جدك جمال عبد الناصر ، كانوا أكثر الناس تهليلاً لعبد الناصر .. بل إن أحدهم – وهو أنيس الصهاينة !! – كان يكتب غزلاً فى عيون عبد الناصر .. ثم راح بعد وفاته يكتب إفتراءاته ، وأكاذيبه بقلم المفترى علينا وعلى كل أبناء مصر الشرفاء .. ولكن يا ولدى هؤلاء ملطخة بالشبهات أقلامهم .. ومنسوجة بالأكاذيب كلماتهم .. ومنحوتة بالخيانة حروفهم . !!

هذا هو بعض ما كتبه «ابن البلد» فاروق عبد السلام وهو يحكى لإبنه الحبيب عمرو، – بارك الله له فيه – عن حكاية كتابى «المرأة التى أحبها عبد الناصر» وتلك الأقلام المشبوهة ، الأفاقة ، التى تركب كل موجة وتحاول تشويه عبد الناصر فى هذا الزمن الأغبر .. زمن الانفتاح والانبطاح ونهب مصر وبيعها باسم الخصخصة «واللغوصة» فى تاريخ الشعب المصرى وثرواته .

وتنشيطاً للذاكرة . وتهكماً على كتاب السادات الشهير «يا ولدى هذا عمك جمال» الذى كتبه أنور السادات وأصدره من "دار الهلال" فى يوليه ١٩٥٨ ونافق فيه جمال عبد الناصر ورفعه على صفحة (٢٠٨) إلى مصاف «الأنبياء» .. ثم تهجم عليه بعد وفاته تقرباً ولحساب الصهاينة والأمريكان .. وضع الكاتب الصحفى فاروق عبد السلام لمقاله عنواناً رشيقاً يقول : «يا ولدى هذا هو جدك جمال عبد الناصر» .. وهو المقال الذى أشاد به كاتبنا المحترم ، الموسوعة ، المستشار عبد الحميد يونس على صفحات مجلة أكتوبر فى ١٨ أكتوبر ١٩٨٩ قائلاً : «يا ولدى هذا هو جدك جمال .. عنوان مقال نشرته مجلة الإذاعة للكاتب فاروق عبد السلام يستحق الإشارة والإشادة» .

★★★

وسأظل مديناً أيضاً للشاعر والفنان ، المتعدد المواهب والملكات محمد بغدادى الذى كتب فى ٢١ أغسطس ١٩٨٩ على صفحات مجلة روزاليوسف قائلاً : كتاب الزميل شفيق أحمد على ، المرأة التى أحبها عبد الناصر .. يلتقط من بين حملات التشويه والتعميه على الثورة

وزعيمها الراحل عبد الناصر ، مقولة أحد كبار صحفيي مصر «!!» التى يدعى فيها بأن عبد الناصر قام بالثورة واتخذ قرارات التأميم . وفرض الحراسة لحقده على الطبقة الارستقراطية التى أحب منها بنتاً تنتمى إليها .. والكتاب يعصف بهذه المقوله تماماً ، ويقدم فى شكل صحفى بارع ومتميز شيئاً أقرب إلى الرواية التسجيلية أو التحقيق الروائى عن حياة هذه السيدة التى أحبها عبد الناصر فى شبابه .. والكتاب وثيقة تاريخية يقدمها زميلنا الكاتب الصحفى شفيق أحمد على ليضمها ملف العقل المصرى الذى صار مطلوباً أن يتوقف عن .. التفكير والتذكر» . !

★★★

وسأظل مديناً أيضاً : لصديقى الكاتب الصحفى محمد هيكل الذى «حسدته فى سرى» حينما كتب عن عبد الناصر عبارة نافذة وموحية تقول «عبد الناصر لم يكن معصوماً من الحب» وجعلها عنواناً لمقال رشيق عن كتابى هذا نشره على صفحات جريدة مصر اليوم فى ٢٧ أغسطس ١٩٨٩ .. وفى هذا المقال قرأت أكثر عبارة أراحتنى وأسعدتنى وحمدالله عليها كثيراً من بين كل ما قرأت عن هذا الكتاب.. تلك العبارة التى قال فيها محمد هيكل بأن كتابى الذى وصفه بأنه جاء إلى الدنيا ، مكتمل الحياة والنضج «سوف يريح عبد الناصر فى قبره» .. ليس فقط لأننى أصدرت هذا الكتاب أملاً فى أن أحقق به «أعز أمنية» لعبد الناصر القائد ، الذى قال على صفحته (٢٢) من كتاب فلسفة الثورة بأن «أعز أمانيه ، هى أن يسمع مصرياً يقول كلمة إنصاف فى حق مصرى آخر» .. وإنما أيضاً لأن جمال عبد الناصر هو عندى مثل «أبى» تماماً .. أبى الذى يسعدنى كثيراً أن أكون باراً به دائماً ، وأن أفعل باستمرار «ما يريحه» فى قبره .. ولكن تظل حيرتى قائمة .. ذلك لأن صديقى محمد هيكل فى سطوره الأولى لمقاله الذى نشره عن كتابى ، وصفنى بأننى «جزار باريسى».. رغم علمه التام بأن الحظ «والرضا السامى» لرؤساء تحرير روز اليوسف لم يسعدانى بالسفر إلى باريس ولو مرة واحدة ، طوال فترة عملي بالصحافة التى تمتد إلى ما يزيد عن ٢٥ عاماً حتى الآن .. ولهذا فأنا فى الحقيقة لا أعرف الفرق بين الجزار فى قريتى «صفط زريق» شرقية .. ولا الجزار فى «باريس» عاصمة فرنسا .. فكلهم يذبحون ، وكلهم يريقون الدماء .. والمهم هو أى دماء هى التى تستحق – فى هذا الزمن ! – أن تراق ؟!

صحيح أن صديقى محمد هيكل عاد وتذكر فى نفس المقال بأننى كما قال «فلاح ، وشرقاوى» أيضاً .. ولكنى أعتقد – والله أعلم – بأن سر وصفه لى بالجزار «الباريسى» يكمن فى هذه الفقرة التى يقول فيها محمد هيكل نصاً « .. فى رشاقة الفراشات وهو حال قلم شفيق أحمد على أخذنا ، كاتبنا الفلاح الشرقاوى فى رحلة فتاة عبد الناصر إلى مصر .. إلى الوطن المجروح والمحاصر والمطارد .. وأقرر هنا أننى لم أجد معاناة فى قراءة كتاب المرأة

التى أحبها عبد الناصر ، الذى أخذ منى ليلة كاملة ، لم احتج فيها إلى تبغ أدخنة ، ولا قهوة تفيقنى .. فقد كان الكتاب هو المنبه الوحيد.. وإذا قدر لكم أن تقرأوه فسوف يسحركم ، كم تفعل البارفانات الباريسية .. لكن أحذركم من نصل الجزار ، الذى يسوق قصته فى دقة محكمة الفواصل ، رقيقة الملمس.. نافذة المفعول» . !!

●● وعلى طريقة الشئ بالشئ يذكر : ذكرنى وصف الصديق محمد هيكل لى فى كتابى «المرأة التى أحبها عبد الناصر» بالجزار الباريسى .. بمرة قال لى فيها صديقى الكاتب الصحفى عادل حمودة منذ سنوات ، بأنه حينما يقرأ لى يشعر أحيانا وكأننى اكتب «بسن سكين» .. لا بسن قلم جاف .. أو فلوماستر .. مثل بقية خلق الله . !!

واكذب إذا قلت أن حكاية الجزارة والسكاكين هذه لا تؤرقنى .. خصوصاً وأننى لا أقوى علي ذبح «فرخة» . !!

●● وأكذب أيضاً : إذا أنكرت أن صديقى المتألق عادل حمودة - بحلوه ومره - له فى قلبى منزلة «خاصة» .. لذا لم أستغرب حينما كتب على صفحات مجلة - روز اليوسف - فى ١٨ اكتوبر ١٩٩٣ بأن من وصفهم بخصوم عبد الناصر قد «نشروا عنه حكايات كثيرة ومثيرة ، لم يقدموا الدليل على صحتها ، بهدف التدليل على أنه تربى فى أسرة غير سوية ، ويدعوى البحث عن جذور القسوة ، والصرامة فى تاريخه، وشخصيته ، وتصرفاته ، وقراراته.. لكنهم لم ينجحوا فى ذلك ، كما نجح كاتب وصحفى متشدد فى إيمانه وإعجابه بجمال عبد الناصر هو شفيق أحمد على ، الذى فتش فى التاريخ العاطفى للزعيم ، وكشف عن حبه الأول .. وربما الأخير ، وصاغ المفاجأة فى كتابه : المرأة التى أحبها عبد الناصر» .

ولم يكتف الصديق عادل حمودة بذلك .. وإنما أفرد لقصة «المرأة التى أحبها عبد الناصر» فصلاً كاملاً فى كتابه «حكومات غرف النوم» .. وهو الفصل الذى نشره على صفحات روز اليوسف فى ١٨ اكتوبر ١٩٩٣ بعنوان «تلميذة الفنون الطرزية التى أحبها عبد الناصر وشيع جنازتها متنكراً» .

★★★

أيضاً : سأظل مديناً للدكتور فتحى عبد الفتاح الذى قال نصاً فيما كتبه على صفحات جريدة الجمهورية فى ٢٩ أغسطس ٨٩ بأن كتاب المرأة التى أحبها عبد الناصر «.. تطرق إلى بعض الحقائق والمناطق المجهولة فى الحياة الشخصية لعبد الناصر ، وكشف سر الحملة المنظمة ضد فترة حكم عبد الناصر» .

وقال أيضاً : «.. الكتاب إضافة جديدة إلى العديد من الموضوعات الهامة والتحقيقات الصحفية اللامعة التى قدمها الزميل شفيق أحمد على من خلال عمله الصحفى على

صفحات مجلة روز اليوسف وجريدة الأهالى ، منقباً حول بعض الحقائق التى أثارت اهتمام الرأى العام ، وتناول فى بعضها جمال عبد الناصر وعصمت السادات والمليونير كامل الكفرواى وهى التحقيقات التى نال عن بعضها شفيق أحمد على من نقابة الصحفيين الجائزة الأولى فى مسابقة التفوق والامتياز الصحفى التى تجريها النقابة سنوياً بين الصحفيين المصريين .. وقد صدر له من قبل كتاب عن الشهيد سعد حلاوة .. أول شهداء تطبيع العلاقات المصرية مع العدو الإسرائيلى » .

★★★

وسأظل مديناً أيضاً : للكاتب الصحفى الموهوب « محمد الشبه » مدير تحرير مجلة « كل الناس » الذى كتب فى ٤ سبتمبر ١٩٨٩ على صفحات مجلة كل الناس ، بأن « الكاتب الصحفى شفيق أحمد على راعه ما يفعله الناس فى تاريخهم وزعمائهم ، خاصة بعد موتهم والتقط خبراً ، ورد فى مقال لأحد الكتاب .. جرى شفيق وراء الخبر ، يدقق ويحقق ، ملأ عشرات الشرائط ، أحاديث .. مقابلات .. وثائق وفى النهاية ، سجل فى هذا الكتاب حكاية أول إمرأة خفق لها قلب عبد الناصر .. وكتاب شفيق أحمد على لوحة أدب وشعر ، ووجد .. صاغها بروح المحقق الباحث عن الحقيقة المجردة .. وهذا النوع من الكتابة العميقة ، معروف فى الغرب أكثر ، وهو يحظى بشعبية طاغية من جانب القراء والباحثين دائماً عن الحقيقة ، ومعرفة أسرار وخبايا القادة ، والنجوم ، فى الفن والسياسة .. وقد يختلف البعض حول النتائج التى توصل إليه كتاب المرأة التى أحبها عبد الناصر . وقد يكشف كتاب آخر ، وثائق أخرى للحكاية .. ليس هذا موضوعنا .. ولكن موضوعنا هو أن كاتباً حاول .. بحث وحقق.. واجتهد .. ليقدم للناس كتاباً جاداً وشيقاً وهذا هو المهم » .

★★★

وسأظل مديناً أيضاً للأديب والروائى المعروف « خيرى شلبى » الذى كتب فى السبت ٣٠ سبتمبر ١٩٨٩ عرضاً مطولاً لكتاب « المرأة التى أحبها عبد الناصر » استغرق أربع صفحات كاملة من مجلة « أسرتى » الكويتية وقال نصاً فيما كتبه بأن الكتاب « .. واحد من أهم الكتب التى تقدم شهادة دامغة تفسر شخصية عبد الناصر كما لم تفسرها شهادة من قبل ، حيث يتضح فى الكتاب جوهر الحقيقة ، بجلاء تام ، وعطر تلك السنين يعبق فى أنفه .. حيث نرى أنفسنا أمام شخصية جمال عبد الناصر الجلية ، وكأننا نراها لأول مرة .. نراها شخصية طموحة ، على درجة كبيرة من النبل والانسانية والشجاعة ، وحب الناس ، وتقدير البسطاء وتقديس القيم الشريفة إلى حد الرومانسية أحياناً » .

قال ذلك خيرى شلبى ، وهو الذى قال فى نفس المقال بأنه « يقف موقفاً مضاداً ، من كثير ،

من نتـائج ثورة يوليو السلبية ، ولكن المبادئ البديهيـة للأخلاق تفرض علينا أن نقف مع الحقيقة أينما ظهرت» .

والحقيقة التى ظهرت .. أو التى خرج بها خيرى شلبى من الكتاب كما يقول نصاً هى أن «ما كتبه صلاح منتصر فى حق جمال عبد الناصر ، بدون دليل مادى قوى .. يعتبر نوعاً رخيصاً من الشوشرة وتلطيخاً لسمعة الراحلين ، ومشاركة فى حملة التشويه والتلويث ، التى انهالت على جمال عبد الناصر بعد موته ، تطعنه فى مبادئه ووطنيته لصالح زعيم آخر لا يملك من مقومات الزعامة الحقيقة شيئاً ، وهى حملة شارك فيها الصغار والكبار بروح عدوانية شرسة ، وتطوع كل من هب ودب ، فأدلى بشهادات ومذكرات تحاول طمس الحقائق والتعمية، وغسيل مخ الاجيال الجديدة . والإيقاع بهم فى بلبلة . تتناقض مع مايدرسه تلاميذ المدارس من درس فى تاريخ مصر المعاصر ، وقد حقق هؤلاء ، وهؤلاء ثروات طائلة من وراء هذه المفتريات ، والفبركات المغرضة ، وحصلوا على أكبر المناصب» .

وقال أيضاً أديبنا اللامع خيرى شلبى بأن كلام صلاح منتصر «..يدعو إلى السخرية أكثر مما يدعو إلى أى شئ .. وخصوصاً قوله بأن عبد الناصر قد ألغى الألقاب وأصدر قوانين الإصلاح الزرعى لأسباب شخصية محضة ، ترجع إلى عقدة دفينة فى نفسه ، وهى قصة حبه لبنت الباشا المزعوم» .

ويستطرد خيرى شلبى قائلاً : «هنا ينبغى علينا أن نلغى عقولنا لكى نصدق هذا الكلام الساذج الذى كتبه صلاح منتصر .. وعلينا أن نقنع أنفسنا بأن مصر لم تكن فى حاجة إلى شئ من مثل هذه القرارات الثورية - التى أصدرها عبد الناصر - وأن مصر لم تكن على مشارف حرب أهلية بسبب التفاوت الحاد فى الدخول وانتشار الفقر ، والجهل ، والمرض ، والرشوة ، والفساد ، وغير ذلك مما جاءت الثورة تمثيلاً لردود فعله.. تلك الثورة التى قام بها عبد الناصر ورفاقه .. ذلك الفارسى النبيل الذى أصبحنا نتهمه فى كل شئ ، ونلطخه كل يوم متناسين أننا بذلك نلطخ أنفسنا نحن ، ونقضى على أجيالنا بدفعها إلى فقدان الثقة فى كل المثل العليا»

★★★

وفوق كل ما سبق ، وقبله .. سوف أظل مديناً أيضاً - بالود والعرفان - لكل من قرأ كتابى .. أو سيقرأه .. بعين التجرد والموضوعية .. ولكل من ساهم فى وصوله إلى أيدى القارئ أو سيساهم .

وأيضاً : إلى كل منصف يقف إلى جوار الحق والعدل وعودة راية العرب والعروبة «كريمة» خفاقة ، كما كانت أيام عبد الناصر .. فى مواجهة زمن الانفتاح والانبطاح ومسح «بلاط»

البيت الأبيض .. والكنيست الإسرائيلى .

★★★

●● وتوثيقاً لكل سطر كتب فى الصحف والمجلات عن كتاب «المرأة التى أحبها عبد الناصر» وجريمته.

●● ولسهولة الرجوع إليه .. أعيد هنا ، نشر بعضاً مما كتب عنه فى الصحف والمجلات العربية .. وبترتيب تواريخ النشر .



مانشرته الصحف والمجلات

عن هذا الكتاب

باعوا جمال عبد الناصر*

حبه ، ومبادئه ،

وحياته ، وموته

(بقلم : محسن محمد)

في الطبعة الاولى من كتابه « فلسفة الثورة » قال جمال عبد الناصر انه بعث برسالة الى صديقه حسن النشار يشكو فيها همومه كضابط وطني شاب مما يجري في مصر في عهد الاحتلال البريطاني.

وفي الطبعة الثانية ، وباقي الطبعات حذف اسم النشار واكتفى جمال عبد الناصر بان يقول انه كتب الى صديق .

وتفسير ذلك واضح ..

خشي جمال عبد الناصر، وهو بطبيعته دائم الشك ، ان يستغل حسن النشار اسمه ، او ان يتجه اليه الناس طلبا لقضاء حاجتهم .

وكان جمال عبد الناصر من هذه الناحية شديد الحذر حتى بالنسبة لابيه واشقائه وعمه واقاربه .

وقد انتظر حسن النشار ١٩ سنة بعد وفاة جمال عبد الناصر ثم افرج عن كل الرسائل التي بعث بها اليه جمال عبد الناصر عندما كان في الحادية والعشرين من عمره .

وروى المستشار حسن النشار قصة صداقته لجمال عبد الناصر وانه شقيقه في الرضاعة . عندما خرجت والدة جمال عبد الناصر الى محطة السكة الحديد لتصفق وتزغرد لموكب السلطان احمد فؤاد تنفيذا للامر الذي صدر لعائلات الموظفين البسطاء بالقرى . وخرجت الى المحطة والدة حسن النشار أيضاً.

اعطت ام حسن ثديها لابنتها الرضيع بينما كان الطفل جمال عبد الناصر يصرخ ويهتز على صدر امه التي جف اللبن من ضرعها المهزول . لم تتحمل أم حسن صراخ الطفل الجائع فأخذته لترضعه حتى هدأ !

ولم يكتف حسن النشار بذلك بل روى ايضا قصة أول حب في حياة عبد الناصر .

لم نعرف ابدا ان جمال عبد الناصر احب قبل ان يتزوج ولكن رسائله تؤكد ذلك . وقصة الحب قصيرة .. قصيرة.

رأى جمال عبد الناصر وكان عمره ٢١ عاما و٤ شهور و١٣ يوما - فتاته لاول مرة عام ١٩٣٩ في حفل مدرسة النهضة الثانوية .

كن يومها ثلاث فتيات يجلسن سويا في حفل المدرسة الذي تقيمه مرة كل عام وتختلط فيه طالبات قسم البنات مع طلاب قسم البنين فقد كانت طالبة بالمدرسة .

كانت هيفاء شقراء صافحها فأسدلت نظرتها الى الارض، وابتسمت .. وهذا كل ما جرى . لم يلتقيا بعد ذلك فقد سافر الى منقباد .

فلما عاد سأل عنها فعرف انها اتجهت بعد حصولها على البكالوريا للعمل بالتدريس في مدرسة الفنون الطرزية .

اخذ يبحث عن بيتها حتى عثر عليه بعد جهد جهيد ، في شارع الخليج امام سينما فكتوريا ، ومنذ ذلك الحين وهو يمتع نظره خمسة مرات في الاسبوع برؤية فتاة احلامه من بعيد امام السينما ، ولكنه لا يحاول تتبعها او معاكستها .

اراد جمال عبد الناصر الزواج منها فقد كان مطمئن من مشاعرها نحوه من صديقتها همت شقيقة حسن النشار .

وتقدمت ام حسن التي ارضعته تطلب يدها ولكن ام العروس قالت : كان يوم الهنا كنت اجهزها وأوديها لغاية بيته ولكن ميصحش ان البنت الصغيرة تتخطب قبل الكبيرة . وكانت لفتاة الاحلام

* جريدة "أخبار اليوم" الصفحة الأخيرة - في السبت ١٨ فبراير ١٩٨٩ .

شقيقتان اكبر منها سنا .

وكان جمال عبد الناصر يقف خارج البيت يتجه ببصره الى السماء وينتظر قرار الام التى حطمت امله.

والآن .. من هى العروس ؟

جمال عبد الناصر يقول انها « سين هانم » ولكن حسن النشار يحددها بالاسم لمن يرغب .

قال ان نبأ وفاتها نشر فى صحيفة الأهرام فى ١٧ مايو ١٩٧٠ وهى من عائلة الصدر ، وحرم استاذ بكلية المعلمين وشقيقة عميد متقاعد بالقوات المسلحة وعميد سابق لكلية الفنون التطبيقية وحرم قبطان ودكتور مهندس ومفتشتين بالتعليم وسفير بالجزائر .

وشيعت جنازتها فى الساعة الحادية عشرة من صباح ١٧ من مايو ١٩٧٠ .

وقد وضع جمال عبد الناصر على عينية نظارة سوداء واسدل ستائر سيارته من كل جانب وسار بها – وحده – بضعة امتار خلف الجنازة دون حراسة ودون ان يشعر به احد ليودع للمرة الاخيرة المرأة التى خفق لها قلبه .

ومن حق القارىء ، ان يستنتج من هذه الرواية أمورا كثيرة، اولها ان الحاكم الذى يمنع نشر قصة حياته واسماء اصدقائه لن يستطيع ذلك الى الابد وبالاضافة الى ذلك فان عبد الناصر كما يقول الكاتب الصحفى شفيق احمد على ظل يحب – من بعيد – حتى مات ، وربما يكون قد تأثر بموت فتاة غرامه الأول فلحق بها .

وسيلوم البعض الكاتب الصحفى شفيق احمد على الذى نشر قصة "المرأة التى أحبها عبد الناصر .. ولم يتزوجها" ، مسلسلة فى الصحف العربية لانه اخترق الحياة الشخصية للزعيم .

وربما يرى آخرون ان حياة عبد الناصر منذ البداية كانت موجهة للوطن ولا يجب ان يتخللها حب ولو كان رومانسيا ونظرة من بعيد .

ولكن حياة الزعماء الشخصية منذ ميلادهم حتى وفاتهم يجب ان تكون كتابا مفتوحا للشعب وللتاريخ ، ولا يوجد من يعيب زعيما يحب ، بل على العكس إن كان فى حياته قصة حب حقيقية فإن نشرها يجعله فى نظر الناس انسانا ذا عواطف بدلا من ان ترسم له صورة الزعيم العابس الذى لم يخفق قلبه بعاطفة .

كتاب جديد ومثير

المرأة التى أحبها عبد الناصر*

(بقلم : جمال سليم)

ظل عبد الناصر غير قابل للفساد ، وقد حاولت المخابرات الأمريكية العثور على ثغرة للنفاذ منها اليه لكنها فشلت ..

وفى هذا يقول « يوجين جوستين » مدير المخابرات الأمريكية الاسبق فى كتابه الشهير التقدم نحو القوة « مشكلتنا الحقيقية مع جمال عبد الناصر انه بلا رذيلة، مما يجعله من الناحية العملية غير قابل للتجريح، فلا نساء ولا خمر ولا مخدرات .. كما انه لا يمكن شراؤه او رشوته ، أو حتى تهويشه .. نحن نكرهه ككل ولكننا لا نستطيع ان نفعل تجاهه شيئا .. انه فعلا رجل بلا رذيلة » .

---

* جريدة "الأحرار" الصفحة الثامنة ، في الإثنين ٧ أغسطس ١٩٨٩ .

وزعيم هكذا شخصيته يصبح من الضروري على الثورة المضادة ان تصنع له رذيلة وتبتكر له خطيئة وإذا كان من الطبيعي عدم امكانية «صنع» هذه الخطيئة خلال حكمه لانه واضح فلا بد من البحث في تاريخ حياته .. عندما كان شابا ويافعا وكان عليه ان يحب مثل الشبان وان يهوى ويعشق.. وان يعاقر الخمر والنساء .. وان تكون له مشاعر واحاسيس وبالنعل نقبت الأصابع السوداء وعثرت على قصة حب . وهي قصة حب بسيطة .. وفي الشرق عندنا تنتهي قصص الحب بالزواج عادة .. ولكن في هذه المرة توقفت قصة الحب عند حد معين .. لقد اوقفتها التقاليد اذ كان عبد الناصر قد وقع في حب (س) الأخت الصغرى لشقيقتين .. ورفض الوالد زواجها باعتبارها الصغرى الا بعد زواج الاختين .. وهنا توقفت العلاقة وماتت في مهدها ..

لكن الذين يسعون الى صنع الرذيلة لم يتوقفوا .. فقد صنعوا سيناريو خاصا جدا وهاما جدا ..

وربطوا بين السيناريو المصنوع وبين ثورة يوليو .. فقالوا ان عبد الناصر وقع في حب فتاة شقراء هي ابنة احد الباشوات ولما سأل الباشا ان يزوجها له رفض لانه اسمر الوجه .. وليس من ذات الطبقة طبقة الباشاوات .. وهكذا قام عبد الناصر بالثورة وجعل همه مرمغة كل بشوات مصر .. وخلع القابهم عنهم فالذي كان وراء قرار عبد الناصر بالغاء الالقاب هو عقدته من الباشا الذي رفض زواجة.. والذي كان وراء قراره بتحديد الملكية هي عقدته من الاقطاعيين ..

الهدف هو تفريغ ثورة عبد الناصر من مضمونها الاجتماعي وتوجهاتها نحو الجماهير ..

لكن هذه الحكاية الملفقة لا تصنع تاريخا ولا يقوم عليها بنيان متكامل من الصدق والموضوعية. ولذا فسرعان ما تسقط مثل هذه الحكايات: حكاية بنت الباشا الذي وقع في غرامها عبد الناصر.. ولكن هل وقع عبد الناصر حقا في الحب ..

والاجابة نعم .. انه ككل البشر يقع في الحب .. ويحس ويشعر .. وهو انسان من حقه ان يعيش ويستمتع.. ولكن لطبيعته غير القابلة للفساد لم يكن من حقه ان يخطيء ..

الخيط الاول في القصة امسك به الكاتب الصحفي شفيق احمد علي وظل يجذب فيه ويستخرج من شهوده قصة اول غرام لعبد الناصر .. ويصدر قريبا في كتاب يحمل هذا العنوان « المرأة التي احبها عبد الناصر » .

وفي البداية يتعرض شفيق احمد علي للسيناريوهات التي صنعتها الأكاذيب عن بنت الباشا .. ويفندها ويدحضها بالوثائق والأدلة والشهود .. وهنا ينفتح امامه الباب ليقول الحقيقة فماذا يقول في كتابه المثير ؟ .

★★★

منذ ستة اعوام كاملة ... وبالتحديد في ٣١ يوليو سنة ١٩٨٣ .. وبينما كانت مصر كلها تحتفل بالذكرى الواحدة والثلاثين لثورة يوليو ، فجر احد كتاب الصحف اليومية في وجوهنا جميعا قنبلة شديدة الانفجار..

كانت القنبلة تقول : عبد الناصر لم يأمر بالغاء الرتب والألقاب، ولم يسارع باصدار قانون الاصلاح الزراعي لوجه الله ، أو لوجه المساواة او لوجه العدالة الاجتماعية كما نعتقد ، أو كما يتعلم اولادنا في المدارس .. عبد الناصر - هكذا قال الكاتب بالحرف الواحد - كانت « لديه عقدة خاصة من باشوات الأحزاب ، وسبب هذه العقدة، هي حكاية سمعتها ، عن قصة حب من طرف واحد هو جمال عبد الناصر، وفتاة جميلة شقراء الشعر ، تنتمي الى اسرة من الباشوات ، وكان من عادة هذه الفتاة ان تذهب كل يوم اربعاء الى سينما ديانا حفل الساعة الثالثة ، بعد الظهر عندما كانت دور السينما تقوم بتغيير افلامها في ذلك الوقت كل اسبوع ، وكان جمال عبد الناصر حريصا على ان يكون دائما على باب السينما ، كل يوم اربعاء انتظارا لرؤية الفتاة التي احبها في صمت ، ثم حدث بعد ذلك ان تقدم جمال عبد الناصر الى والدها طالبا الزواج من ابنته، ولكن الأب ثار عليه وربما -!!- طرده من المنزل ، اذ كيف يجرأ من في مثل فقره وسمار بشرته ان يتقدم للزواج من ابنة الباشا شقراء الشعر » !!

★★★

وبالرغم من ان « الكاتب » لم يقدم وقتها ، دليلا قاطعا على صحة هذه الرواية سوى قوله بانه « سمعها » .. فقد ساقها لنا دليلا « يقطع » به على ان عبد الناصر كانت لديه عقدة خاصة من الباشوات دفعته - بالتالي - الى ان ينزع منهم الرتب والالقاب وان يصدر ضدهم قانون الاصلاح الزراعي فور نجاح ثورته.

أما متى واين سمع كاتبنا « الكبير » هذه الحكاية فيقول نصاً .. « استطيع بعد ان رويت هذه الحكاية التي ربما تكون قد ذكرت لأول مره فوق الورق ، ان أضع يدي فوق المصحف واقسم عليه انني سمعت هذه الحكاية من الاستاذ محمد حسنين هيكل ، في خلال السنوات الاولى للثورة .. وانني لم اكن وحدي الذي استمع اليها ولكن كان هناك زملاء اخرون موجودون حتى اليوم وكنا جميعا نضع اقدامنا على اول سلالم العمل الصحفي في

مجلة آخر ساعة التي كان يرأس تحريرها الاستاذ هيكل»!!

هذه باختصار، هي الحكاية – القنبلة – التي فجرها الكاتب بعد ٣١ عاما من الثورة ، وتجاهلناها نحن ايضا ستة اعوام كاملة بالرغم من انه «أحالها» الى شاهد « غير عادى » ليس فقط لأنه «حي يرزق» وانما لأن ذكر اسمه في هذه الرواية دلالات كثيرة .. وهو الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل .

وعلى الرغم من اننا لم نقرأ لسيادته حتى الآن ، نفيا أو تأكيدا لهذه «الإحالة».. الا ان احد منا لم يهتم بتحقيق او توثيق مدى صحة هذه الحكاية برمتها !!

شخص واحد فقط هو الكاتب الصحفي شفيق احمد على انزعة هذا الصمت « التام» على هذه الحكاية .. وما بناه البعض عليها من استنتاجات .

شخص واحد فقط .. خشي ان تتركها بلا نفي او تأكيد فيتعامل معها الاحفاد ومؤرخو المستقبل على انها حقيقة مؤكدة ..

وعليه قال شفيق احمد علي لنفسه .. « اذا كان البعض قد اكتشف هكذا فجأة وبعد ٣١ عاما من الثورة بأن اقدام الثورة على إلغاء الالقاب او الاصلاح الزارعى لم يكن كما اشاعوا وقتها حبا في عيون الفلاحين الاجراء او سعيا لتذويب الفوارق بين الطبقات وانما انتقام من باشوات زمان، لأن احدهما ثار على عبد الناصر ، وطرده من منزله حينما تجرأ وطلب الزواج من ابنته . فما المانع اذن من ان يكون جمال عبد الناصر قد اقدم ايضا على تأميم قناة السويس لأنه احب ابنة الخواجة دليسبس ورفض ان يزوجها له ؟ !!

وما المانع ايضا : من ان يكون عبد الناصر قد خلع الملك فاروق من على العرش مصر لأنه خطف منه زمان فتاه أخرى ؟ !!

وما المانع ايضا ان يكون عبد الناصر قد سارع باجلاء الانجليز عن مصر لأن لديه عقدة خاصة من الفتيات الانجليزيات .

ما المانع.. وما المانع.. وما المانع.. ما دام الهجوم على عبد الناصر اصبح- على رأى الاستاذ محمد حسنين هيكل نفسه- له « ثمن كبير.. ومناصب مغرية» !! هذا ما قاله شفيق احمد على وقتها ..

اما ما فعله : فقد قضى كل السنوات السابقة ، في البحث عن حقيقة هذه الحكاية بالصورة، وبالوثيقة وبالجملة الرشيقة .. ثم اصدرها هذا الاسبوع في كتاب مثير عنوانه « المرأه التى احبها عبد الناصر – اسرار وخطابات بنت الباشا التى لم يتزوجها » !!

وفي هذا الكتاب : لم يحاول المؤلف ان يصنع من عبد الناصر « صنما » لا قلب له ولا مشاعر وانما راح يدلل على انه كان – ككل البشر – يأكل ويشرب ويحمل في صدره قلب ينبض.. قلبا خفق فعلا – زمان – لاحدى زميلاته في مدرسه النهضة الثانوية .. لكن المؤلف لم ينجح فقط في ان يثبت – بخط عبدالناصر نفسه- بأنها لم تكن بنت باشا.. وانما اثبت ايضا – بالوثائق وشهادة الشهود.. بأن السبب الحقيقى لعدم زواجه من فتاته الأولى لم يكن بالمرة، هو السبب الذى ذكره احد الكتاب على صفحات الصحف اليومية.. بهدف النيل .. حتى من الاجراءات التى تعكس انحياز عبد الناصر للفقراء والمعذبين !!

وبعد ان يأخذنا المؤلف الى تفاصيل .. التفاصيل في قصة اول حب في حياة عبدالناصر ..

وبعد ان يضعنا مباشرة امام السبب الحقيقى لعدم زواجه من هذه الفتاة.. ينقلنا ايضا الى ما كتبه عبد الناصر بخط يده عن هذه الفتاة في «عصر ٢٨ يوليو سنة ١٩٣٩ » اى وهو يبلغ من العمر (٢) عاما وأربعة اشهر وثلاثة عشر يوما بالضبط .

ويقول المؤلف : لم يكن عبد الناصر وقتها يعرف انه سيصبح « قائداً » للعروبة ! !

ومع ذلك حينما تقابل صدفة مع فتاة خفق لها قلبه زمان لم يحاول – .. مثلما كتب بخط يده – تتبعها او معاكستها .. « حتى أنزه نفسى عن عبث الشباب الحديث» .

لم يكن يعرف – وقتها – اننا سنحصى عليه حتى انفاسه، ومع ذلك اكتفى بأن « يمتع نظره » بها من بعيد كما يقول .. حتى لا يعرض سمعة حبيبته « للقيل والقال » .

كان لا يزال وقتها شابا عاديا ككل الشباب لم يكن مطلوبا منه، وقتها أن يكون نبيا ، او راهبا او متبلد العواطف .

كان له قلب واحاسيس وغرائز بشرية والشباب في مثل هذه السن ، يعاكس ، ويشاكس ويلاحق الفتيات ولو فعل عبد الناصر وقتها ما فعله معظمنا في هذه السن ما لامه احد .. لكنه كان محبا من طراز نبيل .. وفينا من يدرك معنى ألا ينطق باسم فتاته الا مقرونا بصفة «هانم».

يقول عبد الناصر .. بخط يده لصديق عمره المستشار حسن النشار .

عزيزى حسن ..

أبلغك سلامى وارجو ان تكون بخير وماشى في

الامتحان زى الجدع .. لم ارك من مدة طويلة ولا اعرف للآن هل هذا ذنبى ام ذنبك ام ذنبنا نحن الاثنين .. زى ما تشوف..

وقد سمعت من عبد الرؤوف جبريل انك متأثر وزعلان لخلف الميعاد ولكنني احب ان اقول لك : الغى كل ما يدور بخلدك ..

فى هذا اليوم كان تأخرى بسبب حضور عمى وعبد الرؤف - كان مديراً لمكتب عبد الناصر - فى الميعاد ، واظنك ستستغرب عندما قلت لك انى لم ار عبد الرؤف من يوم شم النسيم إلا مرة واحدة وسأقول لك يا استاذ عن السبب ويمكن تكون عرفته بالتخمين.

اظننى قلت لك بأننى عزلت الى شارع زغلول رقم (١) بالظاهر .. وبينما كنت اتجول فى احد الأيام وجدت « سعدية هانم » وطبعا أظنك تقدر تعرف ايه اللى جرى لى فى تلك الساعة، ومن يومها وانا ابحث عن منزلها فى الظاهر ، حتى عثرت عليه اخيرا، بعد جهد وهو يقع فى شارع الخليج امام سينما فيكتوريا ..

وبما انه عندى عمل بعد الظهر فى يومى السبت والثلاثاء فاننى امتع نظرى باقى ايام الاسبوع ويشهد الله باننى لم احاول تتبعها ولا معاكستها حتى انزه نفسى عن عبث الشباب الحديث وحتى لا يقال عنها القيل والقال ، وأظن أن هذا يا استاذ هو ما عاقنى عن السؤال عنك .. ولا مؤاخذة، وان شاء الله اقابلك قريبا ، ونشوف مين فينا يغلب الثانى ويجيب الحق عليه .

وقد سألت عنها فعرفت انها فى مدرسة الفنون الطرزية بشبرا وان لها اختين اكبر منها ، وانها لا يمكن زواجها الا بعد زواجهما .

وانى اعمل كل جهدى الآن حتى انقل لمصر وعشمى ان يصلنى منك جواب على سلاح الاشارة قريبا وان شاء الله بعد الامتحان بتاعك ساضايقك من الزيارات .. سلامى الى الست الوالدة والسيد الوالد والأخوة طبعا .. وتقبل سلامات وقبلات .

« جمال عبد الناصر »

كان هذا هو واحد من خطابات عبد الناصر التى استشهد بها المؤلف - مع غيرها - على ان فتاة عبد الناصر الأولى لم تكن تنتمى الى اسرة من الباشوات خصوصا وانها بعد ان حصلت مثله على« شهادة البكالوريا من مدرسة الظاهر الثانوية - قسم بنات - قد انتقلت للعمل فى مدرسة الفنون الطرزية بشبرا ، بل وتتجول دون الحراسة التقليدية لبنات « الباشوات » .. ويمكن تتبعها ومعاكستها دون خوف من والدها الباشا « المزعوم » .. لولا ان عبد الناصر هو الذى اراد ان ينزه نفسه عن عبث الشباب الحديث» وفى الوقت الذى قال فيه البعض ان عبد الناصر ، تجرأ وتقدم لخطبة فتاته من اسرتها ، الا ان والدها الباشا المزعوم « ثار عليه وربما طرده من المنزل مما ترك لديه عقدة خاصة من الباشوات .. ها هو خطاب عبد الناصر نفسه يؤكد بأنه لم يتقدم رسميا لخطبتها .. وإنما « سأل عنها » .. فعرف ان « لديها اختين أكبر منها .. وانه لا يمكن زواجها الا بعد زواجهما » ! !

اما متى رأها لأول مرة .. واما متى رأى ايضا قرينته الجليلة « تحية كاظم » .. وكيف تعرف عليها بعد خمسة اعوام كاملة من انتهاء علاقته تماما بابنة « الباشا » المزعوم .

اما كل هذه التفاصيل وغيرها .. فلم يكتف بها المؤلف فى كتابه المثير .. وانما خاطر ايضا - كعادته - وتسلل بنا الى كل المناطق المحظورة فى الحياة الخاصة جدا لعبد الناصر .. وابسطها «رذائله» الخلقية فى رأى المخابرات الأمريكية وحقيقة علاقته هو والسادات بالخمور ، والنساء .. وجمعية تبادل الزوجات . !!

سعدية هانم وثورة يوليو !*

(بقلم : لمعى المطيعى)

كان الاستاذ « مصطفى شردى » وهو رئيس لتحرير هذه الجريدة حريصاً على ألا تنزلق الجريدة إلى التجريح الشخصي، وألا تقترب من المناطق المحظورة الخاصة جداً للشخصيات البارزة ، مهما كانت درجة العداء لهم أو درجة عداء الشخصيات للجريدة أو الحزب ..

وأذكر بعد أن ذاع وشاع كتاب « اعتماد خورشد » أن راحت بعض الصحف والأقلام تنهل من الكتاب ما يسيء إلى عهد جمال عبد الناصر ، وإلى أحد أجهزته .. وعندما تناولت جريدة (الوفد) هذا الكتاب تناولته بشكل سياسي لا شخصي وعرضت له في النطاق العام وليس بمستوى الحديث عن عورات الناس وعلمت وقتها أن « صفوت الشريف » أبدى للمرحوم « مصطفى شردى » هذه الملاحظة التي تعكس ارتياح الكثيرين لأسلوب جريدة "الوفد" في تناول الكتاب ومحتوياته .. وقد استمعت بنفسي إلى عدد من القيادات النسائية في مختلف الأحزاب ، وإلى عدد من الزميلات الصحفيات والكاتبات إلى مثل هذا الأرتياح، وهذا في الوقت الذي كان الكتاب موضع الهمس بين الكثيرين والكثيرات في محاولة للتعرف على الشخصيات الحقيقية لما ورد في الكتاب من رموز .

ورغم القدر الهائل من الخصومة بين الجريدة و « جمال عبد الناصر » فإن الجريدة والمحررين بها والكاتبين إليها ، لم يقترب منهم أحد من الحياة الشخصية لجمال عبد الناصر .. دخلت الجريدة في معركة سياسية مع عبد الناصر ونظامه وسلبيات هذا النظام بهدف سياسي من أجل التخلص من آثار هذه السلبيات على حياتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وافسحت الجريدة أنهارها لأقلام القيادات المختلفة في نقد الدكتاتورية والقهر والتعذيب .. والتصفيات الجسدية .. والتجارب الاجتماعية غير المدروسة .. والتخبط الاقتصادي والثقافي .. والتدخل في شئون البلاد العربية الأخرى .. والتناقض في المواقف السياسية .. ووقوع مصر في قبضة مجموعة من المعاونين لعبد الناصر، والتعتيم الاعلامي، والمعتقلات والسجون ، والاحكام الجزافية، والتدخل في حياة الناس الخاصة ، وقهر ارادة الإنسان المصرى ، وتزوير هذه الإرادة في الاختيار والانتخاب، وتخريب وجدان الناس، وتصفية الذين شاركوا يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢، والصراع اللا إنسانى على السلطة، ومطاردة المثقفين والمخالفين في أرزاقهم، وحل الاحزاب وضرب القوى السياسية جميعها ، والانفراد بالقرار، والدخول في مغامرات عسكرية وتبديد ثروة البلاد على أطماع شخصية .. وأنا هنا لا أعدد سلبيات عبد الناصر، ولا أحاول أن أستعيد أخطاء نظامه ، وإنما قدمت أمثلة لعناصر الخلاف بين جريدة (الوفد) ونظام عبد الناصر وهي قليل من كثير دأبت الجريدة على القاء الأضواء الناقدة عليها باسلوب سياسى . ولكن الجريدة أبداً أبداً لم تحاول مرة واحدة أن تقترب من الحياة الشخصية للرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

وهذا الأسلوب في مواجهة الخصوم الذى تسير عليه الجريدة، هو تعبير عن الاسلوب الذى عرف عن الوفد .. والمعروف تاريخياً أن الوفد تعرض لانشقاقات وانقسامات مختلفة وخرج عليه البعض جماعات أو أفراد ، ولكن الوفد كان حريصاً على تعرية خصومه سياسياً، وكان حريصاً على عدم الاقتراب من المثالب الشخصية وكان يترك لخصومه استخدام هذا الاسلوب فيسقطون في أعين الناس ويطويهم النسيان .. وشعب مصر ينفر بطبيعته من الحديث عن الحياة الخاصة وحرمات الآخرين، كان

* جريدة الوفد - الصفحة الثالثة - في الأحد ١٣ أغسطس ١٩٨٩ .

أعداء الوفد عندما تعوزهم مبررات الخصومة يلجأون الي هذا الاسلوب - إختراعاً وتلفيقاً - للطعن في زعامات الوفد، تعرض لهذا الموقف - ظلماً وافتراءً - زعيم الوفد «مصطفى النحاس»، ويعرف الأعداء قبل المؤيدين أن مصطفى النحاس تميز بالتدين الصحيح المستقيم، تميز بالسلوك الشريف العف وتميز بالاستقامة .. ولكن الانحدار في الصراع الحزبي والسياسي دفع اعداء النحاس إلى التلفيق له والتقول عليه وهم يعرفون انهم لا يقولون سوى الإفك والبهتان والزور، رغبة في الإنتصار على «مصطفى النحاس» بأية وسيلة وبأى أسلوب وهذا الذى كتبته، على الإطالة فيه، هو في حقيقة الأمر مقدمة لما أريد أن أختم به المقال، ففى الطريق محاولة خطيرة للإنحراف بتاريخنا المعاصر إلى منعطف ضيق وخبيث وعلى وجه التحديد في تفسير أسباب ما حدث يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وتفسير ما حدث بعد ذلك اليوم .. محاولة خبيثه لطمس الأسباب الحقيقية للإطاحة بحكومة الوفد في ٢٧ يناير ١٩٥٢ والتآمر عليها من جانب أمريكا وأجهزتها، وبريطانيا، والقصر، وعدد من أحزاب الأقلية السياسية غير الديمقراطية، وذلك تمهيداً لضرب الثورة الشعبية التى حددت أهدافها في الإستقلال الوطنى والتخلص من النفوذ الأنجلو أمريكى - بتعبير تلك الأيام - والعدل الإجتماعى تآمرت هذه القوى جميعها وأجهضت الثورة الشعبية، ثم جاء الضباط الأحرار إلى السلطة وسرعان ما انفرد «جمال عبد الناصر» بكل مقومات الحكم، فاذا جاء اليوم من يقول بأن «جمال عبد الناصر» استولى على السلطة لأنه لم يتزوج بفتاته «سعدية هانم» التى كان ينظر إليها من بعيد أمام سينما فكتوريا بشارع الخليج .. إذا جاء اليوم من يقول هذا حتى عن طريق تفنيد هذه الإدعاءات .. يحق لنا ان نتزعج .. إنها محاولة مريبة تريد أن تفسر إلغاء ألقاب الباشوات والبكوات بأن (الباشا المزعوم) والد (سعدية البيضاء الشقراء) رفض ان يقبل «جمال عبد الناصر» عريساً لإبنته !!وقالت صحيفة معارضة أن (الكتاب) في الطريق .. ويبدوا أن هذا الكتاب يروج لتلك التفسيرات الغريبة عن طريق التظاهر بتفنيدها والرد عليها .. هذا الأسلوب مرفوض في تفسير تاريخنا المعاصر لانه يسد الطريق أمام المؤرخين الجادين في محاولتهم تفسير يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ سواء معه أو ضده .. وهو اسلوب ترفضه تقاليد شعبنا لأنه يغطى التفسير الاجتماعى للسلبيات بالحديث عما أسماه الكتاب (علاقة عبد الناصر والسادات بالخمور والنساء) وهو اسلوب مرفوض إنسانياً لأنه يجرح مشاعر أسرة مصرية كان لها شأن في مصر لسنوات طويلة .

ايه الحكايـــة

هذا هو جدك .. جمال عبد الناصر .. ياولدى!*

(بقلم : فاروق عبد السلام)

ولدى الحبيب عمرو

يا ملكيتى الخاصة والوحيدة فى هذه الدنيا !! ويا اشراقة الغد .. وشعاع الامل والنور فى هذا الزمان الاغبر !! ويا مهجة العين ونورها .. فى بحر الظلمات والمتلاطم الامواج والملىء بالدجالين والافاقين .

اليك يا ولدى .. وانت مازلت فى العاشرة من عمرك او دونها بشهرين اهدى هذه الحكاية !

والحكاية يا ولدى هى حكاية .. جدك جمال عبد الناصر !! الذى قال فى كتاب فلسفة الثورة الذى ستدرسه العام القادم فى الصف الخامس الابتدائى :

« لو ان أحداً سألنى .. ما هى اعز امانيك ؟ لقلت له على الفور : ان اسمع مصريا يقول كلمة انصاف فى حق مصرى آخر !! »

---

* مجلة الإذاعة والتلفزيون - صفحة (١٩) - فى السبت ١٩ أغسطس ١٩٨٩ .

واسمع الحكاية من بدايتها يا ولدي . الحكاية تقول في البداية والنهاية : ان جمال عبد الناصر هو اعظم رجال العصر وانبلهم وهو واحد من قادة هذا الزمان الذي تنزه عن الهوى وهو اول مصري يحكم مصر بعد توالي الحكام الفرنسيين والانجليز والاتراك.

ثم بعد هذا كله هو القائد المنحاز للغلابه والفقراء والمطحونين والمقهورين .

فهو الذي قال يا ولدي : ارفع رأسك يا اخي ، فلقد مضى عصر الظلم والاستبداد !

وهو الذي لولاه ما كان ابوك - الذي هو (انا) - قد اكمل تعليمه الجامعي في ظل مجانية التعليم لكل ابناء مصر !

وهو الذي وفر المسكن لكل مواطن .. والطعام لكل فم ..

واعلم يا ولدي ان اباك منحاز لعبد الناصر ! وكيف لا أنحاز اليه وهو الذي انحاز للملايين من امثالي المعذبين !

ثم جاء من جاء بعده لينحاز للاغنياء وجعلهم خط دفاعه الأول : فإذا بهم اول المهرولين الفارين الهاربين بعد سقوطه .

فاسمع يا ولدي هذه الحكاية من ضمن حكايات عديدة حاول فيها المشككون من حملة الاقلام المشبوهة ان يشوهوا تاريخ جدك جمال عبد الناصر .. وكم من مرات عديدة حاولوا فيها « تلطيخ » تاريخه بالزفت والقطران مرة في ذمته المالية وأخرى في وطنيته وثالثة في سلوكياته ولكنهم لم يفلحون .

وهذه الحكاية يا ولدي حاولوا أن ينالوه في مقتل .. فاهالوا عليه التراب والطين فكتبوا من خلال حقدهم الاسود عن « المرأة التي احبها عبد الناصر».

واعلم يا ولدي ان الذين يهاجمون جدك عبد الناصر الآن كانوا اكثر الناس تهليلاً لعبد الناصر.. بل ان احدهم كان يكتب «غزلا» في عيون عبد الناصر.. ثم راح بعد وفاته يكتب افتراءاته واكاذيبه بقلم المفترى علينا وعلى كل ابناء مصر الشرفاء ! !

ولكن يا ولدي هؤلاء هم الملطخة بالشبهات اقلامهم ، والمنسوجة بالاكاذيب كلماتهم، والمنحوتة بالخيانة حروفهم .

★★★

واقدم لك يا ولدي صحفيا هو بمثابة « عمك » وهو الصحفي شفيق احمد على الذي اصدر كتابا بعنوان « المرأة التي احبها عبد الناصر » وارتدى روب الدفاع في محكمة التاريخ وراح يخاطب وجدان زملائك واصدقائك ، فانتم الاجيال القادمة ، لابد وان تعرفوا ماذا كان يجرى في الماضي .

وحتى ترددوا : « كم كان اباؤنا اوفياء في حمل الامانة » !

والحكاية تقول كما كتبها واحد من كتاب الردة: قال هذا الكاتب في حدوتته : انه كان ياما كان في سابق العصر والأوان ، وبالتحديد قبل ثورة يوليو بعدة سنوات ، ان جمال عبد الناصر وقع في حب فتاة ، ابوها ، باشا ، وكان عبد الناصر ينتظرها كل يوم امام سينما فيكتوريا ، في حي الظاهر . في مدرسة الفنون الطرزية بشبرا .

ويروج هذا الكاتب ان عبد الناصر تجرأ وتقدم لخطبة فتاته من اسرتها الا ان والدها الباشا ثار عليه وربما طرده من المنزل مما احدث جرحا عميقا في نفس عبد الناصر وترك لديه عقدة خاصة من الباشوات دفعته الى ان يقتص منهم جميعا بإلغاء الالقاب . «يا سلام ، بقى هي الحكاية كده ؟!

وهنا يرد عمك « شفيق احمد على » بعد ان بحث عن حقيقة هذه الحكاية - وبالمناسبة فان شفيق احمد على فاز بالجائزة الاولى في الحوار الصحفي في المسابقة التي تعقدها نقابة الصحفيين كل عام وذلك عن حواره مع كامل الكفراوي المليونير الهارب من العدالة لمدة عام ونصف وذهب اليه في " وكره " المختفى فيه وكشف علاقته بالاسرائيليين وتهريب الماس من اسرائيل لمصر وعلاقته بعصمت السادات - وكان هذا الحوار خبطة صحفية بكل المقاييس . كما انه كتب كتابا عن عملية اغتيال سعد حلاوه بأيدى الصهاينة - يقول عمك شفيق :

حينما كتب الكاتب المرتد اياه هذه الحكاية عن عبد الناصر رحت افتش عن الحقيقة الغائبة في هذا الموضوع فالتقيت بالمستشار حسن النشار الصديق الصدوق لعبد الناصر منذ الطفولة وحتى موت عبدالناصر .

ويقول حسن النشار :

حينما قرأت هذه الحكاية في جريدة الاهرام اتصلت بكاتبها وطلبت منه تصحيح ما نشره بعد ان عرضت عليه زيارتي في المنزل لاطلاعه على ما كتبه عبد الناصر بخط يده في هذا الشأن لكنه لم يحضر للأسف ولم يصحح ما نشره حتى الآن .. وهذا يدفعني الى ان اضع الحقيقة أمام الله والتاريخ خصوصا بعد ان فشلت محاولاتهم المتكرره للنيل من الرجل سياسيا فراحوا يوجهون سهامهم اخيرا الى سلوكه الشخصي .

واخرج المستشار حسن النشار خطابا كان قد كتبه له جمال عبد الناصر عن هذه الحكاية قال فيه :

عزيزي حسن :

اظنني قلت لك بأنني عزلت الى شارع زغلول رقم (١) بالظاهر .. وبينما كنت اتجول في احد الأيام وجدت « .... هانم » وطبعا أظنك تقدر

تعرف ايه اللى جرى لى فى تلك الساعة، ومن يومها وانا ابحث عن منزلها فى الظاهر ، حتى عثرت عليه اخيرا، بعد جهد وهو يقع فى شارع الخليج امام سينما فيكتوريا .. وبما انه عندى عمل بعد الظهر فى يومى السبت والثلاثاء فاننى امتع نظرى باقى ايام الاسبوع ويشهد الله باننى لم احاول تتبعها ولا معاكستها حتى انزه نفسى عن عبث الشباب الحديث وحتى لا يقال عنها القيل والقال ، واظن ان هذا يا استاذ هو ما عاقنى عن السؤال عنك .. ولا مؤاخذة، وان شاء الله اقابلك قريبا ، ونشوف مين فينا يغلب الثاني ويجيب الحق عليه .

وقد سألت عنها فعرفت انها فى مدرسة الفنون الطرزية بشبرا وان لها اختين اكبر منها ، وانها لا يمكن زواجها الا بعد زواجهما .

وانى اعمل كل جهدى الآن حتى انقل لمصر وعشمى ان يصلنى منك جواب على سلاح الاشارة قريبا وان شاء الله بعد الامتحان بتاعك ساضايقك من الزيارات .. سلامى الى الست الوالدة والسيد الوالد والأخوة طبعا .. وتقبل سلامات وقبلات .

« جمال عبد الناصر »

الى هنا تنتهى علاقة جمال عبد الناصر بهذه الفتاة التى فكر - يوما ما - فى الزواج منها .

اذن ما هى حكاية ان والدها كان باشا ؟

يقول لى شفيق احمد على :

انها فتاه من الطبقة الوسطى - ووالدها كان رجلا عاديا - وتعال انظر معى الى النعى المنشور فى الأهرام فى ١٧ مايو ١٩٧٠ عن فقيدة عائلة الصدر - وهى التى خفق لها قلب عبد الناصر والنعى كما هو واضح يقطع بان الفقيدة لم تكن كما زعموا بنت باشا .

وقد قرأ عبد الناصر هذا النعى فى جريدة الاهرام .. وكأى انسان له قلب ومشاعر واحاسيس اغرورقت عيناه بالدموع وقام على الفور وركب سيارة صغيرة اسدلت عليها الستائر من كل جانب وذهب يرصد الجنازة من بعيد وفى صمت .. جفف دموعه على ذكرى اول حب خفق له قلبه .. وطواه الزمن » .

بقى فى النهاية .. ان الكاتب المرتد إياه الذى كتب هذه الواقعة اقسم برأس ابيه بان محمد حسنين هيكل يعرف هذه الحكاية وانه حكاها للمحررين العاملين معه فى مجلة آخر ساعة .

فذهب اليه شفيق احمد على يسأله عن مدى صحة هذه الواقعة ؟

فماذا قال لك هيكل يا شفيق ؟

ويرد شفيق : قال لى هيكل رأيه فى كلمة واحدة: لم يحدث !!

بقيت كلمة آخيرة قالها أيضاً محمد حسنين هيكل :

ان الهجوم على عبد الناصر و « مرمطة » عبد الناصر له ثمن كبير ومناصب مغرية هذه الايام .

المهم .. ان هيكل قال هذه الكلمة للصحفى المرتد التى حاول « مرمطة » عبد الناصر بهذه الحكاية !!

فهل فهمت يا ولدى ؟ !

انه فى يوم

للتـــــــاريخ *

(بقلم : المستشار عبد الحميد يونس)

* «هذا جدك جمال يا ولدى .» عنوان مقال نشرته مجلة الإذاعة للكاتب فاروق عبد السلام، يستحق الإشارة والإشادة .

* مجلة أكتوبر - الصفحة (٣٤) - فى الأحد ٨ أكتوبر ١٩٨٩ .

المرأة التى أحبها .. عبد الناصر! *

(بقلم : محمد بغدادى)

رغم الانتقادات التى وجهها البعض لظاهرة الكتاب الصحفى الذى بات علامة مميزة لارصفة الكتب هذه الايام، إلا انه ينتشر وينجح .

احدث الكتب فى هذا المجال ، كتاب الزميل شفيق احمد على « المرأة التى أحبها عبد الناصر » ، والكتاب يلتقط من بين حملات التشوية والتعمية على الثورة وزعيمها الراحل مقولة احد كبار صحفيى مصر (..) بأن عبد الناصر قام بالثورة واتخذ قرارات التأميم وفرض الحراسة لحقده على الطبقة الارستقراطية التى أحب منها بنتا تنتمى اليها .. والكتاب يعصف بهذه المقولة تماماً، ويقدم فى شكل صحفى بارع ومتميز شيئا اقرب إلى الرواية التسجيلية او التحقيق الروائى عن حياة هذه السيدة التى احبها عبد الناصر فى شبابه .

الكتاب وثيقة تاريخية يقدمها زميلنا الكاتب الصحفى شفيق احمد على ليضمها ملف العقل المصرى الذى صار «مطلوبا» ان يتوقف عن التفكير .. والتذكر .!!

* «روز اليوسف» - صفحة (٥٦) - فى الاثنين ٢١ أغسطس ١٩٨٩ .



"عصفورة" .. الوفد*

* صحيفة « الاهالى » الناطقة بلسان حزب التجمع الوطنى .. رفضت نشر ملخص عن كتاب «المرأة التى احبها عبد الناصر» للزميل اللامع شفيق احمد على . ونشبت ازمة حادة بين الصحيفة والمؤلف عضو حزب التجمع . واشاد خلالها شفيق احمد على بموقف صحيفة « الوفد » التى عرضت الكتاب رغم اختلافها مع مضمون الكتاب . وقرر شفيق احمد على اعادة التفكير فى انتمائه الى حزب التجمع، وصحيفة "الاهالى". وتساءل بصوت عال: «هل آن الوقت لليسار المصرى ، لتطوير مواقفه !؟ » .**



* جريدة «الوفد» - الصفحة الثالثة - فى الخميس ٢٤ أغسطس ١٩٨٩ .

** لتعرف مدى أمانة «العصفورة» إياها .. ومدى إدمانها «للصيد فى الماء العكر» .. إقرأ «شهادتى فى أزمة الأهالى» المنشورة فى نهاية هذا الفصل .. وأعد ثانياً - من فضلك - قراءة فصل «جريمة هذا الكتاب» وفيه تعليقى على ما نشرته «الوفد» عن الكتاب بعنوان «سعدية هانم وثورة يوليو» .. وهو التعليق الذى اسمته العصفورة «إشادة منى بموقف صحيفة الوفد من الكتاب» !!!

عبـد الناصـــر ..

لم يكن معصوماً من الحب *

(بقلم : محمد هيكل)

ضمن مارثوان التهجم على ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وفى سباق التتابع للبحث عن ثغرة تتيح التطاول على عبد الناصر قال أحد الكتاب البارزين فى عموده الذى ينشر يومياً فى صحيفة حكومية واسعة الانتشار .. أن السبب الرئيسى فى كراهية عبد الناصر للباشوات ، هو عدم تمكنه من الزواج من واحدة من بناتهم ، الأمر الذى دفعه لان ينتقم من الطبقة الباشوية كلها ، فالغى الالقاب ، وأصدر قانون الاصلاح الزراعى ، وربما دفعه ايضا لطرد الانجليز ، وتأميم قناة السويس وتحرير افريقيا وتشكيل جماعة عدم الانحياز . !

وقد قرأ البعض هذا المشهد . ولم يهتم ، فى حين مصمص البعض شفتيه ، ومنهم - بطبيعة الحال من عض على النواجذ « غيظاً أو شماته » الا واحد، فقط ادرك معنى هذه القصاصة، او تلك الرواية الملفقة ، هذا « الواحد » هو «صديقى الجزار الباريسى» شفيق احمد على، الكاتب الصحفى المشاغب، صاحب نكهة القلم اللذيذة، الذى احتفظ بهذه القصاصة الورقية ست سنوات كاملة !

- ماذا فعل إذن ؟

قبل الاجابة ، اتذكر تلك المعركة التى احتدمت في منتصف الثمانيات بين وزير الثقافة -انذاك- محمد عبد الحميد رضوان ، والكاتب المشاغب يوسف ادريس، واذا بالدكتور فؤاد زكريا، يعلق على « سطحية المعركة ، وعدم تكافؤ اللاعبين » ويطرح تساؤلا طريفا : ماذا تكون الاجابة لو سألنا عشرة مثقفين عن وزير الثقافة الذى «شتم» كاتبا كبيرا ؟ بشرط ان يكون قد مر عشرون سنة على هذا الحادث ؟

ويجيب د. زكريا على تساؤله : اغلب الظن ان تسعة منهم سيفشلون فى معرفة اسم الوزير، اما العاشر فانه سيعرف، لانه يحتفظ بجريدة الوقائع المصرية اما العشرة، فسيعرفون من هو الكاتب «المشتوم» !

هذا ما حدث بالضبط مع صاحبنا «شفيق».. فقد احتفظ بالقصاصة فى ملف كتب عليه «الذين تطاولوا على عبد الناصر» .. ولم يكتف - بطبيعة الحال - بالاحتفاظ بالقصاصة المنشورة فى ٣١ يوليو ١٩٨٣، بل راح يفتش ، وينقب لعله يصل الى سر حكاية حب عبد الناصر لفتاته الشقراء بنت الباشا .!

وكانت المفاجأة التى توصل اليها الجزار الباريسى شفيق، أن الرجل - أى عبد الناصر - لم يكن معصوما من الحب !! بل كان له قلب يخفق ككل البشر ، ووجدان يحس ككل خلق الله، وعقل يزن العالم بأكمله . !!

واذا كانت اعز امانى عبد الناصر « ان يسمع مصريا يقول كلمة انصاف فى حق مصرى آخر » ولم نجدها نحن فى كثير من كتاب هذه الازمنه ، وكل الأزمنه ، ولكننا وجدناها بصدق - وهذا يريح عبد الناصر فى قبره - فى كاتبنا الفلاح الشرقاوى «شفيق احمد على الذى خرج إلينا بعد صمت دام اكثر من ثلاث سنوات، ليضيف أبنا رابعاً الى ولده الجميل « سخاء » وابنته الرقيقة « إيثار»

* جريدة «مصر اليوم» - صفحة (٢) - فى الأحد ٢٩ أغسطس ١٩٨٩ .

وكتابه الاول ، وابنه الثالث وعملية إغتيال سعد حلاوة» فضلا عن هذا الابن الرابع الجميل المكتمل الحياة والنضج « المرأة التى أحبها عبد الناصر » .

– هنا يطرح سؤال محوري، هو ايضا محور الكتاب : هل نحن بصدد التفسير العاطفي لثورة يوليو ؟

والاجابة تبدو بديهية، ولا تحتمل كل هذا الاجتهاد التلفيقي من كتاب كل الازمنة، لم يكن عبد الناصر يعلم وهو في سن التاسعة عشرة – اى في عام ١٩٣٩ – الذى احب فيه فتاته، أنه سيكون زعيما للعروبة، وخصما للامبريالية العالمية ، وفلولها في الداخل والخارج .!

ولم يكن يدري، ان الزمان يخبيء لنا رئيسا مصريا لحما ودما، بعد سنوات طويلة من الهوان المملوكي والعثماني والانجليزي والالباني . !!

ولم يكن يدري – أي القدر – ان عبد الناصر ، في هذه السن وهذا الزمان سيكون منحازا للفقراء، ومنفذا لاماني بشير التعليم المجاني طه حسين . !!

ولم يكن عبد الناصر يدري – وقتها – كما يقول شفيق : « أننا سنحصي عليه حتى انفاسه، ليترك الحب، ويتحول الى راهب او نبي .» أو متبلد العواطف والمشاعر والوجدان » !!

لم يكن عبد الناصر – اذن – سوى بشر، له قلب يخفق، لذلك، لم يكن – بطبيعة الحال – معصوما من الحب . !!

والتساؤل كيف احب عبد الناصر ؟

يؤكد شفيق من خلال رحلة بحث جادة، ان حب عبد الناصر، كان صورة للحب الرومانسي العفيف، « لم يحاول معاكستها، او تتبعها ، حتى ينزه نفسه عن عبث الشباب، لكنه إكتفى بأن يمتع ناظريه حتى لا يعرض سمعة فتاته للقيل والقال » .

انها كانت فتاة بسيطة من أسرة متوسطة، كان يعمل والدها استاذا بكلية المعلمين، والسند والمستند نعيها الذى نشر بجريدة الاهرام في ١٧ مايو ١٩٧٠.!

وتروج التلفيقة – ايضا – أن عبد الناصر تقدم لخطبتها ، ولم يوافق والدها ، وربما طرده من بيته ، والحقيقة، كما استوثق منها شفيق من خطابات عبد الناصر الى صديق عمره وشقيق اخته في الرضاعة المستشار حسن النشار، واخرون مازالوا على قيد الحياة، ان العرف الاجتماعي جرى في العائلات المحافظة على زواج الاخوات الاكبر سنا ، وكانت فتاة عبد الناصر الصغرى لاختين . !

في رشاقة الفراشات، وهو حال « قلم شفيق احمد علي « اخذنا » في رحلة فتاة عبد الناصر، الى مصر ، الى الوطن المجروح والمحاصر والمطارد ، الى عالم عام ١٩١٥، وطاف بنا في سياحة تاريخية، الى حال مصر ، واقرر هنا ، انى لم اجد معاناة في قراءة « المرأة التى احبها عبد الناصر » الذى اخذ منى ليلة كاملة ، لم احتاج فيها الى « تبغ » ادخنة، ولا قهوة تفيقني، فقد كان الكتاب هو « المنبه الوحيد » !

واذا قدر لكم ان تقرأوه، فسوف يسحركم، كما تفعل « البارفانات الباريسية » .. لكن احذركم من نصل الجزار، الذى يسوق قصته في دقة محكمة الفواصل، رقيقة الملمس، نافذة المفعول !

★★★

والحقيقة التى توصلت إليها من كتاب شفيق « المعلوماتي » انه لم يقدم لنا تفسيرا عاطفيا لثورة يوليو وقائدها ، انما قص علينا « تراجيديا التاريخ المصري » .. وان عبد الناصر لم ينتقم من الباشوات من اجل فتاته الشقراء ، انما انحيازا الينا نحن فقراء مصر . !

★★★

هى – أى قصة الفتاة التى أحبها عبد الناصر – قصة الوطن المطلوب في كل زمان ومكان، كما كان يقول دوما شهيد الدم الغالي ناجي العلي .

★★★

وزهرتان اضعهما على قبرى عبد الناصر ولفتاته « سين » .

وقبله اضعها على خد الصديق المشاغب الجميل شفيق احمد علي وكتابه الجميل «المرأة التى أحبها عبد الناصر » .

ويرد الزميل شفيق على هذه المزاعم ومن خلال

المرأة .. وعبد الناصر !*

(بقلم : د. فتحى عبد الفتاح)

«المرأة التى أحبها عبد الناصر» احدث كتاب للزميل الصحفى شفيق احمد على ويتناول فيه بعض المزاعم التى ترددت حول حقيقة بنت الباشا التى احبها عبد الناصر واصدر بسببها قانون الاصلاح الزراعى عقب قيام ثورة يوليو والغى الالقاب .

ردوده يتطرق إلى بعض الحقائق والمناطق المجهولة فى الحياة الشخصية لعبد الناصر وكشف سر الحملة المنظمة ضد فترة حكم عبد الناصر .

والكتاب إضافة جديدة إلى العديد من الموضوعات الهامة والتحقيقات الصحفية اللامعة التي قدمها الزميل شفيق أحمد علي ونشرها على صفحات مجلة "روز اليوسف" وجريدة "الأهالي" منقباً من خلال عمله الصحفى حول بعض الحقائق التى أثارت اهتمام الرأى العام وتناول بعضها جمال عبد الناصر وعصمت السادات ، والمليونير كامل الكفراوى ، وهى التحقيقات التى نال عن بعضها شفيق أحمد علي من نقابة الصحفيين الجائزة الأولى فى مسابقة التفوق والامتياز الصحفى التى تجريها النقابة سنوياً بين الصحفيين المصريين .. وقد صدر له من قبل كتاب عن الشهيد سعد حلاوة أول شهداء تطبيع العلاقات المصرية مع العدو الإسرائيلى .

* جريدة «الجمهورية» - الصفحة التاسعة - فى الثلاثاء ٢٩ أغسطس ١٩٨٩ .



رحيق الكتب

عبد الناصر و .. «بنت الباشا»*

(بقلم : محمد الشبه)

استهل المؤلف كلمته بعبارة صغيرة صاحبها هو بطل هذا الكتاب ، جمال عبد الناصر .

قال فى كتابه فلسفة الثورة :« لو ان أحداً سألنى ما هى أعز امانيك ؟ لقلت على الفور أن اسمع مصرياً يقول كلمة إنصاف فى حق مصرى آخر » !!

هذه العبارة، الصغيرة، هى بالضبط محور كتاب «المرأة التى أحبها عبد الناصر» لمؤلفه الكاتب الصحفى شفيق احمد على ، اللذى راعه ما يفعله الناس فى تاريخهم وزعمائهم، خاصة بعد موتهم، التقط خبرا ورد فى مقال لأحد الكتاب حول علاقة حب ربطت بين الرئيس جمال عبد الناصر فى صباه وابنة أحد « الباشاوات » ، شغل شفيق احمد على نفسه بالحكاية، جرى وراء الخبر ، يدق ويحقق، ملأ عشرات الشرائط، احاديث، مقابلات، وثائق وفى النهاية سجل فى هذا الكتاب، حكاية اول امرأة خفق

* مجلة «كل الناس» صفحة (٢٦) - فى الاثنين ٤ سبتمبر ١٩٨٩ .

لها قلب عبد الناصر .

هى فتاة عادية، لم تكن ابنة « باشا » ومن لا يصدق. - يقول المؤلف - يفتح جريدة الأهرام الصادرة فى ١٧ مايو سنة ١٩٧٠، على صفحة الوفيات، فقد شيعت جنازتها فى تمام الحادية عشرة من صباح ذلك اليوم .

يومها، « وضع عبد الناصر على عينيه نظارة سوداء، وأسدل ستائر سيارته من كل جانب، وسار بها وحده بضعة أمتار خلف الجنازة ، دون حراسة ودون أن يشعر به أحد، فيفسد عليه جلال اللحظة » هكذا شهد، أقرب أصدقاء عبد الناصر، المستشار حسن النشار. وهكذا سجل المؤلف، جوانب دقيقة رومانسية خلف ستار «الزعامة» وفى غمرة المعمعة والصراعات السياسية.

وكتاب شفيق احمد على لوحة أدب ، وشعر ووجد، صاغها بروح المحقق الباحث عن الحقيقة المجردة، وهذا النوع من الكتابة العميقة معروف فى الغرب أكثر وهو يحظى بشعبية طاغية من جانب القراء الباحثين دائماً عن الحقيقة، ومعرفة اسرار وخبايا القادة والنجوم خاصة فى الفن والسياسة .

وقد يختلف البعض، حول النتائج التى توصل إليها كتاب « المرأة التى أحبها عبد الناصر»، وقد يكشف كتاب آخر وثائق أخرى للحكاية ليس هذا موضوعنا .

القضية هى : أن كتاباً، حاول ، بحث حقق، واجتهد، ليقدم للناس كتاباً ، جادا وشيقاً ... وهذا هو المهم !

كتب

المرأة .. التى أحبها عبد الناصر ! *

** (بقلم : محمد العزبى)

القادة السياسيون عادة، وبصفة خاصة، أصحاب الصفات الجاده .. لا يعرف عنهم شيئا سوى تلك الصورة التى يظهرون بها فى الحياة العامة .. آما حياتهم الخاصه، كأشخاص عاديين، فإنها تظل فى طى الكتمان، حتى يموتون، أو يتركون مناصبهم .. وعند ذلك الحين يبدأ أصدقائهم واعداؤهم، فى الادلاء بالاحاديث الصحفية، أو فى نشر الوثائق والاسرار التى تكشف هذه الجوانب الخفية من الحياه الخاصه للقاده والرؤساء.

الاصدقاء يكتبون الحكايات وينشرون الوثائق التى تؤكد طيبة قلب الزعيم السابق .. وكيف كان يغضب، مثله.. مثل باقى البشر.. وكيف كان يبدى حنانه، وطيبته مع الناس البسطاء المحيطين به .. أما الأعداء ، فينهجون منهج عكس ذلك تماماً .

وعلى مدار حياة كل زعيم تجد له أعداء، وأيضاً تجد أصدقاء .. وكذلك كان ناصر .. وتلك هى الحياة وقوانينها .

واليوم نرى المقالات والتحقيقات والكتب السياسية التى تنشر، تعبر إما عن الاخلاص لناصر، أو تهاجمه .. وبالطبع فإن بعض هذه « المواد » الصحفية، حقيقى .. وبعضها « غير » حقيقى .

ومنذ وفاة عبد الناصر فى سبتمبر ١٩٧٠، والإهتمام بحياته «الخاصة جداً».. لم يتوقف.. وسبب هذا الاهتمام هو أن ناصر كان يحيط حياته الخاصه بالسرية التامه طوال مدة حكمه. حيث كان من النادر جداً أن تظهر زوجته فى الحياه العامه، وكان من النادر -أيضاً- ان يسمح بنشر صورها فى الجرائد. ذلك لأن ناصر كان «محافظاً جداً» فى حياته الخاصه والعائليه، وبتعبير آخر اكثر تحديداً.. كان ناصر « صعيديا ».. ولد وعاش فى صعيد مصر، ووعى عادات «الصعايده» وتقاليدهم الاجتماعية .

وفى يوليو .. وبالتحديد فى ٣١ يوليو سنة

---

* مجلة «كل الناس» صفحة (٢٦) - فى الاثنين ٤ سبتمبر ١٩٨٩ .

** كُتبت هذه المقالة بالإنجليزية .. وقد ترجمها إلى العربية : الأستاذة «سميرة المنياوى» المحامية .

١٩٨٣ . كتب « صلاح منتصر » صاحب العمود اليومى فى جريدة الاهرام أن « الدافع الحقيقى وراء قيام ناصر بالغاء الباشوية، وإصدار قانون الاصلاح الزراعى ، وتخفيض الملكية الزراعية، لم يكن حبه فى العداله والمساواه .. وإنما إنتقاماً من طبقة اجتماعية، هى طبقه البشوات، التى ينتمى إليها أحد الباشوات الذى أهان عبد الناصر ورفضه، عندما تقدم ناصر للزواج من إبنته » !!!

وطبقاً لرواية صلاح منتصر « كان لهذا الباشا الذى لم يذكر إسمه ! - إبنه فاتنه شقراء .. إعتادت الذهاب إلى إحدى المسارح مره كل اسبوع، وفى إحدى المرات رآها ناصر صدفه، فأحبها .. وكان ينتظرهذا الموعد الاسبوعى ليستمتع برؤيتها .. لكنه لم يبح لها إطلاقاً بحبه » !!

وكتاب « المرأة التى أحبها عبد الناصر » لمؤلفه الكاتب الصحفى شفيق أحمد على الذى نعرض له على هذه الصفحات، هو محاولة عاقلة ومنطقيه تؤكد أن حكاية صلاح منتصر واستنتاجاته هى محض افتراء.!!

ولكشف عدم صحة رواية "صلاح منتصر" وكذبها ذكر مؤلف الكتاب الاسم الحقيقى للفتاة الشقراء الجميلة التى جذبت ناصر ونشر الخطابات التى كتبها عنها عبد الناصر بخط يده وأرسلها لأحد أصدقائه .. وأعاد أيضاً نشر النعى الذى نشر في جريدة " الأهرام" القاهرية ، يوم وفاة هذه الفتاة ، بعد أن شطب المؤلف بخط يده اسمها الأول احتراماً لحرمة الموتى، ليثبت أن والدها لم يكن باشا ، وأنها من أسرة متوسطة بسيطة ، وأن كل أقاربها الذين جاءت اسماؤهم فى النعى المنشور، كلهم أشخاص عاديون جداً.. وليسوا من طبقة البشوات كما زعم صلاح منتصر .. !

بعد ذلك أثبت أيضاً المؤلف الكاتب شفيق أحمد على، كيف انتهت هذه القصة الرومانسية القصيرة، عندما اقتنع ناصر بوجهة نظر والدة الفتاة، التى قالت بأن ابنتها ، وفقاً لتقاليد تلك الأيام، لا يمكن أن تتزوج منه أو من غيره قبل زواج شقيقتيها الكبرتين.. وبعدها بأكثر من أربع سنوات، تزوج ناصر من السيدة تحية كاظم ، التى غدت المرأة الوحيدة فى حياته، المرأة الوحيدة التى أحبها حباً حقيقياً.. والنتائج التى توصل إليها مؤلف الكتاب، تتفق مع أخلاقيات عبد الناصر، باعتباره رجل عائلى محافظ، وأيضاً باعتبار أن ناصر لم يعرف عنه من قبل، أو فى أي وقت من الأوقات أنه رجل "ألعبان" .!!

نقطة واحدة فقط ، أغفلها الكاتب ، وكانت سوف تزيد من قوة حجته ، وهى طبيعة طفولة وشباب ناصر .. خصوصاً وأنه مر بفترات عصيبة جداً جداً فى طفولته بعد وفاة والدته .. وأيضاً فى شبابه المبكر ، وعندما التحق بالكلية الحربية ، التى اعتادت فى ذلك الوقت أن تقبل فقط أبناء الأسر الثرية .. والمرموقة اجتماعياً .

■ عيون .. عيون .. عيون ■

"كيد النساء" على كل لون !*

(بقلم : محمد العزبى)

التهمت بعيونى كتاب « المرأة التى أحبها عبد الناصر » وهو احد الاسرار الخاصة النادرة فى حياة الزعيم ولقد اشفقت على « شفيق احمد على » مؤلف الكتاب من اصدقائه ورفاق فكره الذين يقولون له « صبأت » أما الاعداء فهو كفيل بهم وهم يقولون " ولا سر ولا حاجة ابحث عن المرأة الثانية التى تزوجها جمال عبد الناصر .. وتبدأ الحواديت .

---

* جريدة «الجمهورية» - الصفحة الثامنة - فى الخميس ٢١ سبتمبر ١٩٨٩ .

عبد الناصر .. عاشقاً*

(بقلم : يوسف القعيد)

هذا الكتاب ظلمه عنوانه كثيرا والعنوان الوحيد الذى يمكن ان يكون مطابقا لهذا الكتاب، لابد وان يدور حول انسانية عبد الناصر، او الجانب الاخر من عبد الناصر ، وهو الجانب الذى لم يعرفه أحد من زمن حكم عبد الناصر، باعتبار ان الرجل كان مسئولا فى مرحلة تاريخية هامة. ليس من تاريخ مصر، ولكن من تاريخ الأمة العربية كلها والعالم الثالث .

وبعد رحيله عن عالمنا . بدأت الحملات الظالمة ضده فى الليل والنهار . وهذه الحملات هدفها الرئيسى هو تشويه الرجل . والقاء اكبر قدر من التراب فوق وجه هذه التجربة .

على الجانب اخر كانت هناك كتابات مخلصة تحاول الاقتراب من عبد الناصر الانسان . منها كتاب هام لأمين هويدى . الذى عمل فترة من الوقت مع عبد الناصر عن قرب . لكن مشكلة كتاب امين هويدى انه يكتب عن عبدالناصر ، الذى كان رئيسه فى العمل لفترة من الوقت ، لدرجة ان هذه الرئاسة وقفت حائلا دون الاقتراب الحميم من عبد الناصر ،وان كان امين هويدى قد عمل بالقرب من عبد الناصر ولذلك نشأت الهيبة، والمسافة النفسية .

لكن شفيق احمد على لم يعمل مع عبد الناصر أبداً. ولذلك نجد فى هذه المفارقة الفارق الجوهرى . أمين هويدى نظر الى عبد الناصر باعتباره بطلا من الابطال الذين يحركون احداث التاريخ . أما شفيق احمد على فقد نظر الى عبد الناصر باعتباره انسانا. قبل ان يكون بطلا وتلك نظرة تعطى الكاتب الفرصة للاقتراب اكثر من البطل.

كتاب شفيق احمد على عنوانه الرئيسى هو «المرأة التى أحبها عبد الناصر» ومعه عنوان آخر تفسيرى هو : «أسرار وخطابات بنت الباشا التى لم يتزوجها» .

وهذا الكتاب ليس كتاب شفيق احمد الأول كان كتابه الأول عن سعد ادريس حلاوة . البطل المصرى الذى لا يعرفه كثيراً من المصريين . وهو الشاب الذى أخذ موظفى مجلس قريته رهينه. فى الوقت الذى كان إلياهو بن اليسار، أول سفير للعدو الصهيونى فى القاهرة، يقدم أوراق اعتماده الى انور السادات وكان مطلب سعد حلاوة بسيطا، أن يرحل سفير العدو فوراً من القاهرة . وحتى يتحقق مطلبه، بدأ فى اذاعة خطب عبد الناصر، وما أن علم السادات بذلك ، حتى طلب من نبوى اسماعيل وزير الداخلية الشهير ان يرسل هذا الفتى الى عبد الناصر فورا.

وهكذا كان سعد حلاوة أول شهداء المعاهدة المصرية الاسرائيلية وبعد أن أتم نبوى اسماعيل مهمة القتل هذه نشرت صحف ذلك الزمان فى صدر صفحاتها . أن الشاب يعانى من خلل عقلى وانه مجنون { أليس غريب، انه قيل عن سعيد سيد بدير انه يعانى من مرض عقلى بعد ذلك بسنوات ، شهيدان، والقضية واحدة }

كتاب شفيق احمد على عن سعد حلاوة، هو المحاولة الوحيدة لتخليد بطولة هذا المصرى . الذى قدم عمره فى زمن كان من الصعب ان تكتب عنه فيه ومن المستحيل ان تذكره .

وكتابات شفيق احمد على تحيى مرة أخرى متعة القراءة . يشعر الانسان بسعادة حقيقية وهو يقرأ له . ومشكلته الوحيدة . انه يقلل من كتاباته . وان هذا الاقلال يصل الى حدود المشكلة الحقيقية . مع أن هناك الكثير مما يمكن قوله خصوصاً وان ما يكتبه شفيق احمد على يقف فى منتصف المسافة تماما . ما بين الادب والصحافة . يأخذ من الادب جمال الكلمة، وعذوبة الصياغة والشكل الفنى للكتابة . ومن الصحافة تلك السهولة فى التناول وذلك الجرى واللهاث وراء الحدث .

وما يربط بين كتاب شفيق احمد على الاول . وكتابه الثانى شىء جوهرى . الكتاب الاول عن بطل

* مجلة «الأهرام الاقتصادى» - الصفحة (١٢، ١٣) فى الاثنين ٢٥ سبتمبر ١٩٨٩ .

ناصرى يشكل أو بأخر بطل مصرى بسيط . جاء فى زمن اختفت فيه كلمة "لا"من سماء الوطن. وكتابه الثانى عن انسانية الرجل الذى علم الاجيال . كيف تقول «لا» هذه .

ولكن الكتاب الثانى لشفيق احمد على مشكلة فى حد ذاته . ومشكلته هذه المرة مع الناصريين وليست مع الذين يعادون عبد الناصر، فالبعض منهم يتساءل : لمصلحة من يصدر كتاب عن غراميات عبد الناصر . خصوصا فى مواجهة كل هذه الحملات ضد عبد الناصر ؟ والاهم من هذا كله . ان مثل هذا الكلام ينشر ورفيقة عمر عبد الناصر، السيدة تحيه كاظم مازالت على قيد الحياة . وابنه البكر مقصى عن الوطن المصرى . ومطلوب محاكمته بسبب دورة فى ثورة مصر .

ان الخيط الفاصل بين التشهير بعبد الناصر ، والدفاع عنه ، يبدو خيطا رفيعا لدرجة انه يكاد لا يرى، وعندما تعرف ان كثيرين من الذين يتصدون للعمل العام فى مصر ، والناصريون جزء منهم ، يتصدون للعديد من القضايا بصورة شفهية أى بدون قراءة وبمجرد السمع فقط . ستعرف مدى صعوبة الموقف الذى يقفه شفيق الان .

على ان كتاب شفيق احمد على شىء وعنوانه شىء آخر تماما فعلى الرغم من العنوان حول قصة حب عبد الناصر، الا ان الكتاب هو افضل صورة تقدم حتى الان لانسانية عبد الناصر من خلال عدد كبير من التفاصيل الصغيرة وغير العادية . من خلال أهل عبد الناصر واقرب الناس اليه .

والحادثة التى حركت شفيق لكى يتحرى الامر، ما قيل من ان عبد الناصر ، كان يحب ابنة باشا من الباشوات وتقدم لخطبتها ولكن الباشا رفض عبد الناصر ، ابن الفلاحين . مما سبب لدى عبد الناصر حالة من العقدة النفسية فكانت حربه الرهيبة ضد الاقطاع والباشوات والبكوات وكأن الرجل قد قاد الحرب التى قادها . بسبب ثأر شخصى .، مع انه كان يقود ثورة المساكين والغلابة فكان يحاول الاستجابه لروح مصر ، اكثر من كونه ينتقم من باشا رفض ان يزوجه ابنته .

وكون عبد الناصر يحب ، وفى صدره قلب ، وله مشاعر انسانية . فهذا كله يحسب له . ولا يمكن ان يحسب ضده وان اخذ باعتباره ضد الرجل فتكون المسألة نوع من تصيد الاخطاء ... فالرجل بشر . والبشر هم البشر فى كل زمان ومكان . ومن حق كل انسان ان تكون له حياته الخاصة .

ومع هذا فان قصة الحب هذه كانت مجرد مدخل بالنسبة لشفيق احمد على دخل منه الى عالم عبد الناصر الانسانى حيث تجول فى حياته منذ ميلاده وحتى رحيله عن عالمنا . وهو لم يقدم دراسة كتبها من مكتب مغلق ولكنه تجول فى كل مكان عاش فيه عبد الناصر وقابل كل شخص كانت له اى صلة بعبد الناصر وناقشه واستمع اليه وقدم فى النهاية صورة حيه صادقة للرجل من خلال الذين عاشو معه عن قرب وهذه الصورة تقول عن عدل عبد الناصر وانسانية عبد الناصر مالم تقله الكثير من الكتابات الأخرى . خاصة تلك الكتابات التى كانت تقدم كلاما كبيرا عن عبد الناصر والناصرية .

وانزعاج بعض العناصر الناصرية من هذا الكتاب موقف طبيعى فيبدو أنهم مازالوا ينظرون الى الرجل باعتباره المعبود والمعبود لا يحب وتلك نظرة رومانسية مضحكة فانسانية عبد الناصر كانت حجر الزاوية فى ثورته العملاقة . لقد فهم هذا الرجل مصر لانه كان انسانا مصريا بسيطا ولم يتعامل مع الواقع انطلاقا من ارض الزعامة والبطولة والقيادة .

بعد هذا الكتاب الجيد من شفيق احمد على اطالبه علنا وعلى رؤس الأشهاد بأن يبحث امرين من أمور عبد الناصر الأول : دور عبد الناصر كوزير ومن المعروف انه عمل فترة من الوقت وزيرا للداخلية وفترة أخرى من الوقت وزيرا للاشغال العمومية (وزارة الرى الآن) ومن المؤكد ان تجربة عبد الناصر فى العمل وزيرا مسألة هامة ، ان فيها بذور قدرته على العمل الادارى وجنين قدراته من العمل الوطنى.

الموقع الثانى الذى مازال يحيطه الغموض ولا يحب كثيرا من الناصريين الخوض فيه هو قضية اختياره لأنور السادات نائبا له فى أيامه الاخيرة .

من المؤكد ان الرجل عندما اقدم على هذا الاختيار لم يكن يعبث وكان يتخذ قرارا هاما ومع هذا فان ما يدور حول هذا القرار لغط كثير .

وعلى الرغم من أن كثيرين من الذين عاصروا هذه الفترة مازالوا بيننا الا ان الكل يلتزم الصمت التام وهذا الصمت محير بدون حدود وقبل ان يرحل الذين يعرفون ونضطر الى التخمين وان تضرب اخماسا فى اسداس فها هى الفرصة سانحة من اجل الوصول الى الحقيقة فى هذا الموضوع الهام ...

دخلت مستشفى المجانين ! *

(بقلم : إسماعيل يونس)

كاتب كبير راحل كتب في احد كتبه ان سبب قيام ثورة ٢٣ يوليو امرأة هي زينب الوكيل حرم النحاس بما ارتكبته من مهازل .. وكاتب موجود الآن كتب ان سبب قيام الثورة هو حقد عبد الناصر على الباشوات لانه كان احب بنت باشا وأراد ان يخطبها فطرده الباشا من قصره ..

والقصتان كاذبتان ، لان قيام الثورة كان طبيعيا واعمق من ذلك .. الكاتب الشاب شفيق احمد على له كتاب عن قصة « المرأة التى أحبها عبد الناصر » بخط عبد الناصر نفسه لصديق له .. ولم تكن بنت باشا او بك .. بل فتاه عادية من الطبقة المتوسطة .. متى يكف بعض الكتاب عن هذا النفاق ...!!

* جريدة «الأخبار» – الصفحة الأخيرة – فى الاثنين ٢٥ سبتمبر ١٩٨٩ .

الجانب العاطفى لزعيم صارم الوجه

حقيقة المرأة التى أحبها عبد الناصر*

(بقلم : خيرى شلبى)

من هى الفتاة التى أحبها ؟! حتى هذا الجانب الإنسانى والشخصى من عبد الناصر لم يتركوه – أو يتركوا صاحبه – دون تزييف وتشويه .. ردوا ثورته على الظلم وإصداره لقانون الاصلاح الزراعى إلى عقدة دفينه فى نفسيته حين أحب شقراء بنت باشا وماطلش !

وانبرى صديقه منذ أيام الطفولة المستشار حسن النشار ليواجه التزييف. ويشرح اصل الحكاية والفتاة التى أحبها فعلا عبد الناصر.. وإذا بجوهر الحقيقة يتضح فى جلاء، وعطر تلك السنين يعبق فى الافق .

فى صباح ٣١ يوليو سنة ١٩٨٣، وفى مناخ الاحتفال بعيد الثورة كتب الصحفى صلاح منتصر فى جريدة الاهرام القاهرية مقالة قال فيها بالحرف الواحد إن : « عبد الناصر فى الوقت الذى بدأ فيه مؤيدا للديمقراطية، ولا ستمرار الأحزاب ، وتسليم الحكم للحزب الفائز بالأغلبية . وهو بالتأكيد موقف ديمقراطى .. فإن عبد الناصر نفسه عندما صوت مجلس قيادة الثورة ضد رأيه، مجمعاً على اختيار الديكتاتورية أسلوباً للحكم .. فإنه قد اتخذ موقفاً غير ديمقراطى تماماً .. واعتزل فى بيته ، حتى اضطر

* مجلة « أسرتى » الكويتية – الصفحات ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ – فى السبت ٣٠ سبتمبر ١٩٨٩ .

زملاؤه إلى تغيير رأيهم والانحياز إلى الديمقراطية»!
وهذا بالطبع كلام ليس له أقدام يقف عليها ، ويمكن اعتباره مجرد مشاركة فى حملة التشويه والتلويث التى انهالت على عبد الناصر بعد موته تطعنه فى شرفه ومبادئه ووطنيته، لصالح زعيم آخر لا يملك من مقومات الزعامة الحقيقية شيئاً . وهى حملة شارك فيها الصغار والكبار بروح عدوانية شرسة ، وتطوع كل من هب ودب فأدلى بشهادات ومذكرات تحاول طمس الحقائق والتعمية وغسيل مخ الاجيال الجديدة ، والإيقاع بها فى بلبلة تتناقض مع ما يدرسه تلاميذ المدارس من دروس فى تاريخ مصر المعاصر ، وقد حقق هولاء وأولئك ثروات طائلة من وراء هذ المفتريات والفبركات المغرضة، وحصلوا على أكبر المناصب ، أقول إن الفقرة السابقة التى قرأناها لصلاح منتصر تدعو إلى السخرية أكثر مما تدعو الى شيء آخر، ويمكن التغاضى عنها تماماً كأنها لم تكن، ولكن الذى يغيظ حقاً، ويثير حنق القارىء العاقل الحريص على الموضوعية . هو قوله فى نفس المقال فى فقرة تاليه ، وبالحرف الواحد إن عبد الناصر ألغى الرتب والألقاب وأصدر قانون الاصلاح الزراعى لأسباب شخصية محضة ترجع إلى عقدة دفينة فى نفسيته .

ففى رأية أن :«عبد الناصر كانت لديه عقدة خاصة من باشوات الأحزاب، وبسبب هذه العقدة فإننا نلحظ أن اول قرار اصدره مجلس الوزراء برئاسة على ماهر بعد طرد الملك فاروق، كان هو قرار إلغاء الألقاب والرتب المدنية. ولقد كان من الممكن تقبل هذا القرار، هو او قانون الاصلاح الزراعى فى أطار فلسفة فلقد كان صدور قانون الإصلاح الزارعى بالسرعة التى حدثت، يعتبر شيئاً يسترعى الاهتمام والتفكير» .

وهنا ينبغى علينا ان نلغى عقولنا لكى نصدق هذا الكلام الساذج. فعلينا أن نقتنع بأن البلاد لم تكن فى حاجة إلى شيء من مثل هذه القرارات الثورية، وأن البلاد لم تكن على مشارف حرب أهلية بسبب التفاوت الحاد فى الدخول وانتشار الفقر والجهل والمرض والرشوة والفساد وغير ذلك مما جاءت الثورة تمثيلاً لردود فعله . يتعين علينا أن ننسى كل هذا، لعلنا نفهم المعنى العميق الذى يشير إليه الصحفى وراء مثل هذا القرار وهذا القانون ، ذلك الذى يعتبر شيئاً يسترعى الاهتمام والتفكير، أو لعلنا نفهم طبيعة هذه العقدة الخاصة التى كانت لدى عبدالناصر من بشوات زمان .

على أن صلاح منتصر لا يترك لنا مجالاً للتكهن، بل يدخل مباشرة فى قلب الموضوع، إذ يقول : « حكاية سمعتها عن قصة حب من طرف واحد هو جمال عبد الناصر، وفتاة شقراء الشعر، تنتمى إلى اسرة من الباشوات ، وكان من عادة هذه الفتاة أن تذهب كل يوم أربعاء الى سينما ديانا حفلة الساعة الثالثة بعد الظهر، عندما كانت دور السينما تقوم بتغيير أفلامها فى ذلك الوقت من كل اسبوع .. وكان جمال عبد الناصر حريصاً على أن يكون دائماً على باب السينما كل يوم أربعاء انتظاراً لرؤية الفتاة التى أحبها فى صمت . ثم حدث بعد ذلك ان تقدم جمال عبد الناصر إلى والدها طالباً الزواج من ابنته . ولكن الأب ثار عليه، وربما طرده من المنزل، إذ كيف يجرؤ من فى مثل فقره، وسمار بشرته، أن يتقدم للزواج من ابنة الباشا شقراء الشعر » !!

ولكن، اين سمع هذه الحكاية وممن ؟ يقول : «أستطيع بعد أن رويت هذه الحكاية التى ربما تكون قد ذكرت لأول مرة فوق الورق ، أن أضع يدى فوق القرآن الكريم، وأقسم عليه أننى سمعت هذه الحكاية من الأستاذ محمد حسنين هيكل فى خلال السنوات الأولى من الثورة ، وأننى لم أكن وحدى الذى استمع إليها، ولكن كان هناك زملاء آخرون موجودون حتى اليوم ، وكنا جميعا نضع أقدامنا على أول سلالم العمل الصحفى فى مجلة آخر ساعة التى كان يرأس تحريرها الأستاذ هيكل » .

ولكن الحقيقة تتضح

هذه القصة لفتت نظر الكثيرين ، اعتبرها اعداء عبد الناصر نقطة سوداء فى حق الزعيم الخالد ربما خففت من حجم خلوده، ولكن معظم أبناء الشعب المصرى والعربى اعتبرها نقطة سوداء فى حق الصحافة المصرية نفسها، لأن إشاعة ترهات كهذه بغير دليل مادى قوى يعتبر نوعاً رخيصاً من الشوشرة وتلطيخ سمعة الراحلين . وانبرى الكثيرون للرد على هذه الفرية ولكن العقلاء منهم رأوا ضرورة تجاهلها ، ومن بين الذين اقتنعوا بضرورة الرد عليها وتوضيح حقيقتها المستشار الأستاذ حسن النشار، الذى كان صديقاً صدوقاً لعبد الناصر منذ الطفولة حتى النهاية ، ويعتبر شقيقاً له فى الرضاعة، إذ أن أم حسن النشار قد أرضعت عبد الناصر ذات يوم على محطة السكة الحديد فقامت بين الأسرتين صداقة حميمة خاصة أن رب كل من الأسرتين كان يعمل فى نفس المجال .

وهكذا قام الأستاذ حسن النشار بإرسال رد إلى الجريدة لكنها أحجمت عن نشره، وفكر الأستاذ فى إقامة الدعوى لكنه رأى عدم جدوى ذلك فسلم أمره لله وسكت .

ومرت الايام وجاء صحفى هو شفيق احمد على ليجرى حواراً مع المستشار حسن النشار حول صداقته لعبد الناصر بمناسبة عيد الثورة فإذا بالنشار يكشف

له حقيقة هذه المرأة التى أحبها عبد الناصر ولم يتزوجها، ووضع امام الصحفى كل الخطابات الشخصية التى كان يرسلها له عبدالناصر بخطه أيام الشباب وفيها كل أسراره، فإذا بجوهر الحقيقة يتضح فى جلاء تام، وعطرتلك السنين يعبق فى الأفق، وإذا بالصحفى يقيم من هذه الخطابات الشخصية واحدا من أهم الكتب التى تقدم شهادة دامغة تفسر شخصية عبد الناصر كما لم تفسرها شهادة من قبل . وإذا نحن أمام شخصية عبد الناصر الجلية كأننا نراها لأول مرة .

ولربما كان كاتب هذه السطور يقف موقفا مضادا من كثير من نتائج ثورة يوليو السلبية،

ولكن المبادىء البديهية للأخلاق تفرض علينا أن نقف مع الحقيقة أينما ظهرت .والواقع أننا نلمس من خلال هذه الخطابات الشخصية ملامح شخصية طموحة على درجة كبيرة من النبل والإنسانية والشجاعة وحب الناس وتقدير البسطاء وتقديس القيم الشريفة إلى حد الرومانسية أحيانا .

أبسط دليل على ذلك أنه يؤاخى الإنسان الذى رضع هو من ثدي أمه ويظل وفيا له طول عمره فلا يتغير ولا يتبدل . وربما كان فى قصة هذه السيدة التى أحبها دليل آخر، ذلك أنه حينما قرأ فى صفحة الوفيات فى جريدة الأهرام نبأ موت هذه السيدة - وكان وقتها رئيساً للجمهورية ملء سمع وبصر العالم أجمع - وضع النظارة السوداء على عينيه، وفى الخفاء استقل سيارته الخاصة، وتسلل كأى شخص عادي، ليمشى فى جنازتها مع المشيعين، وفعلاً، مضى بسيارته خلف موكب الجنازة مسافة كبيرة ثم ارتد عائداً إلي منزله .

ولكن ما حقيقة هذه السيدة ؟ لابد من الإشارة إلى أن الصحفى سأل محمد حسنين هيكل عن هذه القصة فأنكر تماماً أنه روى شيئاً كهذا فى أى يوم من الأيام، خاصة ان علاقته بعبد الناصر ترجع إلى ما قبل الثورة بأيام قليلة، أى أنه لم يكن يعرف شيئاً عن شباب عبد الناصر.

أصل الحكاية

الحقيقة كما يرويها المستشار حسن النشار من واقع الذكريات المشتركة والخطابات والصور، هى أن السيدة « س.ص » لم تكن ابنة أحد الباشوات أو البكوات أو حتى الأفندية، إنما كانت ابنة رجل عادي ينتمى لأسرة من الطبقة المتوسطة لا يزيد مستواها فى كثير أو قليل عن مستوى أسرة عبد الناصر أو أسرة النشار . وكانت « س.ص » زميلة لأخت حسن النشار - وأسمها همت - فى مدرسة واحدة، وكانت تربط بين الفتاتين، إلى جانب الزمالة، صداقة .

ولأن عبد الناصر كان صديقاً للنشار، وكانت أم حسن النشار تحنو عليه بعد وفاة والدته، فقد كان يتبادل الزيارات مع صديقه، ويبثه همومه ومشاكله، التى تتعلق كلها بوضعه فى بيت عمه، وبوضع أشقائه الليثى وشوقى وعز العرب، خاصة بعد أن تزوج أبوهم بسيدة أخرى وأنجب منها أبناء آخرين .

وفى إحدى الزيارات لمنزل صديقه رأى الفتاة « س.ص » ففتن بها من بعيد لبعيد ، ولم يستطع أن يخفى أمر افتتانه عن صديقه وكان ذلك فى عصر يوم ٢٨ مايو سنة ١٩٣٩ حينما تلقى حسن النشار خطاباً بخط جمال عبد الناصر يقول فيه :

عزيزى حسن ..

أبلغك سلامى وأرجو ان تكون بخير وماشى فى الامتحان زى الجدع.. لم ارك من مدة طويلة ولا اعرف للآن هل هذا ذنبى ام ذنبك ام ذنبنا نحن الاثنين.. زى ما تشوف..

وقد سمعت من عبد الرؤوف جبريل انك متأثر وزعلان لخلف الميعاد ولكننى احب ان اقول لك : الغى كل ما يدور بخلدك ..

فى هذا اليوم كان تأخرى بسبب حضور عمى وعبد الرؤوف - كان مدير لمكتب عبد الناصر - فى الميعاد، واظنك ستستغرب إذا قلت لك انى لم ارى عبد الرؤوف من يوم شم النسيم لا مرة واحدة وسأقول لك يا استاذ عن السبب ويمكن تكون عرفته بالتخمين .

اظننى قلت لك بأننى عزلت الى شارع زغلول رقم (١) بالظاهر .. وبينما كنت اتجول فى احد الأيام وجدت « سعدية هانم » وطبعا أظنك تقدر تعرف ايه اللى جرى لى فى تلك الساعة، ومن يومها وانا ابحث عن منزلها فى الظاهر، حتى عثرت عليه اخيرا، بعد جهد وهو يقع فى شارع الخليج امام سينما فيكتوريا .. وبما انه عندى عمل بعد الظهر فى يومى السبت والثلاثاء فاننى امتع نظرى باقى ايام الاسبوع ويشهد الله باننى لم احاول تتبعها ولا معاكستها حتى انزه نفسى عن عبث الشباب الحديث وحتى لا يقال عنها القيل والقال، واظن ان هذا يا استاذ هو ما عاقنى عن السؤال عنك.. ولا مؤاخذة، وان شاء الله اقابلك قريباً، وتشوف مين فينا يغلب الثانى ويجيب الحق عليه .

وقد سألت عنها فعرفت انها فى مدرسة الفنون الطرزية بشبرا وان لها اختين اكبر منها، وأنها لا يمكن زواجها إلا بعد زواجهما .

وانى اعمل كل جهدى الآن حتى انقل لمصر وعشمى ان يصلنى منك جواب على سلاح الاشارة . قريبا وان شاء الله بعد الامتحان بتاعك ساضايقك من الزيارات .. سلامى الى الست الوالدة والسيد

الوالد والأخوة طبعا .. وتقبل سلامات وقبلات .

« جمال عبد الناصر »

تلك هي قصة السيدة « س.ص » التي أحبها عبد الناصر في مطلع شبابه وهو ضابط صغير بالقوات المسلحة، وليس هناك أي تفاصيل أخرى معلنه أو خفية ، فيما عدا الخطوة التي اتخذها عبد الناصر ليؤكد بها صدق نواياه وشرف موقفه .

فعلى الرغم من أنه سمع بحكاية أختيها اللتين لابد أن تتزوجا قبلها تبعا لتقاليد أهلها، فإنه قرر التقدم لها لكي يسد في نفسه ثغرة الندم فيما بعد.. وكان يعلم أن الصداقة التي تربط بين فتاته وبين همت أخت صديقه حسن، يمكن أن تكون باباً شرعياً يسلكه إلى فتاته ليقنعها بالزواج . وهو في الواقع لم يكن مصرا على الزواج منها دون غيرها، ولو كان الأمر بيده لتقدم للزواج من همت أخت صديقه، لكن همت محرمه عليه بحكم الأخوة في الرضاعة . فليجرب حبيبة قلبه التي افتتن بها .

وهكذا ذهبت أم حسن النشار إلى أم الفتاة «س. ص » لكي تخطبها للملازم جمال عبد الناصر، ففوجئت بأن الأسرة لا يمكن أن تزوج البنت الصغرى قبل أختيها مهما كانت الظروف والأسباب ومهما كانت رتبة العريس . وكانت أم الفتاة في حقيقة الأمر مرحبة بهذا العريس ولكن بدون أن تخترق قانون العائلة، فألمحت إلى أم حسن النشار أن الأختين الكبرتين يمكن ان تكونا عروسين لولديها حسن واخيه، لولا أن حسن وأخاه على كانا طالبين ولا يستطيعان فتح بيت .

وحاولت « نينه وهيبة » - أم حسن - أن تبحث له عن عروس من بنات اقاربها، كذلك حاول عبد اللطيف البغدادي أن يزوجه من شقيقة زوجته، لكن جمال لم يرتح لهذه الطريقة، ورجاهم أن « يتركوها للظروف » . وقد جاءت هذه الظروف فعلاً، حينما تعرف الزعيم على زوجته الفاضلة، التي كانت شقيقة لأحد أصدقائه، ثم تزوجها، ليقضي العمر كله وفيا لها ولأبنائه من يصل لناظر المدرسة ؟

ولنقرأ معا هذا الخطاب الذي كتبه لصديقه إبان تلك الفترة التي كان عليه أن ينشغل فيها بالتفكير في شئونه الخاصة، ومسألة زواجه، لنرى إلي أي حد كان ذلك الشاب يؤثر على نفسه وبه الخصاصة يقول:

« عزيزي حسن ...

« اهديك سلامي الزائد، وأرجو أن تكون بخير..

« ارسل لك جواباً من مدة، ولكن لم يصلني أي رد حتى الان . أنا لازلت بطنطا .. وربما نبقى بها مدة طويلة، إذا لم تقم الحرب بين مصر وإيطاليا... وإلا فإلى الحدود . لقد سبق ان كلمتك في موضوع الليثي حتى يتمكن من ان يدخل المدرسة مجاناً .. وقد قدمنا له طلباً بالمحلة الكبرى - التي يعمل ويقيم فيها عمه خليل - فأرجوا ان كنت تعرف أي شخص يعرف ناظر المدرسة فتكلمه .. خصوصا انه - أي ناظر - منقول من الوزارة واسمه عبد القادر عبد العزيز غالي .

أما مسألة الزواج ، فأظن أنه ليس من المناسب الكلام فيها الآن. . إيه رأيك.. بسبب الحرب والحياة غير المستقرة التي نحن فيها الآن. هل محمد عارف مسافر إلى منقباد.. وفي أي أورطة هو؟

« سلامي إلى الجميع جمال عبد الناصر
الكتيبة الخامسة - طنطا »

عيبي .. لا اعرف الملق

وفي رسالة من جبل الاولياء بالسودان سنة ١٩٤١ يكتب لصديقة شاكيا همومه يقوله :

« ... على العموم يا حسن أنا مش عارف ألاقيها منين ولا منين ... هنا في عملي كل عيبي إني دغري، لا أعرف الملق، ولا الكلمات الحلوة، ولا أتمسح بالأذيال » .

ثم يقول في نفس الخطاب كأنه يتحدث عن عصرنا الراهن :

« ... ولكن الرؤساء يا حسن يسوؤهم ذلك الذي لا يسبح بحمدهم ... يسوؤهم ذلك الذي لا يتملق إليهم .. فهذه كبرياء .. هم شبوا على الذلة في كنف الاستعمار .

« يقولون : كما كنا يجب ان تكونوا.. كما رأينا يجب ان تروا ..الويل ، كل الويل لذلك المتكبر - كما يقولون - الذي تأبى نفسه السير على منوالهم، يعاديه الجميع من تلاميذ العهد القديم .

« ويحزنني يا حسن أن أقول بأن هذه السياسة، نجحت نجاحاً باهراً .. فهم يصهرون نفوس الشبان.. وكلهم شباب لم تصقلهم الايام .. ويحزنني يا حسن أن أقول أن هذا الجيل الجديد ، قد أفسده الجيل القديم، فأصبح منافقاً، متملقاً !

« ويحزنني يا حسن أن أقول إننا نسير إلى الهاوية .. والرياء .. والنفاق .. والملق، ولهذا تجدني في عداء مستحكم ومستمر مع هؤلاء الكبار» .

ومن منقباد يكتب له في فبراير سنة ١٩٣٩ قائلاً :

« نحن نعمل يا حسن تحت رياسة شوية .. أكثرهم أو كلهم يتمنون عودة الاستعمار للسيطرة على الجيش .. كلهم مجردون من الاخلاق ..ربنا مايوريك » .

وحينما حاصرت دبابات الانجليز قصر الملك فاروق وأرغمته بالقوة على أن يتولى حزب الوفد ورئيسه مصطفى النحاس تشكيل الحكومة، يكتب

لصديقه من العلمين فى ١٦فبراير سنة ١٩٤٢ يقول:
« خطابك يا حسن جعلنى أغلى غلياناً . وكنت على وشك الانفجار من الغيظ .. ولكن ما العمل، بعد أن وقعت الواقعة ، وقبلناها مستسلمين خاضعين خائفين !

« الحقيقة أنى أعتقد بأن الاستعمار يلعب بورقة واحدة فى يده، هى ورقة التهديد .. ولو أنه أحس بأن هناك من المصريين من ينوون التضحية بدمائهم، ومن سيقابلون القوة بالقوة .. لانسحب كأى امرأة عاهرة .. وطبعاً هذا حال الاستعمار وتلك عادته !

« أما نحن .. أما الجيش .. فقد كان لهذا الحادث تأثير جدى على الروح والإحساس فيه .. فبعد أن كنت أرى الضباط لا يتكلمون إلا عن اللهو والملذات، أصبحوا يتكلمون عن التضحية ، والاستعداد لبذل النفوس فى سبيل الكرامة .. وأصبحت أراهم وكلهم ندم .. لأنهم لم يتدخلوا - مع ضعفهم الظاهر - ليردوا للبلاد كرامتها .. وليغسلوا عارها بالدماء ... ولكن إن غداً لناظره قريب .

« لقد حاول البعض يا حسن بعد الحادث أن يفعلوا شيئاً بهدف الانتقام .. ولكن الوقت كان قد فات .... أما القلوب فلا تزال كلها غضب ونار.

« عموماً، هذه الطعنة ردت الروح الى بعض الاجساد .. وعرفتهم أن هناك شيئاً سمه كرامة الوطن .. وأن عليهم أن يستعدوا دائماً للدفاع عنها. لقد كان هذا درساً.. ولكنه .. درس قاس » .

تلك كانت بعض هموم ذلك الفارس النبيل الذى أصبحنا نتهمه فى كل شىء، ونلطخه كل يوم، متناسين أننا بذلك نلطخ أنفسنا، ونقضى على أجيالنا بفقدان الثقة فى كل المثل العليا فمتى نتعلم التفكير المنهجى المدروس ؟

حاجة تغيظ

شهادتى فى أزمة "الأهالى"*

(بقلم : شفيق احمد على)

للأستاذ محمود المراغى، فى قلبى، تقدير وإعزاز خاص سأظل احمله له مهما حدث.. ومهما باعد بيننا الآخرون .

وللأستاذ محمود المراغى فى عنقى حقوق كثيرة، أبسطها حق « الشهادة » .. التى لم أتعود كتمانها مهما كلفتنى من مخاطر، ومهما حاول « العجزة » لوى عنقها !!

ذلك لأن ما بينى وبينه الآن من «حزن» او «تباعد» .. يرجع فى سببه الأول والأخير الى اننى كنت أتوهم خطأ ، بأنه راض على نفسه ، وعلى إسمه ، وعلى تاريخه الصحفى أن يكون رئيسا لتحرير جريدة « الأهالى » ولا يملك ان ينشر بها خبراً صغيراً .. دون «موافقة» الاستاذ لطفى واكد!!

والحكاية - باختصار شديد تفرضه المساحة - بدأت حينما طلب منى الاستاذ محمود المراغى فى يناير الماضى ان اخص جريدة « الأهالى » بفصل من كتابى الاخير « المرأة التى أحبها عبد الناصر».. ثم فوجئ امامى بالاستاذ لطفى واكد يرفض النشر ، بدعوى أنه «قد يسىء لعبد الناصر» ، أو يجرح مشاعر السيدة قرينته، فضلا على اننا «دولة اسلامية» ، ولا يصح ان نقول بان عبد الناصر فى شبابه، كان - ككل الشباب!! - يحب زميلته، وينتظرها أمام السينما ، حتى ولو كان عبد الناصر نفسه، هو الذى كتب ذلك بخط يده فى رسائله الخاصة الى احد أصدقائه !!

وقتها، قاطعت الاستاذ واكد قائلا:

انا احرص الناس على مشاعر اسرة الرجل الذى انتمى لفكره ومبادئه .. والحب ليس عيبا ، ليس فقط لان هذه القصه حدثت وانتهت قبل زواجه من السيدة الفاضلة تحية كاظم بخمس سنوات كاملة .. وانما ايضا لأن «العيب» الحقيقى

* جريدة «مصر اليوم» - صفحة (٤) - فى ٢٨ أكتوبر ١٩٨٩ .

- في تقديري - هو هذا الصمت «المريب» على الاكذوبة التي كتبها صلاح منتصر على صفحات الاهرام في ٣١ يوليه ١٩٨٣ مدعيا ان حبيبه عبد الناصر - وهي فتاة عادية من عامة الشعب - بنت باشا، وانه « ألغى الالقاب واصدر قوانين الاصلاح الزراعي لينتقم من والدها الباشا - المزعوم - الذي رفض ان يزوجها له » .! واشهد ان الاستاذ محمود المراغي، كان - يومها - في غاية الحرج، وهو يفند للاستاذ واكد وجهة نظره السياسية والصحفية في أهمية نشر حقيقة هذه القصة المختلقة .. الى الحد الذي قال فيه بانه هو الذي طلب مني نشر القصة الحقيقية في الأهالي ، في اشارة واضحه الى انه، وفي حدود صلاحياته كرئيس تحرير لا يليق به، ان يطلب من احد كتابه شيئا ما .. ثم لا يملك نشره على مسئوليته او مسئولية كاتبه . وانتهى الامر .. باقتراح بإرجاء النشر الى مناسبة صدور الكتاب، بدلا من ذكرى ميلاد عبد الناصر .

ولما صدر الكتاب عاد الاستاذ لطفي واكد ووقف ضد نشر ولو خبر صغير عن صدور الكتاب، سواء كان خبراً محايدا، او حتى خبر يتضمن اختلاف الجريدة مع مضمون الكتاب .. في الوقت الذي كان فيه الكثيرون قد طوقوا عنقي، واحتفوا بالكتاب في صحف ومجلات عديدة مثل الجمهورية ، والأهرام، والأحرار ، والوفد، والأهرام الاقتصادي ، والاذاعة والتلفزيون، وروز اليوسف، وكل الناس، ووكالة انباء الشرق الاوسط ، واسرتي ، والراية القطرية، والاجبشيان ميل ، والوطن الكويتية، وجريدة الاتحاد التي تصدر في ابوظبي !!

أربع عشرة مجلة وجريدة كما نرى... احتفت «بالمرأة التي أحبها عبد الناصر» كل على طريقتها .. وهو ما يعني بأن كتابي لم يكن في حاجة الى «تعطف» الاستاذ لطفي واكد بالموافقة، على نشر خبر صغير أو كبير عن الكتاب.. ولكنه «حقي» على جريدة الأهالي بالذات، الذي تحملت مع غيري شرف المشاركة «الفعالة» في اصدارها ايام الساداات والنبوي اسماعيل.. أيام كان بعض الذين يرتعون او يرتزقون من الاهالي الآن.. لا يجرؤون على السير بجوار المقر الذي تصدر منه الجريدة «!!»

لهذا : كان حزني كبيرا .. فانفجر علنا - منذ شهر ونصف تقريبا - في صالة تحرير الاهالي ، عاتبا وغاضبا من صديقي الذي يعنيني ، وهو الاستاذ محمود المراغي، لأنه لم يستطع ان يفي بما وعدني به .. وقررت - من يومها - عدم المشاركة في تحرير هذه الأهالي ، طالما ظل بها الأستاذ واكد، الذي لم يتخلص إلى الآن من الضابط «الصغير» في داخله .. ويتوهم - فيما يبدو - بأنني «نفر» عنده، ولا يصح أن اراجعه .. خصوصا وان « المستوى » الذي وصلت اليه الأهالي في عصره، يعكس حقيقة « عبقريته » الصحفية التي أهلت سيادته لرئاسة التحرير .. وتعكس ايضا طريقة تعاملة « المنفر » مع الكتاب والصحفيين «!!»

●● اخيرا : يا استاذ خالد محيي الدين ،، يا ايها المناضل البشوش، انا لم اتعود النفاق في حياتي، ولن اتعوده .. ولعل سيادتكم تذكر بانك كنت منذ ثلاث اشهر تقريبا، تحدثني في «منزلكم» عما وصفته « بميزة عبد الناصر الهائلة » .. وهي في رأيك قدرته « الفائقة » على ان « يُجَمِّع الأخرون من حوله » ...

وحزب «التجمع» للأسف يا استاذ خالد«يفرق» ولا يجمع فصائل اليسار .. حزب «طارد» للأسف .. وفصائل اليمين، والسيد احمد ابو الفتح - الذي يناصره الاستاذ واكد على الأستاذ هيكل- واجهزة الامن والعاطلون، والعجزة .. ومحترفو السياسة في جريدة « الأهالي » وفي حزب التجمع، هم فقط المستفيدون من هذا «التفرق» .. فارجوك افعل شيئا للحفاظ على الحزب ..لانك انت الوحيد المؤهل، والقادر على ذلك .. اسأل انت يا أستاذ خالد عن الذين « يفرقهم » الأخرون، واستلهم ميزة صديقك ورفيق نضالك عبد الناصر، الذي تعلم جيدا، كم كان يحبك ويحترمك ... مثلما نحن جميعا بالتأكيد ...

●● وانت يا استاذ محمود المراغي : صدقني .. « الأهالي » في ظل العبقرية الصحفية للاستاذ لطفي واكد ..لن تضيف لك ولن تضيف إليها شيئا .. بل ستنال من «رصيدك» وسيتكرر الصدام .

أرجوك لا تغضب مني.. فانت تعرف كم احبك واحترمك ..لكن، حياؤك.. ودماثة خلقك.. ورقة مشاعرك، لا تنفع في بعض الأمور التي تتطلب من المرء ان يكون حاداً ومحددا وباترا!!. أي: إما ان يثق حزب التجمع في قدرتك السياسية والصحفية، ثقة «كاملة»، وتكون لك وحدك رئاسة التحرير بلا وصاية،ولهم حق المساءلة الحزبية بالطرق الصحيحة.. وهو ما كان يحدث ايام الأستاذ حسين عبد الرازق.

واما انك لست أهلا لكل ذلك .. فاقبل -إذن- العودة فورا للعمل مع الأستاذ لطفي واكد او غيره.. بدعوى . انهم منحوك «المزيد» من الصلاحيات!!

تلك هي القضية .. على رأي هاملت !!

■ صور .. وشهادات ■

١ - زوجة أبيه .

٢ - تحية وعبد الناصر : قصة حب لم تنته بالزواج !

٣ - طبيبه الخاص.

٤ - سبتمبر .. وسبتمبر.

٥ - منتهى الوفاء..!!

٦ - منتهى .. منتهى الوفاء. !!!

١ - زوجة أبيه

هذه صورة عائلية جداً..

صورة لم يرها قبل هذه اللحظة إنسان .. لم ترها كاميرا .. ولم ترسمها فرشاة فنان ..

هذه بالضبط صورة ترسمها الأسماء، ترسمها المواقف.. وترسمها الذكريات وأسرار البيوت..

باختصار هذه صورة للرئيس .. ترسمها «كل عائلة الرئيس» ..

يرسمها الأب والأم والعم وزوجة الأب .. وكل الأسماء التي يزدحم بها «رأس» الكاسيت وذاكرة الصفحات.. أسماء «مثل» الطبل، وأسماء لم تنشر من قبل .. إلافي شهادة الميلا، أو دفتر مأذون، أو «سركي» المعاشات!

● ملحوظة :

لم يقرأ أحد منا مثلاً. في أي صفحة .. بيانات «سركي» معاش العم الأكبر «للرئيس» عبد الناصر . «راجع الوثيقة رقم ١٣ بملحق الوثائق» .

لم يقرأ أحد منا من قبل .. تلك البيانات :

الاسم : سلطان حسين

عنوانه : ١١ شارع بولتين .. بالابراهيمية ..

رقم الربط : ٢٩١١٠٣.

تاريخ وبداية الصرف الدوري : اكتوبر ١٩٧٢.

أما قيمة وبيان كل معاش العم .. فهو بلا حسد أو نم : ستة عشر جنيهاً و٦٧٣ مليماً مصرياً .. بالضبط «!!».

و .. الصورة ترسمها الأسماء.

«١»

اسمي : عنايات مصطفي . «انظر صورتها، وصور أخري نادرة، في نهاية الكتاب».

تزوجت «عبد الناصر أفندي» في مدينة السويس. تزوجته سنة ١٩٣٣ .. بعد أن عاش «أرملاً» في مدينة «الخطاطبة» سبع سنوات .. وزيادة!

في البداية كان متزوجاً من «الست فهيمه» كريمة تاجر الفحم المعروف وقتها. في غيط العنب، الحاج محمد حماد.

تزوجها سنة ١٩١٧ وقت أن كان موظفاً بسيطاً في مكتب بريد «باكوس» بالاسكندرية وأقامت معه في نفس المدينة المنزل رقم «١٢» بشارع الدكتور قنواتي الذي وضعت فيه طفلها الأول «جمال» مساء الخامس عشر من يناير ١٩١٨.

صحيح أن «عبد الناصر أفندي» تعرف علي أسرة الست فهيمه وتزوجها في الاسكندرية.. إلا أنها في الأصل بلدياته، من «ملوي» محافظة المنيا.

وبعد أن انتقل إلي مكتب بريد الخطاطبة : توفيت الست فهيمه هناك ... وتركت لعبد الناصر أفندي . في أبريل ١٩٢٦ - أربعة أطفال هم جمال والليثي وعز العرب وشوقي .. فعاش لخدمتهم بلا زواج سبع سنوات كاملة!

وفي السويس حدث النصيب .. وتزوجته .

ووقتها كان ابنه «جمال» طالباً في السنة الأولي بمدرسة حلوان الثانوية.

● ملحوظة :

المرة الأولي التي رأيت فيها جمال: كانت عندما انتهي العام الدارسي، وحضر إلينا في السويس، ليقضي معنا فترة الإجازة الصيفية. ومع انتهاء الإجازة، كنا - نحن أيضاً - قد انتقلنا من السويس إلي قرية «شبلنجه» مركز بنها، فسافر جمال إلي الاسكندرية، ليلتحق بمدرسة «رأس التين» ويعيش مع جده لوالدته في غيط العنب.

وعندما علم جمال بأن والده انتقل مرة أخري للعمل في مكتب «الخرنفش» بالقاهرة.. ترك الاسكندرية، وعاش معنا في حارة «خميس العدس» .. والتحق بمدرسة النهضة الثانوية بالفجالة.. وظل بها حتي حصل منها علي شهادة «التوجيهية» ودخل

الكلية الحربية، بالقصة المعروفة.

«٢»

يوم «كشف الهيئة» كان زوجي عبد الناصر أفندى يجلس في مكتب بريد الخرنفش قلقاً زائغ العينين. كان يتعجل أن يمر عليه ابنه جمال ويطمئنه علي نتيجة الكشف.

وساعة بعد ساعة ازداد زوجي قلقاً وشروداً علي ابنه.

كان عبد الناصر أفندي يخشي ألا يكون جمال قد نجح هذه المرة أيضاً في كشف الهيئة .. «وعمل في نفسه حاجة».

ولما طال شروده .. سخر منه زميله في المكتب قائلاً :

يمكن بسلامته اتأخر علشان يقيس البدلة «الظباطي» بالمرة..!

وبعد دقائق قليلة .. دخل جمال، فسأله والده :

آتأخرت كده ليه .. ؟!

فرد قائلاً : أبداً يا بابا .. كنت باقيس البدلة !!

هنا قفز «عبد الناصر أفندي» من مقعده صارخاً في زميله :

سامع يا علي يا انصاري !!

وليلتها : لم ينم «عبد الناصر أفندي».. ولا ابنه جمال.

● ملحوظة :

جمال ماكنش مهرج .. ما كنش معفرت . وماكنش يخليك تاخذ عليه .. يعني يخليك تحبه، ويبقي معاك كويس، وشهم وكل حاجة، لكن بطريقة لطيفة يحط لك حد.. علشان ما تنساش نفسك وتاخذ عليه.

كان له هيبة، ودمه حامي، وشخصيته قوية .. عارف الإنسان إللي يقولوا عليه زي الهرم.. هو بالضبط !!

كان دايماً صامت وبسيط ومش متأزم .. وعمره ما يحسسك بحالته حتي لو ماكنش معاه ولا مليم.

قوي، منظم، مهذب، ودائماً يعتمد علي نفسه .. يذاكر من نفسه .. ينام من نفسه، ويصحي من نفسه .. زي ما يكون حاطط جنبه منبه.

عشت معاه في بيت واحد من وقت ما كان في سنة ثانية ثانوي بمدرسة النهضة لغاية ما أخذ التوجيهية ودخل الحربية، واتخرج ضابط!

«٣»

قد تعرفون ان ابني حسين – المتزوج من كريمة المشير عبد الحكيم عامر تخرج في الطيران سنة ١٩٥٨ .. لكنكم قد لا تعرفون بأنني ووالده «عبد الناصر أفندي» ذهبنا قبل تخرجه بثلاثة أيام إلي بيت «الريس» جمال عبد الناصرفي منشية البكري.

وعلي مائدة الإفطار .. قالت له السيده زوجته :

– يا ريس .. أبلة عنايات نفسها تحضر حفلة تخرج حسين .. وبتستسمحك .

فرفع «الريس» رأسه من طبق «الفول بالليمون» .. ونظر ناحيتي قائلاً:

– ما عنديش مانع .. بس حضرتك تقعدي مع أولياء الأمور عادي جداً .. زيك زيهم ..!

وفي يوم التخرج : ذهبنا إلي مكان الاحتفال قبل وصول «الريس» جمال .. وجلست أنا ووالده «عادي جداً» مع بقية الجالسين في الصف الأول من أولياء الأمور .. إلا أننا فوجئنا بالسيد مدكور أبو العز مدير كلية الطيران – وقتها – يقبل علينا مصافحاً وقائلاً :

– حمد الله علي السلامة .. شرفتونا.

ثم مال برأسه نحو «الريس» الذي كان لا يزال يقف قريب منا .. قائلاً:

– سيادتك يا فندم تحب نأمر لحسين بنيشان أو نجمة زيادة .. بمناسبة تشريف الهانم«!!».

وهنا تحول وجه «الريس» من الأبيض إلي الأحمر إلي الأخضر إلي الأصفر إلي كل الألوان في وقت واحد .. وقال غاضباً :

– علشان إيه يا سي مدكور .. هو مش زيه زي بقية زملائه ؟!!

وهنا أيضاً انشقت الأرض .. وابتلعت «سي مدكور» !

● ملحوظة :

ابني الأكبر مصطفي هو الآخر .. حينما حصل علي الثانوية العامة سنة ١٩٥٣، وأراد أن يلتحق بالكلية الحربية .. تصادف أن كان عمره يزيد علي السن المطلوب «بعشرة أيام» .وتصادف أيضاً أن اللواء محمد نجيب كان يريد هو الآخر استثناء عدد من أقاربه، والحاقهم بالكلية الحربية .. إلا أن «الريس» جمال . وهذه واقعة يعلمها كل أعضاء مجلس قيادة الثورة . عارض يومها اللواء نجيب .. ورفض استثناء أي طالب من اللوائح والشروط، حتي ولو كان هذا الطالب «قريباً» للواء نجيب، أو شقيقاً لجمال عبد الناصر .. !!

وبالفعل لم تقبل أوراق أخيه مصطفي في الكلية الحربية، فاضطر إلي أن يلتحق بكلية الشرطة.

وبعد أن انتظم بها سنة دراسية كاملة، رسب - أيضاً - في امتحان نهاية العام .. وهو شقيق الريس «!!».

«٤»

لا أنسي وقت أن أحيل زوجي إلي المعاش .. لا أنسي ولا ينسي بعضكم - أن المليونير المعروف «أبو رجيله» عرض عليه وقتها، أن يعينه بمرتب كبير، عضو في مجلس إدارة إحدي شركاته.

وقتها قال الريس جمال .. لوالده :

- حضرتك يابابا لازم ترفض .. عايزينك عضو مجلس إدارة إزاي وأنت رجل بتاع بوسته وجوابات ؟! دول يابابا عايزين يشتروني من خلالك.

هذا قد يعرفه بعضكم..

أما الذي لا يعرفه أحد : هو أن ابني عادل حينما فاتح شقيقه الأكبر شوقي في سوء حالتنا المادية، ونحن أسرة الريس .. أخبره شوقي بأنه سبق أن فاتح الريس في ذلك، وأن الريس قال له بالحرف الواحد:

- أنا ماعنديش مانع أن مستواكم المادي ينمو ويتحسن بس مع نمو المستوي الاقتصادي للبلد كلها .. وبشرط تعتمدوا علي أنفسكم يعني الناس كلها مستواها ينمو، وانتم كمان مستواكم يتحسن، علشان أنتم مش مميزين عن بقية الناس.

وبصراحة شديدة، لو حد منكم فكر يستغل اسمي أنا مش هارحمه!

ومرة ثانية جمع «الريس»جمال كل أشقائه في حضوري .. وقال لهم أمام والده :

- والزواج كمان .. أنا ما عنديش مانع تناسبوا أي شخص، بس بشرط مايكنش اقطاعي، ولا مفروض عليه الحراسة ولا من اسم من الأسماء الرنانة .. هذه هي المحظورات الثلاثة..

● ملحوظة :

حينما تزوجت ابنتي الوحيدة عام ١٩٦٨، لم يحضر «الريس» جمال فرحها .. وقال لي ولأشقائه بشكل حاسم :

- ما اقدرش احضر الفرح .. وكل بيت فيه شهيد!!

قال لنا ذلك بالرغم من أن النكسة، كانت قد مر عليها عام كامل .. وبالرغم من أنه سبق أن حضر - قبل النكسة - فرح ابني مصطفي وحسين .

وبالفعل تزوجت ابنتي الوحيدة « وعملنا لها » فرحاً محدوداً جداً، لم يحضره الريس ..

وحضره من الضيوف خالد محيي الدين.

«٥»

زوجي عبد الناصر أفندي حسين خليل سلطان، ولد في قرية «بني مر» بمحافظة أسيوط سنة ١٨٨٨ ميلادية، قال لي بأنه تعلم القراءة والكتابة في حجرة صغيرة بناها الأهالي فوق مسجد القرية، وكتبوا عليها «كتاب الشيخ أحمد قراعة».

حصل علي شهادته الوحيدة من مدرسة أسيوط الابتدائية، عمل في نفس المدينة موظفاً صغيراً في مكتب البريد .. كان صغيراً لا ظهر له في الحكومة.. قضي حياته الوظيفية متنقلاً بين مكاتب البريد في أسيوط، وباكوس، والخطاطبة، والسويس، وشبلنجة، والخرنفش.. ومعظم مكاتب بريد القطرالمصري تقريباً ! وحينما أحيل إلي المعاش سنة ١٩٥٤.. قال لابنه «الريس»:

أنا يا جمال يا بني تعبت وكبرت في السن ولسه باركب «الترماي» .. يرضيك كده؟!

فقال له جمال :

– ده فخر ليا وليك يا بابا.. معلش نصبر كمان شوية، لما ربنا يفرجها علينا وعلي البلد كلها!

وفي سنة ١٩٥٨ .. أي بعدها بأربع سنوات كاملة .. «لما ربنا بدأ يفرجها علي البلد كلها» .. اشتري جمال لوالده عبد الناصر أفندي، سيارة صغيرة.. بالتقسيط!!».

وبعد أن بدأت الثورة في فرض الحراسة علي بعض العقارات .. أراد عبد الناصر أفندي أن ينقلنا إلي شقة معقولة تسعنا وتليق بوالد رئيس الجمهورية فقال له ابنه الرئيس :

– من فضلك يا بابا .. ابعدوا عن شقق الحراسة، وشقق الأوقاف واسكنوا . أوعو تيجوا ناحيتها.

وبالفعل : وجدنا منزلاً صاحبته أرملة يونانية مصرية، وغير خاضعة للحراسة، وهذه الأرملة تعيش في منزلها وتؤجر إحدي شققه لشخص أجنبي .. إلا أن هذا الأجنبي أغلق الشقة وترك ما بها من الأثاث وسافر إلي بلاده أثناء حرب ١٩٥٦.. ولما ظلت الشقة مغلقة لمدة سنتين دون عودة الأجنبي فقد استأجرناها من صاحبتها، بعقد ايجار عادي.

● ملحوظة :

حينما دخلت أنا وعبد الناصر أفندي .. هذه الشقة وجدنا بها ثلاجة وسريراً وبوتاجازاً، وسخاناً، ودولاباً وطقم انتريه .. وبعض «اللوازم» الأخري الصغيرة.

ورغم أننا كنا في أشد الحاجة إلي هذه الأشياء، ورغم أن أحداً غيرنا ، لو أنه هو الذي وجد هذا الأثاث ربما «كان نام عليه وسكت».. إلا أن عبد الناصر أفندي ذهب إلي ابنه الريس وأخبره بكل شئ.

وفي حضوره .. قال الريس جمال : ياصديق يا عبد اللطيف .. روحوا اجردوا الحاجة الموجودة في شقة والدي .. وسلموها للحراسه !!

وبالفعل : جاء رجال الحراسة .. وأخذوا كل «الحاجة» .. حتي البلتكانات ودانتيل الستائر« !!! ».

★★★

و .. الصورة ترسمها الأسماء :

أسماء «مثل» الطبل .. وأسماء لم تنشر أو تكتب من قبل، حتي في ذيل الصفحات .. لم تكتب إلا في شهادة الميلاد ، أو دفتر المأذون .. أو « سركي» المعاشات !!



٢ - تحية وعبد الناصر :
قصة حب لم تنته بالزواج !

انفجرت زوجتى فى البكاء وهى تسمع «الخبر»[١] ، قالت ، وهى تبتلع الدموع :

- طول عمرها ست كاملة ..

قلت ، وأنا أتفرس وجه الحقيقة :

- طول عمرها .. أم ، وزوجة ، وصديقة .

★★★

أم : « .. تسير فى شوارع القاهرة ، بلا خدم ، أو حشم .. تدخل المحلات ، تفاصل الباعة.. وتشترى لبناتها ، وأبنائها لوازم المدارس . والملابس .. والكراريس .. حتى وهى زوجة الرئيس» !! هكذا قالت عنها الكاتب الأمريكية «باولينى فريدريك» .

وزوجة : « .. ضمت إلى صدرها ، سماعة التليفون ، وقبلتها .. حينما لم ينس عبد الناصر أن يطلبها فى القاهرة ، وهو فى موسكو ، صباح التاسع والعشرين من يونيه ١٩٦٨.. أى صباح الذكرى الرابعة والعشرين ليوم زواجهما .. من أجل فقط أن يقول لها على الصبح :

- كل سنة وانت طيبة .. يا أعظم زوجة . !!

وصديقة : « .. كثيراً ما كانت ترافق عبد الناصر ، فى رحلته اليومية القصيرة ، بين

١ - هذا المقال وبنفس عنوانه .. سبق أن نشرته على صفحات مجلة «روز اليوسف» الصادرة فى ١٩٩٠/٤/٢ .. أى فى الأسبوع التالى مباشرة لوفاة السيدة الجليلة «تحية كاظم» حرم القائد ، والخالد «جمال عبد الناصر» .

الأشجار .. بعد أن ينهض من سريره ، ويرتدى ملابسه .. ثم ينزل إلى حديقة منزله، ليمشى فيها وقتاً ، محسوباً .. حدده الأطباء» !!

● عرفتم اسمها أيها الأصدقاء ؟!

بالضبط : هى تحية محمود كاظم .

وزوجها : هو جمال عبد الناصر حسين خليل سلطان . !

و .. قبل أن تستغرقنا تفاصيل .. التفاصيل .

تعالوا نعرف - أولاً - كيف فتحت «قلبها ، وبيتها» فى أزمة عمه .. الحاج خليل؟!

★★★

أنا : خليل حسين خليل سلطان .

أنا : واحد من خمسة أشقاء لوالد الرئيس ، بقية أشقائى هم ، سلطان وعبد الباسط، وطه ، وعطية .

واضح أننى لست العم «الوحيد» للرئيس عبد الناصر ..

لكننى «الوحيد» الذى أخذته ، ليعيش معى أنا وزوجتى ، تحت سقف واحد بعد وفاة والدته .. وهو لا يزال طفلاً فى السابعة .

وأنا أيضاً : الوحيد الذى «غضب» منه الرئيس ، وأخذ منه زوجته .... بل وأمر حرس بيته فى منشية البكرى بألا يسمحوا لى بالدخول . !!

كيف .. ؟! هذه هى الحكاية : _

كان أخى الأكبر «عبد الناصر أفندى» قد بادر وأخذنى صبياً من قرية «بنى مر» لاستكمال دراستى الثانوية معه فى الاسكندرية .. حينما كان موظفاً بمكتب بريد «باكوس».. وظللت معه حتى تخرجت ، وعملت - أنا الآخر - موظفاً بوزارة الأوقاف .. إلا أننى بعد وفاة زوجته السيدة «فهيمة محمد حماد» وزواجه من السيدة «عنايات مصطفى» ، أردت أن أرد له ولأبنائه الجميل .. فأخذت منه جمال وأشقاءه الثلاثة شوقى والليثى وعز العرب ، ليعيشوا معى ويملأوا علينا البيت ، أنا وزوجتى التى حرمها الله نعمة الإنجاب .. فكانوا عندها أعز من أبناء «بطنها» . !!

أما أنا .. وإن كنت قد حرمت من نعمة الأولاد ، إلا أننى أعرف مدى ما يصل إليه حب الأبناء من أبيهم ... وأحسست أنى تجاوزت معهم هذا المدى ، حتى أصبحت لهم اسماً على مسمى .. فأنا اسمى خليل ، وكنت لهم بالفعل ، الأب والخليل .. ذلك لأنهم - أولاً - أبناء أخى ، وثانياً لأنهم ملأوا فى قلبى ، وفى بيتى مكان الأبناء الشاغر ، وثالثاً لأنهم أيتام

الأم.. ومن فرط أدبهم ، وطاعتهم ، كانوا جديرين بحبي، وحب زوجتي .. وهو الشيء الذى لم يكن فى الحقيقة ، أتوقعه منها .. خصوصاً ذلك الحب الكبير الذى كانت تمنحه للرئيس جمال .. وهو طفل .

وفى اعتقادى أن هذا الحب ، هو الذى جعل «الريس» يغضب منى ، كل هذا الغضب .. وهو الهادئ ، الوقور ، الذى لا يغضب منى أو يثور ... والحق أننى وقتها أخطأت ، وفعلت ما يستحق غضبه ، لكن المسئول عن خطئى فى الحقيقة ، هو والده «عبد الناصر أفندى» .. لأنه هو الذى حرضنى على ارتكاب هذا الخطأ .

فأنا لم أرزق لا ولد ولا بنت .. وكنت راضياً بأمر الله .. ولم أتململ منه ، ولم أغضب .. إلى أن همس فى أذنى ، أخى الأكبر «عبد الناصر أفندى» قائلاً :

- لماذا لا تتزوج ؟! هذا حقك ، ونحن صعايدة .. وأهل الصعيد يتمنون الولد الذكر ، وما ستفعله لا يغضب الله ولا الرسول .. فلماذا الخوف أو الحرج .. ولا أكتمكم أن هذا التحريض الواضح من أخى على الزواج ، لقى فى نفسى هوى شديداً .. ولكن زوجتى الحاجة «أنيسة» مقامها كبير .. كبير عندى ، وكبير عند الريس ، ولا أحب أن أغضبها من أجل خاطره .. لذلك ترددت طويلاً .. فلما ضاعف أخى «عبد الناصر أفندى» من ضغطه علىّ وتحريضه لى .. تزوجت ، وأخفيت زواجى عن الجميع، بما فيهم زوجتى الحاجة أنيسة .. ولكن لا شيء يتم إخفاؤه .

وحينما علم «الريس» غضب غضباً شديداً ، وله الحق - طبعاً - فى ثورته ... فقد كانت زوجتى «الحاجة» فى مقام والدته .. ولذلك أرسل إليها ، واستضافها فى بيته بمنشية البكرى.. ثم أصدر أوامره إلى الحرس بألا يسمحوا لى بالدخول .. وإن كان قد خفف ذلك الأمر ، وجعله فيما بعد .. مقصوراً ، على عدم مقابلته لى طوال هذه الأزمة.

أما زوجتى الحاجة أنيسة ، ففور أن وصلت إلى بيت «الريس» .. جمع كل أفراد أسرته ، وقال لها أمام الجميع :

- أنت هنا سيدة هذا البيت ، وتحية زوجتى ، تحت أمرك .. لن تحرك شيئاً من مكانه ، إلا إذا أذنت لها .. وعليك من الآن ، أن تنسى عمى خليل تماماً ، ولا تفكرى فيه .. أنا وزوجتى ، وأولادى .. زوجك ، وأولادك ، وخدمك وحشمك .. فى هذا البيت . !!

ولما أرسلت إلى «الريس» معتذراً وملتمساً عفوه ، مؤكداً له أننى فعلت ما فعلته.. بناء على نصيحة والده ، الذى هو بمثابة والدى أيضاً .. قال الريس :

- يا عمى جحودك ونكرانك لفضل «الحاجة» أتاح لى فرصة التعبير ، عن وفائى لها ، واعترافى بجميلها .. لأننى لا أنسى ، أنها حينما أصابنى مرض «التيفود» .. تركت

سريرها، ونامت معى على الأرض ، ليالى عديدة .. وظلت تسهر على راحتى ، وتمرضنى حتى شفيت .

بعدها - يقول الحاج خليل - عادت لى زوجتى الحاجة ، وزادت محبتى للرئيس .. وزاد إكبارى وإعزازى للسيدة الجليل قرينته .. التى فتحت قلبها ، قبل بيتها لى ولزوجتى فى هذه الأزمة اللعينة .

ذلك هو جمال عبد الناصر .

وتلك هى قرينته : تحية كاظم .

★★★

هى - بالمناسبة - من مواليد القاهرة .. لها شقيقتان ، وشقيق واحد اسمه عبد الحميد كاظم .. عاشت معه ، بعد وفاة والديهما ، وزواج أختها الكبرى .. عبد الحميد كان يسكن فى منشية البكرى ، وكان أيضاً ، يرث عن والده «ورشة» صغيرة لصناعة السجاجيد ، بالقرب من كلية أركان الحرب ، التى تسلم جمال عمله الجديد كمدرس بها .. جمال كان يعرف عبد الحميد منذ أيام إقامته الأولى مع عمه خليل فى القاهرة ، وعبد الحميد كثيراً ما كان «يرتاح» لجمال حينما يتحدثان فى السياسة .

والدنيا الضيقة : ها هى تجمعهما ، من جديد فى منزل عبد الحميد .. وها هو جمال يذهب إلى صديقه القديم .. أحيانا بمفرده ، وأحياناً يصطحب معه عبد الحكيم عامر .

وحينما كا يحتدم بينهما النقاش فى السياسة ، كان عبد الحميد ينادى على شقيقته تحية لكى تعد لهم الشاى .. فيهدأون «!!»

وشاى بعد شاى ، تقدم جمال لخطبة تحية .. ووحين قدم لها دبلة الخطوبة .. لا حظت أنه لم يكتب عليها تاريخ اليوم الذى يحتفلون فيه بالخطبة .. وإنما كتب عليها تاريخ المرة التى رآها فيها - لأول مرة - فى منزل أخيها .. لأنه تاريخ اليوم الذى قرر فيه أن يرتبط بها ..

وفى ليلة الزفاف : لم يقدم لها «طقم صينى» هدية الزواج .. قدم لها «جرامافون» صغيراً .. ومعه عشرات اسطوانات من الموسيقى الكلاسيك .

وفى غرفتها الخاصة : لا يزال «الجرامافون» إلى الآن .. ومعه «البيانو» الذى كانت تعزف عليه زمان .. بعضاً من ألحان بيتهوفن .. وشوبان .

تقول ابنتها منى : «كان والدى يعمل فى مكتبه ، أحياناً ، حتى الساعات الأولى من الفجر .. وكانت والدتى ، يعز عليها ، أن تفارقه ، وهو فى نفس البيت .. فكانت - وهو يعمل - تجلس فى ركن حجرة مكتبه ، وتشغل نفسها بالتطريز ، أو شغل الإبرة ، بينما

العمل ، والموسيقى الكلاسيكية الهادئة .. أو صوت أم كلثوم الخافت يضمهما معاً فى سكون الليل» . !!

وتقول منى أيضاً : «كان أبى لا يسمح لوالدتى أن تسافر بمفردها على أية طائرة ، دون أن يكون هو معها .. كان أبى لا يسمح لوالدتى بالسفر وحدها .. لأنه لم يكن يتصور أنه يستطيع الحياة ، بمفرده . فيما لو أصيبت الطائرة بمكروه ، وفقد - لا قدر الله - زوجته .. كان يحبها بلا حدود ولا يطيق فراقها ، حتى فى أخطر مراحل مرضه.

كانت - مثلاً - تصاب أحياناً بالأنفلونزا وتخشى أن تجلس بجانبه ، أو تدخل غرفته ، كى لا تنتقل إليه العدوى ، فترتفع عنده نسبة السكر ، والضغط ، والشرايين.. ولكنه كان يصر على أن تدخل إليه ، وتجلس بجانبه ، وتتناول معه الطعام مهما كان فى ذلك من خطر عليه . !!

كان يحترمها ويحرص على أن يشعرها بذلك الاحترام .. وكان أيضاً ، يحرص على ألا يتركها بمفردها عندما يكون مشغولاً بأعمال الدولة .. فيطلب منى أو من أحد أشقائى ملازمتها» !!

★★★

كان لا يقوى على فراقها ..

وكانت هى أيضاً لا تقوى على فراقه ..

ملأ عليها حياتها .. وملأت عليه حياته .

فكانت بالفعل قصة حب .. لم تنته أو تنطفئ بالزواج .

وكانت - بالفعل - شريكة عمره .. ورفيقة مشواره .

★★★

فى إحدى ليالى يوليو الحارة .. كان العام هو ١٩٥٢ .. والوقت تجاوز منتصف الليل .

كان «جمال» لا يريد أن يزعج «تحية» أو يقلق نومها .. فتسلل فى هدوء إلى غرفة النوم، ودفع بصندوق - كان معه - تحت السرير .

استيقظت تحية تستقبله ، فرأت الصندوق وقالت لنفسها «لعله صندوق برتقال آخر» ..

وفى الصباح تذكرت «البرتقال» فذهبت تعد منه عصيراً طازجاً لإفطار زوجها قبل أن يصحو من نومه .. مدت يدها إلى داخل الصندوق .. فتوقفت أنفاسها حينما ووجدت البرتقال «قنابل يدوية» !!

وفى مرة ثانية : كانت «تحية» تجلس إلى جوار زوجها فى سيارته الأوستن فى طريقهما

إلى السينما .. وفجأة ، أوقف جمال المحرك ، وشد الفرامل ، وقال لها ، إنه تذكر أن عليه أن يرى ضابطاً يسكن فى هذا المنزل ، الذى توقف أمامه !!

انتظرت تحية فى السيارة .. أرادت أن تعيد ضبط كرسى السيارة حتى تستطيع أن تمد قدميها .. وحينما دفعت المقعد ، ظهرت لها حزمة من المنشورات ، كانت مخبأة تحت الكرسى .

التقطت تحية واحدة منها .. فوجدتها تهاجم الملك فاروق ، والإنجليز ، وموقعة باسم «الضباط الأحرار» .

الآن : بدأت تحية تفهم ، وتفك الألغاز .. فى صمت !!

وفى المرة الثالثة : استيقظت تحية - فى منتصف الليل - فجأة ، على صوت طلقات الرصاص .. قفز تفكيرها على الفور فى اتجاه زوجها .. خرجت مسرعة فى اتجاه الصالة .. ولم تخش لحظتها أن يستيقظ أطفالها .. كانت فقط تفكر فى زوجها.!!

وجدت فى «الصالة» أخويه الليثى وشوقى .. وبينهما جهاز الراديو .. سألتهما عما إذا كانا يعرفان أين «جمال» .. أخبرها الليثى بأن جمال كان معه خمسون جنيهاً، وأنه أخذ منها لنفسه جنيهاً واحداً ، وترك الباقى معهما قائلاً :

- إذا حدث لى شىء ، اعطوا الفلوس لتحية فقد يساعدها هذا المبلغ ، هو ودخلها من ميراث والدها ، على تربية الأولاد .

ثم وضع مسدسه فى جيبه وخرج ، بعد أن طلب منا أن نعاهده على رعايتك .. ورعاية الأولاد !!

و .. بينما هى تستمع إلى بيان نجاح الثورة ، دق جرس الباب ، فجرت عليه تفتحه ، ووجدت أمامها ثروت عكاشة يقول :

- جمال أرسلنى لأطمئنك ، وأخبرك بما حدث .. حتى لا تنزعجى ، وطلب منى أن أخبرك أيضاً بأنه عاهد نفسه ، ألا يعود إلى المنزل قبل أن يخرج الملك فاروق من مصر.. ولا يعرف بعد متى سيتم ذلك .. فلا تنزعجى «!!!»

★★★

هى .. لم تظهر فى الحياة العامة ، إلا متأخراً جداً .. وحينما ظهرت ، لم تتصدر نشرات الأنباء .. لم تتقدم مواكب الوزراء .. ولم تصدر لهم أو لغيرهم شيئاً من التوجيهات .

لم ترأس المؤتمرات .. لم تفتتح الندوات .. ولم تحصل على أى من الألقاب أو الشهادات .

هى - حتى عام ١٩٥٩ - ظهرت فقط فى حفلتين رسميتين للعشاء .. وحينما اصطحبها

جمال هي والأطفال في زيارة رسمية إلى يوغسلافيا في نفس العام ، كانت هذه هي أول رحلة لها .. ولأطفالها خارج مصر !

ومع أن صورة الزيارة نشرت في الصحف الأجنبية ، إلا أنها لم تظهر في الصحف المصرية.. وكانت أول صورة لها ، تظهر في صحف القاهرة ، هي تلك الصورة التي ظهرت فيها عام ١٩٦٠ .. أثناء زيارة الامبراطور هيلاسلاسي لمصر ، هو وزوجته ... وإن كان كلام الصور المنشورة لم يشتمل على تعريف واضح بها .

ومثلما كانت السيدة الجليلة «تحية كاظم» لا تميل إلى الظهور .. كان جمال عبد الناصر هو الآخر يفزع من حياة القصور .. يقول عبد الناصر «للصنداي تايمز» في يونيه ١٩٦٢ :

– في القصر سوف يعيش كل منا في جناحه الخاص ، وبالتالي سوف نصبح أسرة مفككة... أما هنا في منزلنا هذا .. فإننا جميعاً نعيش معاً ، ونأكل معاً ، ويطمئن كل منا على الآخر .. إنني لا أنسى يوم أن انتقلنا مرة إلى قصر الطاهرة ، بصفة مؤقتة لمدة خمسة أسابيع .. حينما كانوا يبنون طابقاً ثانياً لمنزلنا الصغير في منشية البكري.. لا أنسى حينما راح أطفالي يكسرون الفازات ، والتحف الثمينة ، وهم يلعبون في ممرات وصالات القصر .. فدفعت ثمن كل شيء كسروه ، وتأكدت جيداً بأنني ، لا أنا ولا زوجتي نحب حياة القصور .. ولا نستطيع القيام بأعباء الحياة ، داخلها .. إنني أحب بيتنا الصغير .. وأحب أن أرى القمر من نافذته .. وأسعد حينما أستيقظ مبكراً فأسمع زقزقة العصافير ونقراتها الخفيفة على زجاج النافذة !

★★★

و .. في الزيارة الرسمية التي اصطحب فيها عبد الناصر ، زوجته إلى اليونان ، سنة ١٩٦٠ .. كانت قواعد المراسم والبروتوكول الملكي هناك ، تقضي بأن تضع زوجة عبد الناصر يدها في ذراع جلالة ملك اليونان ، وأن تضع جلالة الملكة يدها في ذراع عبد الناصر، أثناء نزولهم إلى قاعة العشاء ، وأن يمروا ما بين المدعوين والوزراء في طريقهم للمائدة وحينما علم عبد الناصر بذلك رفض الإذعان .. لقواعد المراسم والبروتوكول ، وأصر على رفضه إصراراً شديداً جعل كبير الأمناء وقتها يسرع إلى مدير المراسم الملكية في اليونان ويخبره بقرار الرئيس .. وفيما يبدو لم يجد مدير المراسم الملكية فرصة ، أو متسعاً من الوقت لإبلاغ رغبة عبد الناصر إلى ملك اليونان وزوجته .. فكان الأمر مربكاً ومضحكاً في وقت واحد .. إذ كلما أراد الملك .. أن يجعل حرم عبد الناصر تضع يدها في ذراعه ، تأخرت عنه.. وكلما أرادت الملكة أن تضع يدها في ذراع عبد الناصر ، أسرع وابتعد عنها .. إلى أن وصلوا جميعاً إلى مائدة العشاء .. فقال عبد الناصر لزوجته مداعباً :

– أنا راجل صعيدى .. ولا أطيق أن أرى زوجتى تضع يدها فى ذراع شخص غيري.. حتى ولو كان ملكاً !![1]

★★★

اختارت أن تعيش من أجله وحده .

وحينما رأته ممدداً فى سريره .. تبدل الدمع فى عيونها دماء .. وقالت وهى تدفن حزنها فى يديه :

– لم يكن لى فى الدنيا غيرك .. ولا أريد من الدنيا سوى أن أدفن إلى جوارك .

ومن يومها .. وعلى مدى عشرين عاماً كاملة لم تخلع عنها ثوب السواد .. إلا لكى تدفن إلى جواره !!



---

١ – صفحة (٣٢٨) من كتاب «ذكرياتى فى عهدين» لصلاح الشاهد – كبير الياوران فى عهدى عبد الناصر والسادات . !

٣ - طبيبه الخاص

الدكتور منصور فايز «أستاذ» شهير فى . . الأمراض الباطنية وأول صفات الطبيب الأستاذ أو المبتدئ . هى «الكتمان» لكنه : لم يلتزم بهذه الصفة .. ونشر على الملأ مذكراته عن، أحد «مرضاه» !!

المريض: هو جمال عبد الناصر

والأسباب حاولت أن أبحث عنها فى المذكرات، أو عند الدكتور فايز نفسه.. فجاءت - بالضبط - كما يلى :

□ أولا □

● يعرف بعضكم : أن الساحة قد ازدحمت الآن بمن يتفننون كل يوم فى رواية وشرح أحداث لم يروها ولم يعيشوها .. بل ويقحمون أنفسهم على وقائع التاريخ دون التيقن من ملابساتها.

● ولا يعرف معظمكم : أننى تابعت خلال السنوات الماضية تفسيرات مغرضة لقرارات ومواقف اتخذها عبد الناصر .. ولاحظت أن البعض يحاول أن يرجع صدور هذه القرارت والمواقف إلى الحاله الصحية للرئيس عبد الناصر بهدف التشكيك فى هذه القرارات أو التقليل من أهمية هذه الموقف.

عند هذا الحد .. شعرت بأن تسجيل الحقائق المتصلة بصحة جمال عبد الناصر - بوصفى الطبيب الذى كان مسئولاً عن علاجه - أصبحت من حق الناس، ومن واجبى أن أضعها أمام الشعب .. ليتبين بنفسه حقيقة الأكاذيب والحملات التى لن يمل المغرضون من تكرارها بين

وقت وآخر .

ولأننى لست سياسياً أسعى لمناصرة هذا الفريق أو ذاك.

ولقرب موقعى من عبد الناصر وملازمتى له منذ عام ١٩٦٣ وحتى رحيله .. فقد قررت أن أكسر القاعدة، ولا ألتزم بأول صفات الطبيب، وهى الكتمان..بشرط أن أقصر حديثى على ما جرى أمامى من أحداث . وعلى ما رواه لى عبد الناصر نفسه .. دون الرجوع إلى مصدر آخر..

ذلك لأننى لست ناقداً أفند الأخطاء .. ولا مؤرخاً أتقصى الحقائق.

□ ثانيـــا □

● يعرف بعضكم : أن الدكتور أحمد ثروت كان هو الطبيب «المرافق» دائماً لعبد الناصر.. والمنقذ لعلاجه.

● ولا يعرف معظمكم : أن الدكتور كان صديقاً شخصياً للرئيس الراحل منذ أيام الدراسة الثانوية .

وقبل أن تنتصف الستينات اتصل بى الدكتور ثروت وأبلغنى أن الرئيس طلب منه أن يعرض على الاشراف على علاجه.

لم يكن عبد الناصر - وقتها - يعرفنى شخصياً، ولم أكن قد رأيته إلا مرة واحدة فى أوائل أيام الثورة، وفى عجاله.. عندما ذهب جمال عبد الناصر لزيارة واحد من رجال السياسة البارزين فى ذلك الوقت، هو المرحوم حفنى محمود أثناء مرضه وبصحبته عبد الحكيم عامر وتصادف وجودى هناك أثناء الزيارة فسلمت على الزائرين لدى وصولهما وانصرفت وأذكر أن المرحوم حفنى محمود كان ممتناً جداً لسؤال جمال عبد الناصر عنه .. حيث قال لى بعدها: «تصور .. عبد الناصر حضر لزيارتى حين علم بوعكتى الصحيه ..بمجرد رجوعه من برج العرب .. بينما لم يكلف محمد نجيب نفسه عناء الحضور، وهو الذى كان فى القاهرة».!!

المهم : أننى لم أقابل الرئيس جمال عبد الناصر بعدها .. ولم أصافحه عن قرب إلا عندما انتقانى الدكتور حسن صبرى رئيس القسم الطبى بالقوات المسلحة مع مجموعة من الأطباء المدنين والعسكريين فى مختلف التخصصات لإجراء فحص روتينى شامل لصحة الرئيس .

و .. دخلت - يومها - منزل الرئيس جمال عبد الناصر لأول مرة.

كان منزلاً بسيطاً ومتواضعاً جداً بالقياس إلى غيره من منازل الرؤساء التى دخلتها.. وكان انطباعى عن جمال عبد الناصر قبل أن التقى به .. أنه زعيم ذو شخصية قوية، وأن السمة الغالبة عليه هى الشدة والجدية طوال الوقت، واعتقد أننى فى هذا الانطباع العام كنت

أشارك غيرى من المواطنين الذين كانوا يتابعون الرئيس فى الصحف والإذاعة والتليفزيون فى بدايته..

ومنذ اللحظة الأولى لدخوّل حجرة عبد الناصر تغير هذا الانطباع حيث وقف الرئيس مرحباً بى فى بساطة شديدة وعلت شفتيه وعينه ابتسامه مرحبة من القلب أزالت منى على الفور توتر اللقاء الأول.

وبعد حوار قصير سأل فيه الرئيس عنى وعن أسرتى دعانى إلى اجراء الكشف عليه وبعد أن انتهيت من مهمتى لم يفته أن يطلب منى بنفسه أن أتولى الاشراف على علاجه برغم أنه سبق لى أن أبلغت الدكتور ثروت بأن ذلك يسعدنى ..

ومن أول لقاء شعرت بمدى دماثة الخلق ورقة المشاعر التى تميز بها جمال عبد الناصر.

ولم يكن هذا البعد الانسانى هو كل ما جد على انطباعى المسبق عن شخصية عبد الناصر فلقد تأكد لى مع مرور الوقت أن جمال عبد الناصر أقوى من كل الانطباعات يتمتع بشخصية جذابة آسرة وعميقة التأثير فيمن تتاح له فرصة مقابلته.

وطوال السنوات التى عرفته فيها عن قرب كان إنساناً متواضعاً حلو الاستقبال سريع البديهة قوى الملاحظة مرح الروح مهما كانت التحديات التى تشغل باله!

□ ثالثـا □

● يعرف بعضكم : أن الرئيس جمال عبد الناصر كان يتبع نظاماً خاصاً فى «الأكل» لعلاج السكر.

● ولا يعرف معظمكم : أننى لم أواجه متاعب حقيقية فى الحفاظ على التزامه بهذا النظام حيث كان عبد الناصر بطبيعته غير ميال للإكثار من الأكل فضلاً عن أن أكله وأكل عائلته عموماً كان أكلاً مصرياً عادياً .. وصحياً.

الفطار : كان يتكون عادة من الخبز والفول المدمس والجبن الأبيض!

والعشاء : كانت بعض أنواع الفاكهة الطازجة تحل محل الفول.

أما طعام الغذاء: فكان يتكون من الخضروات والسلاطة الخضراء واللحوم والخبز وكانت كمية النشويات فى الوجبات الثلاث محدودة وإن كان الأمر لا يخلو من بعض الاستثناءات أحياناً حيث كان الرئيس كأى زوج محب - يخرج على نظام أكله حين تطهو السيدة الجليلة قرينته أحد أصناف «المحشى» وهى التى عرفت بإجادة الطهو وامتيازه!

وعلى وجه العموم كان عبد الناصر مريضاً مطيعاً يؤمن بأهمية الالتزام

بإرشـادات الطبيب.

صحيح أنه كان يدخن بكثرة ولكننا حينما طلبنا منه فى عام ١٩٦٨ ضرورة التوقف عن التدخين وشاركنا الأطباء السوفييت فى نفس الطلب .. امتدت يده على الفور بالسيجارة المشتعلة بين أصابعه إلى إحدى «الطفايات» بجانبه ثم أطفأ فيها سيجارته .. ولم يعد إلى التدخين أبداً بعدها.

وبقدر ما كان يتمتع عبد الناصر بشخصية قوية وإرادة حديدية بقدر ما كان لا يحب أن يرى منظر الدم ..حيث كان يدير وجهه إلى الناحية الأخرى عندما نشرع فى أخذ عينة دم من إحدى يديه.

كذلك كان يصحو مبكراً وينام متأخراً ويعمل لقرابة ١٨ ساعة يومياً لقد كان العمل من أجل شعبه هو عشقه وحياته ومتعته الشخصية.

وفى أشد لحظات حاجته إلى الراحة كان يعمل بطاقة وحيوية وظل فى كامل لياقته الذهنية حتى لحظاته الأخيرة دون أن يدخل - على عكس ما أشاعوا - فى أى نوع من أنواع الغيبوبة.

وبعد رحيله انتشرت للأسف شائعات مغرضة ومقصودة حول هذه الوفاة.

وأولى هذه الشائعات : تزعم أن المرحوم الدكتور أنور المفتى قد مات مسموماً عقب تناوله كوباً من عصير الجوافة فى منزل عبد الناصر وبتدبير من صلاح نصر مدير المخابرات العامة وقتها.

وأذكر أن أكثر من آلمهم هذا «الافتراء» هو الدكتور على المفتى شقيق الدكتور أنور المفتى وطبيب الأنف والأذن والحنجرة الذى تولى بعد وفاة شقيقه علاج الرئيس عبد الناصر. وكلما سمعت هذه الشائعة تذكرت كم من أكواب العصير وفناجين القهوة والشاى التى شربتها فى بيت عبد الناصر وفى مكتب صلاح نصر نفسه بمبنى المخابرات.

أما ثانى هذه الشائعات فقد أدعت أن اسرائيل نجحت فى اقحام جاسوس لها اسمه على العطفى بين فريق أطباء عبد الناصر وأنه كان طبيب العلاج الطبيعى الذى نجح فى أن يتسبب فى وفاة الرئيس مساء ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ من خلال تدليك ساقه المريضه بمادة سامة بطيئة المفعول!!

والواقع أن هذا الاسم الذى تردد لم يكن أبداً من بين المترددين لأى شأن من الشئون على منزل الرئيس عبد الناصر. فضلاً عن أن الرئيس لم يخضع أصلاً للعلاج الطبيعى إلا لفترة محدودة بدأت بعد عودته من «تسخالطوبو» فى نهاية ١٩٦٨ وانتهت عند إصابته بالأزمة القلبية الأولى فى ليل العاشر من سبتمبر ١٩٦٩ حيث أوقفت تماماً وقتها علاج الساق

بالتدليك لتعارضه مع علاج المصاب بالقلب فى حين أن حكم محكمة القيم الخاص بمصادرة أموال على العطفى قطعت بأنه لم يعمل لحساب اسرائيل إلا فى منتصف ١٩٧٢ أى بعد رحيل عبد الناصر بأكثر من عام كامل !!

ناهيك عن أن العلاج الطبيعى الذى تم لساق عبد الناصر كما قلت قد أجرى فقط ما بين عامى ٦٨، ٦٩ وأن الطبيب الذى قام به هو الدكتور فودة الضابط بالقوات المسلحة ومسئول العلاج الطبيعى بمعهد التأهيل بالعجوزة.

□ رابعـاً □

● يعرف بعضكم : ملامح الصورة الشائعة لجمال عبد الناصر «الزعيم».

● ولا يعرف معظمكم : أن هذه الصورة «ناقصة» عند مؤيديه وخاطئة عند معارضيه ذلك لأن هذه الصورة فى الحالتين تفتقد إلى نبض عبد الناصر «الإنسان» الذى هو المدخل الصحيح لفهم الكثير من شخصيته.

واستطيع أن اقطع بأننى رأيت عن قرب هذا البعد الأساسى فى شخصية عبد الناصر بحكم مهنتى كطبيب ولازمته فترات طويلة.

كان عبد الناصر قوياً فى إرادته قاسيا على نفسه ملتزماً بمبادئه فى تصرفاته العامة وفى حياته الشخصية كانت حجرة نومه مكدسة «بالدوسيهات» والأوراق فى كل مكان ولكنها كانت دائماً منظمة ومنسقة بفعل انضباطه وعسكريته.

وبجوار سريره كان الراديو يذيع طوال النهار وحتى الساعات المتأخرة من الليل نشرات الأخبار التى كان يتابعها باهتمام سواء بالانجليزية أو بالعربية فضلاً عن حرصه الدائم على قراءة الصحف ومتابعتها بنفسه.

ومن أبرز ما لمسته فى جمال عبد الناصر إنه كان رب اسرة «مثالياً» برغم مشاغله الجمة التى كانت تستغرق معظم وقته وكثيراً ما كان يصارحنى بأن أسعد أوقاته هى تلك التى يقضيها مع السيدة حرمه وأولاده الذى كان يحرص دائماً على أن يجتمعوا معاً على الغذاء.

وبرغم حبه الشديد لأولاده لم يكن يقبل أى استثناء لهم ومعروف أن ابنته منى اضطرت إلى الالتحاق بالجامعة الأمريكية لأن مجموع درجاتها فى الثانوية العامة وهى بنت رئيس الجمهورية لم يؤهلها لدخول الجامعات المصرية.

وحدث أيضاً أن نجله بعد الحميد مرض بالصفراء وكانوا قد أحضروه من الاسكندرية للعلاج ثم اتصلوا بى فى العيادة بمجرد وصوله إلى القاهرة طالبين منى الحضور فوراً.

وحين علم عبد الناصر بذلك اتصل بى بنفسه فى العيادة وطلب منى عدم الحضور إلا بعد

أن انتهي من الكشف على مرضاى المنتظرين فى عيادتى «!!».

وحدث أيضاً أن مرض السادات عام ١٩٦٩، وطلب منى أن أزوره للكشف عليه فى الساعة من بعد ظهر أحد الأيام .. وفى صباح هذا اليوم كنت عند جمال عبد الناصر الذى علم منى أننى سأذهب لأنور السادات بعد الظهر فاتصل به الرئيس وطلب منه أن يغير الموعد، لأننى فى السادسة.. أكون - دائماً - فى العيادة!!

وذات مرة أخذنا من الرئيس عبد الناصر عينة دم وأرسلناها إلى ألمانيا مع الدكتور «فيفر» لاجراء تحليل معين لها هناك. ولما علم عبد الناصر بعدم إمكان إجراء هذه التحاليل لمرضى السكر فى مصر - وقتها - أمر ببناء معهد لعلاج المواطنين من مرضى السكر وتجهيزه بالأجهزة والمعدات الحديثة الخاصة بهذا المرض داخل مصر .

وفى أعقاب إصابة عبد الناصر بالجلطة الأولى، جهزنا خلال فترة الراحة الاجبارية التى خضع لها، غرفة انعاش فى إحدى حجرات الدور العلوى بمنزله لمواجهة أى طارئ. وحين علم عبد الناصر بذلك طلب منا أن نجهز فوراً غرفتى انعاش - على الأقل- للمواطنين. واحدة فى مستشفى قصر العينى، وواحدة فى الاسكندرية.

وبالفعل .. كان لدينا اعتماد يسمح بذلك فى قصر العينى، أما بالنسبة للاسكندرية، فقد واجهته مشكلة التمويل .. فأرسل عبد الناصر إلى الدكتور محمود صلاح الدين «شيكاً» من حساب التبرعات برئاسة الجمهورية بالمبلغ اللازم لعمل غرفة عناية مركزة فى مستشفى الاسكندرية الجامعى.

كان جمال عبد الناصر وسط تحدياته الخارجية، شديد الاهتمام باحتياجات الشعب ورفاهيته.

وفوق كل ذلك كان بسيطاً محباً للقراءة، يميل إلى المزاح، حريصاً على شعور من يعمل معه .. وباراً بكل أهله، خصوصاً والده الذى كان دائم السؤال عنه، وعن صحته، رغم كثرة مشاغله.

أما السيدة الجليلة قرينته، فقد كان شديد الخوف والحرص عليها، بل وكان حريصاً على ألا يقلقها بكثرة همومه ومتاعبه لدرجة أنه حاول - فى البداية - اخفاء مرضه عنها، حين أصيب بالأزمة القلبية الأولى عام ١٩٦٩ بسبب ألمه وانفعاله الشديد فى أعقاب إحدى الغارات الاسرائيلية على المدنيين العزل فى منطقة الزعفرانة.

وحين قدم لها دبلة الخطبة.. لاحظت أن عبد الناصر لم يكتب على الدبلة تاريخ اليوم الذى تم فيه الاحتفال بالخطبة.. وإنما كتب عليها تاريخ الزيارة الأولى التى رآها فيها لأول مرة، لأنه التاريخ الذى قرر فيه أن يرتبط بها !!

وكانت - حقاً - لفتة رقيقة منه نحو شريكة حياته.

□ خامساً □

● يعرف بعضكم : أن عبد الناصر بدأ الاعداد لمعركة «العبور» فى ١١ يونية ١٩٦٧.

● ولا يعرف معظمكم : أن الانجاز العسكرى الذى حققه جمال عبد الناصر، منذ أن بدأ إعادة بناء القوات المسلحة فى ١١ يونيه ١٩٦٧ وتجهيز خط الدفاع الأول عن مصر غرب القناة فى نوفمبر ٦٧ يعد «معجزة» من حيث الحجم، ومن حيث النوع، ومن حيث الزمن القياسى الذى تم فيه.

وما كانت المعجزة العسكرية ، لتتحقق بهذا الحجم ، إلا بفضل القدرات العالية لجمال عبد الناصر وثقله السياسى، وإصراره العنيد، والجهد الخارق الذى بذله - وهو مريض - فى سبيل بناء جيش قوى وحديث .. وقادر على العبور.

وأذكر أننى فى أعقاب غارات الاسرائيليين على أطفال مدرسة بحر البقر، وعمال مصنع أبو زعبل، ذهبت لزيارة الرئيس الذى كان مريضاً- وقتها - بالتهاب رئوى حاد.

وما أن دخلت عليه، حتى بادرنى بلهجة حاسمة وقاطعة:

- أنا عاوز أروح روسيا فوراً .. ومش عايزك تقول لأ .. أنا مقدرش أقعد أتفرج على البلد وهى بتنضرب . أروح بيتنا أحسن.

وكانت حرارته يومها أربعين درجة مئوية.

وبعد ثلاثة أيام من العلاج، تحسنت حالته، ورافقته فى رحلته السرية إلى موسكو.

وهناك سمعت بريجنيف يقول لعبد الناصر : «أرجو أن تقدر يا سيادة الرئيس أن هذه هى أول مرة منذ الحرب العالمية الثانية يخرج فيها جندى أو ضابط سوفيتى لحماية سماء دولة صديقة لقد وافقنا على ذلك فقط تقديراً لك، وتقديراً لشعب مصر الصديق».

وفى خلال أيام كان كل ما طلبه عبد الناصر من أسلحة وصواريخ وأطقم سوفيتية يحرس سماء العمق المصرى الذى لم تجرؤ اسرائيل بعدها من الاقتراب منه بطائرات «الفانتوم» الامريكية .. !!

وكم كانت سعادتى حينما قمت - بناء على طلب الرئيس - بزيارة قواعد صواريخ سام «٣» لأطمئن بنفسى على صحة جنودنا وضباطنا الذين تدربوا وأصبحوا يقومون بتشغيل هذه الصواريخ فى قواعدها ، التى تم بناؤها فى ملحمة عظيمة، أشرف عليها الرئيس بنفسه، وساهمت فيها كل أسلحة الجيش البرية والجوية، ولعب فيها « جمال مصر » دوراً بطولياً.

يومها تذكرت اليوم الذى صمم فيه عبد الناصر على السفر إلى الاتحاد السوفيتى لتزويدنا

بهذه الصواريخ - التى كانت إحدى مفاجآت حرب أكتوبر ٧٣ - فى الوقت الذى كان فيه عبد الناصر مريضاً وفى أشد الحاجة إلى الراحة.

لقد كان عبد الناصر يتحامل على نفسه فى أداء رسالته، باذلاً من الجهد ما يفوق طاقة البشر .. رغم علمه بخطورة مرضه..!!

لقد كان دائماً يقول : هذا قدري وتلك إرادة الله.

وشاء قدره أن يتم عبد الناصر البناء لتحقيق أمله الكبير فى إزالة آثار العدوان وتحرير الأرض ثم يرحل قبل أن يرى نتائج غرسه . «!!»



٤ - سبتمبر .. وسبتمبر

قبل «رحيل» عبد الناصر .. سبقته «مذبحة» سبتمبر.

وقبل «اغتيال» السادات .. سبقته أيضاً «مذبحة» سبتمبر .

وفرق كبير .. بين سبتمبر .. وسبتمبر .

فى سبتمبر ١٩٧٠ : دفع عبد الناصر حياته ثمناً لوقف النهر الغارق «دماً» بين الأشقاء الفلسطينيين والأردنيين فى «أيلول الأسود» .

وفى سبتمبر ١٩٨١: أعتقل السادات كل من رفض أن يضع يده فى أيدى «عزيزه» بيجن.. وكامبه المشبوه.

وحتى لا يغضب منا التاريخ : نحن الآن . لا نقارن بين الرحيل والاغتيال.. لا نقارن بين رحيل الجسد فى عبد الناصر .. وإطلاق الرصاص على «المعنى» فى جسد السادات.

نحن فقط .. من باب التذكرة .. لمن فقدوا الذاكرة، نرصد سخرية التاريخ .. والتواريخ .. وتغيير الجلود..

★★★

« جئت إليكم على طريق عبد الناصر .. جئت واعتبر ترشيحكم لى بتولى رياسة الجمهورية هو توجيه بالسير على طريقه المضئ، وإذا أبدت جماهير شعبنا رأيها فى الاستفتاء بنعم فسوف أعتبر ذلك، أمراً منها بالسير على طريق القائد والمعلم الخالد جمال عبد الناصر.. وأقسم أمامكم أن أواصل السير فى طريقه مدى الحياة»..!!

فى السادس من أكتوبر عام ١٩٧٠ .. قال السادات ذلك ..وأحنى رأسه وظهره، لتمثال عبد الناصر، كما رأينا جميعاً على شاشة التليفزيون .. ورآه معنا كل نواب مجلس الشعب، الذى أقسم أمامهم على مواصلة السير «مدى الحياة» فى طريق عبد الناصر.

وفى السادس أيضاً من اكتوبر عام ١٩٨١ : سقط السادات، غارقاً فى دمائه .. ولكن على طريق «صديقه» بيجن.

سقط الرئيس المؤمن، فى دمائه .. ولم تسقط من ذاكرة التاريخ.. ما قاله سيادته بعد عام كامل من انقلابه الشهير «بثورة» ١٥ مايو، حينما وقف فى المؤتمر القومى العام، للاتحاد الاشتراكى، يوم أن عقد فى الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٧٢ قائلاً: « هذا البلد .. لا يعرف إلا ثورة واحدة، هى ثورة ٢٣ يوليو وكل مخلص متجرد فينا لا يعرف سوى ثورة أساسية واحدة هى ثورة جمال عبد الناصر .. الثورة الأم لكل التغيرات الواسعة والعميقة، التى تشهدها الأمة العربية كلها.. وإذا كانوا يحاولون التشكيك فى أن الناصرية، تنحسر فى مصر، فيجب أن يعلم هؤلاء بأن الناصرية هى المنهاج الواضح لثورة ٢٣ يوليو، يجب أن يعلم هؤلاء أن الناصرية، كما عشناها مع القائد المعلم عبد الناصر .. موجودة فى الوثائق الثلاث الأساسية للثورة – وهى فلسفة الثورة، الميثاق الوطنى، برنامج ٣٠ مارس. وهذه الوثائق الثلاث هى فكرنا وخطنا السياسى». !!!!

ومن فرط تمسك الرئيس السادات بالخط الفكرى لهذه الوثائق الثلاث .. وضع يده فى أيدى عزيزه بيجن.. وسقط ظهراً فى دمائه.«!!!!»

★★★

نحن الآن فى الحادة عشرية إلا خمس دقائق من ليلة المأساة .

نحن بالتحديد فى مساء الأثنين الموافق ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .. صوت السادات من خلال الراديو يصدم الجميع بنبأ رحيل .. «البطل الذى ستبقى ذكراه خالدة إلى الأبد فى وجدان الأمة، والإنسانية كلها .. بعد تعرضه لنوبة قلبية حادة، بدت أعراضها فى الثالثة والربع ظهراً.. ».

وقبل أن يكمل السادات: راحت البيوت – كما قال أنيس منصور على صفحات الأخبار – تنفجر فى الشوارع، والشوارع تمضى فى الميادين، والليل يكدس الناس إلى جوار الجدران حتى الصباح» !!.

●● لماذا يا استاذ أنيس منصور ؟!!

لأن «المصاب مصابنا .. كلنا أهل الفقيد .. ويوم ندفن جمال عبد الناصر، سندفن أعز وأغلى سنوات مصر، والأمة العربية» ..!!

●● وأنت أيضاً يا استاذ موسى صبرى .. ؟!! لماذا تبكى - هكذا - أنت الآخر على صفحات الأخبار؟!

«كلنا يبكى . والبكاء يقول فقدناه .. البكاء يتساءل كيف ؟! البكاء يؤكد .. مستحيل.. مستحيل .. مستحيل.. »!!

●● هدىء من روعك .. وقل لنا من فضلك : لماذا أنت - بالضبط - ملتاع؟!

لأن «أعظم الرجال لا يتكررون .. والأجيال ضنينه بالشوامخ من أمثال عبد الناصر .. سبنكى والدمع لايجف، ولن يجف عليه - سنتخبط فى فراغ، والعقل حائر لا يستقر، ولن يستقر .. الأمة العربية كلها ارتبطت بقيادة عبد الناصر.. ارتبطت بقيادته لأنها رأت مستقبلها فى تحقيق دعوته، ومبادئه، من أجل إنسانية الإنسان وكرامته .. سيكون معنا عبد الناصر، وسيضئ الطريق لأبنائنا ، ومسئوليتنا جميعاً، ومسئولية كل قيادة فى مصر ، وفى أرضنا العربية أن تكون معه »!!.

●● مع من بالضبط يا أستاذ موسى صبرى ؟!! . مع عبد الناصر الذى شققت عليه هدومك .. ولطمت خدودك .. وأقسمت أن دمعك « لن يجف عليه» بعد أن ارتبطت الأمة العربية بمبادئه « من أجل إنسانية الإنسان وكرامته» .. أم عبد الناصر الذى تقول الآن بأننا عشنا سنواته .. «فى كهوف المعتقلات، مغللة أقدامنا بقيود الحديد، مضروبة عظامنا بالعصى الغليظة، ممتهنة آدميتنا بأبشع صور التجرد من أدنى حقوق الانسان» ؟!!

سبحان مغير الجلود .. وشافى المآقى والخدود.!!

★★★

«مواكب الألم والدموع فى كل شبر على أرض مصر .. فى كل شبر على الأرض العربية، الصراخ يختلط بالدموع .. لا أحد يصدق أن جمال عبد الناصر قد رحل .. ملايين البشر تتدفق فى كتل هائلة إلى حيث يرقد جثمانه الطاهرة.. ملايين البشر، وهتافتهم الباكية، ترفض التصديق :

«ماتصدقش .. ماتصدقش ..
عبد الناصر لسه ماماتش
ولا تفرحش يااستعمار
عبد الناصر فات ثوار»

ثوار : مازالوا يطاردون الصهاينة والأمريكان .. فى شوارع «المعادى» وكورنيش مصر القديمة، ومعرض القاهرة الصناعى .. وفى كل شبر تدنسه أقدامهم على أرضنا الطاهرة..

و .. مازلت أتصفح معكم عناوين الصحف الصادرة يومى ٢٩، ٣٠ سبتمبر ١٩٧٠ «حالات الإغماء تتوالى أثناء المظاهرات، آلاف الشباب يتسلقون ظهور القطارات، والأتوبيسات والمترو، وأعمدة الإنارة.. الكل فى غمرة الحزن والألم، لا يعبأ بالخطر. مواطن يسقط صريعاً بالسكتة القلبية، فور سماع النبأ .. شاب من مهاجرى السويس يطعن صدره بسكين حزناً على عبد الناصر .. شاب آخر يلقى بنفسه من الدور الثالث بمدينة طنطا، ٢٣ نقطة اسعاف مؤقتة بشوارع القاهرة، سيمر بها موكب القائد والزعيم .. كل نقطة مزودة بسيارة إسعاف وطبيب وأربعة مسعفين .. وفاة ٩ أشخاص وإصابة ٤٣٣ شخصاً بالتشنج والإغماء .. سيدة لبنانية تحرق نفسها فى بعلبك حزناً على عبد الناصر، ٢٥ شخصاً آخرون يسقطون بالسكتة القلبية فى بيروت وطرابلس، مواكب الحزن والصراخ تجتاح القدس والضفة، ولبنان، وليبيا، والعراق، وسوريا، والسودان، والكويت، وتونس، والسعودية، والجزائر، واليمن .. وكل شبر من المحيط إلى الخليج.. الكل يبكى والكل يصرخ :

إبكى .. إبكى يا عروبة

ع اللى بناكى طوبة .. طوبة

إبكى .. إبكى يا صبية

عبد الناصر راح ضحية».

و .. نتصفح معاً باقى الصفحات .

«زعماء العالم يتوافدون على القاهرة لحضور الجنازة .. اسرائيل تحتج رسمياً لدى وزارة الخارجية الأمريكية، لأن قنصل أمريكا فى القدس، أمر بتنكيس العلم الأمريكى، فور إعلان نبأ وفاة عبد الناصر .. جون كنج المتحدث الرسمى باسم الخارجية الأمريكية فى واشنطن يقول للصحفيين: قنصلنا فى القدس لا يعرف حدود واجباته .. لأن الرئيس الأمريكى وحده -وليس القنصل - هو صاحب الحق فى الأمر بتنكيس أعلام سفارتنا فى الخارج» ملايين البشر مازالت تتدفق على القاهرة من كل المحافظات، وزارة الداخلية المصرية توجه نداءها الأخير «يا جماهير شعبنا العظيم إزاء هذا البحر الزاخر من البشر المفجوعين المنكوبين الذين يحبون قائدهم، ويريدون أن يؤدوا له واجب الوفاء والتحية .. فإن قوات المرور، ورجال الشرطة والنظام لن يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً، وعلى ذلك، فإنكم بوعيكم وحرصكم على جلال الموكب.. نناشدكم أن تسهلوا الأمر على السلطات، وأن تتعاونوا معها لكى يمر هذا اليوم الرهيب الكئيب، بما هو أهل له، من عظمة وجلال».

الحشود الهائلة الباكية، تتحول إلى كيان واحد، يحيط بعبد الناصر فى جنون.

الأطباء يمنعون السادات من مواصلة السير فى موكب الزعيم .. الموكب الرسمى يتحول

إلى كتل شعبية، لا يحدها بصر، ولا تسيطر عليها أية قوة .. جثمان القائد فى حراسة شعبية.. موكب الوداع يتحول إلى نهر من الدموع والعويل .. الكل يصرخ والدموع تغنى:

الوداع يا جمال

يا حبيب الملايين

ثورتك ثورة كفاح

عشتها طوال السنين..

الوداع ..»

و .. يرقد الجثمان الطاهر فى مثواه الأخير.

★★★

ها هو اليوم السابع يمر على وفاة عبد الناصر .

الآن لا يمكن أن تكون دموع «الأفاضل إياهم» خوفاً من الجثمان الراقد فى مثواه الأخير منذ سبعة أيام كاملة.

ورغم ذلك يصرخ إبرهيم الورداني فى إخوانه قائلاً : لنمسح الدموع .. ولنقل لبعضنا البعض .. بأن الفتى الفارس، الغائب، الكبير، مجرد نائم مستريح فى منشية البكرى.. دعوه يستريح» ..!!

ودون خوف من الاعتقال أو التشريد، يرد المرحوم «كامل» الوعى، توفيق الحكيم، المبهور باحترام اسرائيل، لإتفاقيات حقوق طبع مؤلفاته قائلاً: اعذرنى يا جمال، ليس من عادتى الكتابة، والألم يلجم العقل، ويذهل الفكر.. لن أستطيع الإطالة. لقد دخل الحزن كل بيت تفجيعاً عليك، فاسمح لنا وقد فارقتنا أن نقيم لك تمثالاً عالياً فى ميدان التحرير .. ليشرق على الأجيال، ويكون رمزاً للآمال.. وما ينبغى أن تقيم هذا التمثال سلطة أو دولة، لكنه الشعب نفسه.. وأنا من بين هذا الشعب، أتقدم اليوم، بما استطيع تقديمه .. هذه الخمسون من الجنيهات، أسهم بها إفتتاحاً لقائمة الإكتتاب»!!

●● يا كرم الله .. خمسون جنيهاً كاملة من توفيق الحكيم ..اشهر بخلاء مصر .. كم تساوى؟!!

وهنا : يأتى على صفحات الأهرام – صوت نجيب محفوظ، مناجياً عبد الناصر «..حياك الله يا أكرم ذاهب . عشرات التماثيل، لن تجعلك فى خلود الذكرى، أكثر مما أنت . وستظل فى القلوب والعقول .. إنى أحنى لك رأسى، حباً وإجلالاً، فوراؤك فراغ لن يملأه فرد بعدك»!!

ويرد «الأنيس» منصور قائلاً : « كيف الحياة بعد جمال، سوف تجف الدموع.. ولكن لن نشعر بخسارة هذا الرجل .. إلا فيما بعد، عندما تتلبد السحب، ونبحث عن الشمس، وتظلم السماء، ونبحث عن الضياء .. عندما نبحث عن الذى يواجه ويوجه .. الله معنا يعوضنا عن هذا المشعل الذى أضاء كثيراً وبشدة.. فانطفأ فجأة .. وبسرعة»!!

وهنا ينبرى موسى صبرى مرة ثانية مؤكداً أن « .. العبء تضاعف أثقاله، لكن الناصرية، رسخت فى أعماق الشعب.. وأصبحت قانون حياة، والشعب قال كلمته بالأمس .. الشعب قال لا حياة لنا بعدك يا عبد الناصر .. قالها ودمعه دم .. وصوته وجيعة .. وقلبه أشلاء.. الشعب قالها .. لا حياة بعد ناصر .. إلا بناصر .. هو المستقبل إذا أردنا أن يكون لنا مستقبل .. فليكن الموكب الأخير الذى جمع الملايين حول جثمان عبد الناصر، هو الموكب الدائم للملايين .. لحماية مبادئه» ..!!

و .. لم يكتف السيد موسى صبرى بتحريضنا على «حماية مبادئ عبد الناصر .. لكنه عاد فى الحادى عشر من اكتوبر ١٩٧٠ وأقسم على صفحات جريدة الأخبار - بنص كلماته - بأن « .. معركتنا الأولى هى ضد الامبريالية العالمية التى تدعم اسرائيل بمزيد من السلاح»..!!

ومن فرط وفائه .. وحمايته لمبادئ عبد الناصر بعد رحيله .. إرتمى هو ورئيسه المؤمن أنور السادات فى أحضان «الامبريالية العالمية التى تدعم اسرائيل» على حد تعبيره .. بل وفى أحضان اسرائيل نفسها، بعد أن ذكرنا -ونسى - بضرورة التصدى لما وصفه «بمعركة الدس بيننا وبين أصدقائنا الشرفاء .. وفى مقدمتهم الاتحاد السوفيتى»!!

تصوروا : الاتحاد السوفيتى فى رأى موسى صبرى، فى مقدمة أصدقائنا الشرفاء..!!

تصوروا، وتذكروا أيضاً بأن الدكتور مصطفى محمود - رجل العلم والإيمان - سبق أن قال هو الآخر فى ١٢ يونيه ١٩٦٧ على صفحات «روزاليوسف» وتحت عنوان «أشرف قضية.. وأعظم قائد » ما نصه حرفياً:

«نحن نحارب اليوم لأشرف قضية .. قضية الحياة للوجود العربى كله .. الاستعمار يريد لنا الموت، ونحن نحارب ليحيا أولادنا .. وقائدنا جمال عبد الناصر الذى وهب نفسه وروحه وراحته وحياته لهذه القضية العظمى، هو قائدنا دائماً وأبداً. إن عبد الناصر لم يعد مجرد شخص .. إنما هو رمز لإرادة العرب جميعاً فى الحياة .. رمز للصحة فى جسدنا، والإصرار، والعنفوان والعزم، والتصميم فى نفوسنا.. إنه العقل المدبر، والخطة والنجاة.. وعلاقتنا نحن الجماهير بالقائد، هى علاقة الجسد بالروح ، لا تصح فيها الإستقالة.. نحن نريدك ياعبد الناصر أنت ونحن جسد واحد وشخص واحد لا انفصال فيه..!!

إنه الهوان بعينه أن ننتظر الموت فى الفراش.. والمجد أن نهب حياتنا لأشرف قضية، ونحارب تحت لواء أعظم قائد .. إن الاستعمار يريد أن يمزقنا أشلاء، ولكننا سوف نثبت له، أننا نزداد انضماماً، كلما اشتدت الآلام .. لن نفترق عن جمال عبد الناصر، ولن يفترق جمال عبد الناصر عنا . سيزداد اتحاد كل منا بالآخر..

لقد اتضحت المؤامرة، ولم تعد الحرب، حرباً مع اسرائيل وحدها، ولا قضية الصهيونية وحدها .. إنما هى قضية الاستعمار ببشاعته وقبحه، يستعير لها أقنعة جديدة . إنها قرصنة القرن الثامن عشر نفسها .. ومعركتنا الشريفة منتصرة، مهما طال بها الزمن، وتحت لوائك يا عبد الناصر سوف نحارب حتى الموت .. بل حتى الحياة.. قمة الحياة.. يا قمة الحياة يا عبد الناصر» !!!!

أى عبد الناصر يقصدون ؟!!!

عبد الناصر .. «الذى وهب روحه وراحته وحياته لنا » .. والذى وصفه موسى صبرى بأنه «هو المستقبل إذا أردنا أن يكن لنا مستقبل» .. أم عبد الناصر الذى يصفونه فى كتاباتهم هذه الأيام بالطاغوت، والدكتاتور، والرئيس الراحل، والنظام السابق.. وأصبحنا لا نقرأ اسمه أو نسمعه على ألسنتهم، إلا مقروناً بالتهم والأكاذيب .. والطعن حتى فى ذمته المالية «!!».

★★★

و.. تمر الأيام

ويسقط الرئيس المؤمن أنور السادات فى دمائه ظهراً .. يسقط فيهرع صديقه «بيجن» .. ليتقدم المشيعين.

ومرة ثانية . ينبرى موسى صبرى لقيادة الأوركسترا قائلاً على صفحات الأخبار : «يا أبى.. يا أخى .. يا شرف مصر .. الله معك ياسادات .. يا أب الجميع .. يا أخ الجميع . . يا مصر كلها .. سنبكيك ونكمل الرسالة» !!

●● أى رسالة بالضبط يا استاذ موسى ؟! .. رسالة عبد الناصر، أم رسالة السادات .. أم رسالة التزلف والندب على كل حاكم؟!

وعلى الفور : تصدر حكومة الحزب الوطنى الحاكم ، أمراً بغلق كل دور السينما، وحديقة الحيوان «سبعة أيام كاملة» لتقضى مصر كلها، أيام «العيد» فى البيوت .. وعلى المقاهى، وأمام شاشات التليفزيون، دون أن توجه وزارة الداخلية، نداءً مماثلاً للنداء الذى أصدرته لمناشدة «البحر الذاخر من الكتل البشرية التى خرجت تصرخ حزناً فى الشوارع» .. وقت وفاة عبد الناصر .. !

وعلى صفحات الصحف الحكومية : تبدو - فى الصور المنشورة - كل المحال والأماكن

العامة مغلقة، والشوارع خالية، إلا من الأطفال والشباب، بالملابس المزركشة وهم يركبون المراجيح والمراكب ويحملون البالونات الملونة، إبتهاجاً بعيد «الأضحى» .. وكأن شيئاً لم يكن..!!

ومن فرط الدهشة : يقول «والتر كرونكايت» مراسل «سى . بى . إس » الأمريكية للرئيس حسنى مبارك، بأنه كان فى القاهرة عام ١٩٧٠ وقت وفاة جمال عبد الناصر، وأن الكثير قد أدلوا بتعليقاتهم لإختلاف ردود فعل الشارع المصرى تجاه وفاة عبد الناصر ، ووفاة السادات. فما هو السبب - كما يراه سيادتكم - فى هذا الاختلاف الشديد؟!

وبدلاً من أن تنقل لنا الصحف الحكومية، إجابة الرئيس مبارك تتطوع هى بالتبرير قائلة «الكل يبكى بلا دموع .. ويتألم بلا صراخ»!!

ومن فرط الموضوعية : يستكثرون على الشعب العربى فى مصر .. أن يرفض السير فى جنازة الشخص الذى وضع يده فى أيدى الصهاينة .. ويرفض المشاركة فى جنازة يتقدمها رئيس وزراء «العدو» الاسرائيلى.

عاشت «الموضوعية» حره منتهكة .. بغير حدود .. وسبحان مغير الجلود.. «!!».



٥ - منتهى الوفاء .. !!

قال لهم شوقي عبد الناصر..

- أنتم وزراء فى «غابة» .. وجريمتنا الحقيقية .. هى أننا «ربينا »أولادنا كويس .. ولو كنا طلعناهم «صايعين».. كانوا عرفوا يحموا نفسهم من بلطجية زمن الصهاينة .. والأمريكان .. والانفتاح السفيه.

كان هذا هو الموجز ..

وإليكم « المهزلة » بالتفصيل.

★★★

مبروكة هى التى غسلت الدم من على السلالم.. مبروكة التى غسلت دم عمرو عز العرب عبد الناصر .. لم تغسله «بالخيشة» التى تغسل بها سلالم العمارة .. خلعت جلبابها المنقوش، وغمرته فى «حلة » المياه العذبة، التى تشرب هى منها وزوجها البواب.. خلعت جلبابها المنقوش، وفردته على الدم، كما تفرده على جسد طفلها .. لتحميه من برد «البدروم».

لملمت مبروكة جلبابها المنقوش وعصرته فى «حلة» المياه .. اختلطت ميه شربها بدم الإبن الشاب لشقيق عبد الناصر .. هى تعرف - بنص ما قالته لى - أن جمال عبد الناصر عم القتيل «كان دايماً قلبه على الفقير اللى زينا » .. تساقطت دموعها على الجلباب المنقوش .. الدموع جعلتها لا ترى بقعة من شريط الدم مازالت حتى الآن على «درابزين» السلم..!!!

مبروكة : وهى ترتدى جلبابها الأسود .. إنحنت على «حلة» المياه المختلطة بالدم ..

حملتها متجهة نحو «بلاعة» العمارة .. سقطت «الحلة» من يدها فجأة .. خبطت على صدرها وهى تصرخ :

– يا حزن إسود يا ولاد .. عمل إيه «سى عمرو» علشان دمه يترمى كده .. فى «البلاعة»..!!

★★★

مبروكة اسم يوحى بأن صاحبته امرأة عجوزة فوق الستين .. ومبروكة التى غسلت الدم – فتاة فلاحة من ايتاى البارود .. ملامحها لا توحى بأنها أم لطفلين أكبرهما فى الحضانة .. اسمها فى شهادة الميلاد : مبروكة محمود نوفل .. سكان عمارة «القاتل» ينادونها بلوزة.. ولوزة شابه ملامحها جميلة ومريحة ومرعوبة على زوجها بواب العمارة.

●● من إيه ..... ؟!!

– من صاحب العمارة يا بيه .. صلاح جوزى شهد فى النيابة بالحقيقة اللى شافها.. يعنى شهد ضده ...ومش بعيد هو أو أحد من رجالته ، يغرز السكينة فى قلب جوزى زى ما غرزها فى قلب سى عمرو.. أمال يا بيه إذا كان غرزها فى قلب الساكن.. مش ها يغرزها فى قلب البواب.

زوج مبروكة – فى البطاقة العائلية – ليس بواباً. عمله الأصلى (فراش) فى المعهد الدينى بغيط العنب.. جاء بمبروكة وطفليها إلى الاسكندرية من ايتاى البارود .. بحث لهم عن حجرة من الخشب فوق السطوح . طلبوا منه ربعمائة جنيه خلو رجل.

زوج مبروكة ليس عنده ربعمائة مليم . مرتبه (يدوب) يكفيهم عيش وشاى وبصل وفول. التقطه القاتل منذ عامين . عرض عليه أن يعطيه حجرة فى (بدروم) عمارته قال له سأتركك تهنأ بالنوم مع زوجتك وأولادك – فى البدروم – دون أن أخذ منك مليم خلو أو إيجار.. ضحك صلاح وهو يزف الخبر لمبروكة، فظهر من شدقيه ضرس العقل.

– ادينى عقلك يا مبروكة فيه انسانية أكثر من كده؟!

●● نظير إيه يا صلاح؟!

– أبداً يا بت .. احنا عبد المأمور؟!

مبروكة صارحت صلاح بأن الفأر يلعب فى عبها .

★★★

مبروكة – والفأر يلعب فى عبها – حملت طفليها مع زوجها صلاح واتجهت إلى عمارة القاتل .. العمارة تحمل رقم (٢٤٥) وتقع فى أطول وأعرض وأنظف شوارع الاسكندرية .

الشارع اسمه (طريق الحرية» اسمه أيضاً (طريق عبد الناصر) سابقاً .. أمام العمارة نخلتان ممشوقتان لا يصل طولهما إلى طول العمارة.. المكونه من سبعة طوابق .. بين النخلتين ويخط رقعة عريض طمسته الأيام، مكتوب على واجهة العمارة (يا رب احفظ جمال).

اسرة المرحوم عز العرب عبد الناصر - الشقيق الأصغر لجمال - تسكن منذ عام ١٩٤٧ فى الطابق الثالث من هذه العمارة، كل طابق من العمارة به شقة واحدة.. وكبيرة .

فى الطابق الأول - بعد الأرضى - يسكن القاتل (سعيد الخشاب) .. وفى الدور الأرضى، حجرة البواب . الحجرة بدروم مظلم ورطب تنام فيه مبروكة مع زوجها وطفليها أحمد والسيد، ينام أيضاً مع مبروكة وطفليها - فى نفس الحجرة - موتور رفع المياه إلى خزان العمارة.وسكينة نور السلم وسكينة تشغيل المصعد «وتابلوه» كل التوصيلات الكهربائية فى العمارة.

فى الدور الأرضى أيضاً : يوجد الجراج وسبعة حجرات للخزين ومبيت الشغالات بواقع حجرة لكل شقة . يوجد أيضاً ثلاثة (مناشر) غسيل غير مسقوفة بواقع منشر لكل شقتين فى العمارة.

العمارة : وقت أن سكنها شقيق عبد الناصر - وفقاً للعقد الذى تحت يدنا صورته والمحرر فى ٦ فبراير ١٩٤٧ - كانت مملوكة لشخص اسمه (چورج لطفى عمار).

ووقت أن سكنها - فى عام ٦٥ - قاتل ابن شقيق عبد الناصر كانت ملكية العمارة قد انتقلت إلى شركة التأمين الأهلية. وشركة التأمين كما نعلم (ملك) الحكومة!

وفى السادس من يناير (٧٢) : نجح القاتل - لسبب يستطيع كل منا أن يستنتجه - فى شراء العمارة من الحكومة.

●● وبكم ..؟!

- ليس بمليون جنيه كما قدرها البعض وليس بمائة ألف جنيه كما قالت أيضاً صحف الحكومة . ولكن بالضبط، بخمسة وعشرين ألف جنيه و٢٥٢ جنيهاً و٥٢٥ مليماً(!!).

ولأن القاتل تفضل على الحكومة فيما يبدو ووافق عى شراء العمارة بهذا المبلغ (الضخم) سارعت شعبة (الاستثمار) فى شركة التأمين - فرع الاسكندرية وأرسلت إليه الخطاب رقم ٩٨٢ فى ١٥ يناير ٧٢، أى بعد موافقته على الشراء بتسعة أيام، ترجوه أن يسدد للشركة خلال اسبوعين ٤٠ ٪ من ثمن الشراء .. أى عشرة آلاف جنيه و (مبروك عليك العمارة بسكانها)!!

قالت لى زوجة القاتل : حينما شعر السكان بأننا تسعى لشراء العمارة، ذهبوا جميعاً فيما عدا المرحوم عز العرب - شقيق عبد الناصر - وعرضوا على الشركة أن يشترى كل منهم

شقته. إلا أن الشركة خيبت أملهم ونجحنا نحن فى شراء العمارة بالكامل.

●● ولماذا رفض شقيق عبد الناصر - يا سيدتى - أن يذهب مع بقية السكان لشراء الشقة التى تسكن فيها اسرته حالياً بالايجار؟!

- قال لهم وقتها : ومنين بس يا جماعة أجيب ثمنها!!

★★★

مبروكة - فى ايتاى البارود - لم تأكل الكعك بالمكسرات، ولم تكن تعرف النطق الصحيح لكلمة (جاتوه).

وزوجة القاتل - سميرة عبد السلام جودة - تحمل بطاقة شخصية رقم ١٣٧٦٧ سيدى جابر مسجل فيها أنها صاحبة «مصنع لصناعة الكعك بالملبن والفستق والبندق وعين الجمل».

المصنع : عباره عن واحد من (مناشير) الغسيل الثلاثة فى حجم الحجرة ..صنع له القاتل سقفاً خرسانياً وحوله إلى فرن ضخم بعرض وارتفاع الجدران - وفى نفس المنشر والمنشر المجاور- وضع القاتل عدداً من أنابيب البوتاجاز الكبيرة تكفى لنسف عشر عمارات . الحجرات السبع الأخرى والتى هى مخصصة - فى عقود الايجار - لتخزين السكان ومبيت شغالاتهم، استولى عليها سعيد الخشاب وحولها إلى مخازن - رأيتها بعينى - لأجولة الدقيق وعلب الكرتون، وصفائح السمن والعسل والحلل والطشوت، وصاجات تسوية الكعك و (الجاتون) كما تنطقها مبروكة.

القاتل اشترى العمارة فى السادس من يناير ٧٢ ، وفى الرابع من مارس ٧٣ - أى بعدها بعام واحد وثلاث شهور - استخرجت زوجته لنفسها بطاقة شخصية من سجل مدنى سيدى جابر وكتبت فيها أنها صاحبة مصنع لصناعة الكعك والحلويات.

والمصنع - كما نرى - قنبلة موقوتة وضعها القاتل وزوجته فى الدور الأرضى لعمارته، لا ندرى من الذى رخص للقاتل بوضعه هكذا .. بعض السكان قطعوا لى بأنه لا يحمل ترخيصاً بالمصنع هو أو زوجته ..ونحن - على عكس السكان- لا نستبعد حصوله على مائة ترخيص إن أراد .. لا نستبعد حصوله على الترخيص بنفس الطريقة التى حصل بها على العمارة ذاتها.

طلبت من زوجة القاتل - مدام خشاب - أن تطلعنى على ترخيص المصنع، تعللت بأنها لاتذكر أين وضعته، حاصرتها بشكوكى.. وضعت عينها فى عينى وقالت : غريبة مصنعى يورد كعك وحلويات لرياسة الجمهورية وللرئيس نميرى شخصياً، يبقى أكون باتعامل مع هذه الجهات وما أقدرش أطلع ترخيص (!)

مدام خشاب : شهرتها فى صناعة الكعك - بالملبن والمكسرات - بعد أن عمت النوادى

والفنادق وبيوت الأثرياء والجهات الرسمية .. وصلت الآن إلى السعودية والسودان .. مصنعها على حالته لا يلبى حالياً كل الطلبات .. حالة الطوارئ بالمصنع تعلن طوال الشهور الأربعة التى تسبق عيد الفطر من كل عام .. ليس أمامها لتوسيع المصنع سوى (جراج) العمارة . والجراج يلاصق المصنع تماماً ويسع فقط سبع سيارات. هى وحدها عندها ست سيارات .. جميعهم ملاكى .. واحدة شيفروليه لزوجها، وواحدة مازدا حديثة تركبها هى والسيارات الباقية لبناتها الخمس .

البنات الخمس لسن شقيقات . واحدة أنجبها زوجها من زوجته الأولى . وبنتان انجبتها هى من زوجها الأول .. والبنتان الباقيتان من زوجها الحالى سعيد خشاب .

هى قالت لى : البنات بيتعلموا وبيروحوا النادى، وكل واحدة لازم يكون معاها عربية..!!

العربية أو السيارة التى كان يغسلها عمرو فى الجراج ، هى - بالمناسبة - سيارة شقيقه دكتور صلاح عز العرب الذى يعمل استاذاً مساعداً بجامعة الاسكندرية .. السيارة ماركة (سيات) اشتراها دكتور صلاح منذ ثلاثة شهور فقط .. ليستعملها كل أفراد اسرته !!

★★★

مبروكة لا تسكن فى البدروم بعقد ايجار.

وعقد ايجار شقة شقيق عبد الناصر يقول فى بنده (ج) عن الحجرات السبع التى حولتها زوجة الخشاب إلى مصنعها أن« .. كل شقة مؤجرة للعمارة مخصص لها حجرة للخدم، ومخصص لها مغسل ومنشر واحد لكل شقتين » .

نفس العقد يقول أيضاً فى بنده (ب)أن « مستأجر أي شقه بالعمارة المذكوره،من حقه استعمال الجراج المشترك الكائن بالناحية القبلية من اسفل العماره .. والمخصص فقط لمنفعة المستأجرين، بواقع سيارة واحدة لكل مستأجرى شقق العماره المذكوره»..!!

الجراج أذن - لا يقتصر حق استعماله على اسرة صاحب العمارة، وصاحب العمارة يحتاج الجراج لتوسيع مصنع الكعك والكعك جعلهم يجمعون المليون الأول .. وجعل كل بنت من بناته تركب سيارة ..فلماذا - إذن - يتوقفون ؟!

هو لا يحتاج إلى الجراج فقط .. يحتاج أيضاً إلى تحويل شقته بالدور الأول إلى معرض فخم لبيع الكعك والحلويات .. أين يسكن إذن - لو حول شقته إلى معرض حلويات ؟!

الدور السابع من عمارته مبنى على طراز (فيلا) مستقلة تسكنها (خواجاية) اسمها مدام (تومبى) وتعيش بمفردها بعد أن توفى زوجها . هو - إذن - يحتاج إلى التخلص من هذه (الخواجاية) والاستيلاء على شقتها.

يحتاج أيضاً إلى تأجير كل شقق عمارته من جديد لشركات الانفتاح التى تدفع كثيراً.

بسيطة : صلاح (البواب) وزوجته سيقومان بالمهمة.

- يا صلاح .. أبلغ كل السكان بأن أحداً منهم لن يستعمل الجراج بعد اليوم .

عطل موتور المياه حتى يموتوا من العطش. أفصل سكين المصعد حتى يتوقف قلب هذه الخواجاية العجوز وهى تصعد إلى الدور السابع فى الظلام ..من يريد أن يصعد فى النور يشترى لنفسه (بطارية) .

الخواجاية تقول : (هو احنا فى خرب علشان شيل بطارية) ؟؟

ومنذ ثلاثة أشهر فقط : سقطت العجوز بالفعل فى الظلام على السلم .. سافرت إلى جنيف للعلاج .. كتبت فور أن تحسنت قليلاً - من هناك - إلى مدام عمراوى جارتها فى الدور السادس لتطمئن على المصعد ونور السلم ..أخبرتها بأن كل شئ مازال عطلانا.. ساءت حالتها ثانياً.

و .. ماتت .. مثلما أراد صاحب العماره !!

الآن : تحقق لسعيد الخشاب أكثر مما أراد . حصل على شقة الخواجاية التى ماتت فى جنيف، وحصل على أثاثها. شعر بأنه يقترب أكثر من أحلامه ويقترب أكثر من المليون الثانى والثالث والعاشر. بعد شهر واحد سينتهى من عمل الديكور لشقة الخواجاية ويصعد إلى الدور السابع. يصعد إلى المليون السابع .يحول شقته فى الدور الأول إلى معرض (فخم) للحلويات. يفتح مكتباً جديداً للمقاولات.. يملك عدداً أكثر من العمارات ..ويركب كل يوم سيارة !!..

ولكن : ليس قبل أن يحول الجراج أولاً إلى مصنع أوسع للكعك. شعر بأن كل أحلامه ترقد فى الجراج. رأى عمرو عز العرب عبد الناصر يغسل سيارته فى الجراج .. ولا عمرو ولا مائة عمرو يمكن أن يشاركه فى جراج أحلامه .. وفى ظهر ٢٩ يوليو ١٩٨٣ :

- يا بواب : قل (للولد ده) يقفل باب سيارته « ويغور » من الجراج ..وحتى لو رد (الواد) بأدب سأجعله عبرة لكل من يقترب من أحلامى.

تذكر سعيد الخشاب أن يده اليمنى مشلولة. قبض على اليسرى بالسكين التى قالت لى زوجته أنه يحتفظ بها دائماً فى سيارته لتقشير التفاح،، قبض على السكين جيداً، وغرسها فى قلب عمرو .. بالضبط : فى قلب عمرو !!

★★★

مبروكة دموعها جعلتها لا ترى بقعة من دم عمرو ابن شقيق جمال عبد الناصر مازالت حتى الآن على (درابزين) السلم . بقعة الدم على الدرابزين بقعة من الحزن الداكن فى كل

دور.

في الدور الأرضى يجلس على (دكة) البواب منذ وقوع الحادث ..مخبر من قسم شرطة سيدى جابر اسمه عبد المقصود صبحى ومعه زميله خليل نعيم .. ساعى البريد أعطى أحد المخبرين كمية كبيرة من تلغرافات العزاء.. البرقيات من أشخاص لا أحد يتوقعها .. أشخاص فى الحكومة وأشخاص فى غير الحكومة.

أشخاص فى داخل مصر وأشخاص فى خارجها.. ابراهيم سعده - مثلاً - وصف الحادث فى تلغرافه بالجريمة (البشعة). موسى صبرى وصفها بالطعنة (الجبانة) .. وحسنين هيكل وصف عمرو (بالشهيد).

رؤساء وحكام العراق وليبيا وسوريا والكويت والشارقة حدثوا بأنفسهم أسرة عمرو تليفونياً لتقديم العزاء.. شقة عمرو يأتى منها صوت القرآن. دخلت ضمن الداخلين للعزاء جلست لأكثر من ساعة بين شوقى عبد الناصر عم عمرو - وبين شقيقه دكتورصلاح عز العرب . ملت على عم عمرو ليحدثنى عما حدث . وضع يده على فمه .. حاولت - ثانياً - أن أخرجه من صمته قال لى : اعذرنى . لا أنا ولا صلاح ولا والده المرحوم ولا أى شخص من الأسرة تحدث إلى الصحفيين.

سيقولون إن الصحافة تكتب لأن القتيل ابن شقيق عبد الناصر، وكأن اسرة عبد الناصر حكم عليها أن تكتم جراحها إلى الأبد.

أنا لا أنكر بأننى فزعت لأن المصاب من أسرة عبد الناصر وكنت سأفزع أيضا لو أن المصاب من أسرة عادية .. وما أفزعنى بالتحديد - يا أستاذ شوقى - وجئت من أجله هو أن يصل سلوك أصحاب العمارات مع سكانهم إلى هذا الحد !!

قال لى شوقى عبد الناصر : اكتب ما تريده واعفنا نحن من أى تعليق .. ويكفى أننى قلت لمن يعنيهم الأمر : أنتم وزراء فى غابة وجريمتنا أننا (ربينا) أولادنا كويس.. لو كانوا طلعوا صايعين كانوا عرفوا يحموا أنفسهم».

شعرت بالمرارة فى حلقى. حدقت فى صورة كبيرة لعبد الناصر كانت فى مواجهتى . طلبت أن ألتقط بعض الصور للشقة ولوالدة عمرو وحجرته الخاصه.

اعتذر شقيق عبد الناصر .. وقال لى : ما استطيع أن أخصك به هو أن أخذك إلى حجرة عمرو دون أن تصورها . الحجرة لم يدخلها صحفى واحد حتى الآن .

ستدخلها - واكتب ذلك على لسانى - تقديراً منا لاتجاه فكرى تركه فيكم عبد الناصر . ستدخلها «علشان تشوف فرشها اللى جايبينه من قصر عابدين ولا من قصر القبة .. مش فاكر بالضبط».

الآن عرفت ما يقصده شوقى عبد الناصر . الحجرة صغيرة واثاثها بسيط للغاية . بها سرير سفرى صغير مغطى بملاءة فى لون السماء . .وفوق السرير البرقيات العزاء. البرقيات صفت بانتظام على امتداد السرير . يجاور السرير مكتب صغير عليه كتب عمرو وأوراقه.. على المكتب أيضاً صورة (أشعة) تشير إلى أنه كان يعانى من وجود (حصوة) فى الكلى وشفى منها فى الشهر الماضى. شنطة سفر متوسطة الحجم إلى جوار المكتب. ماكينة خياطة تستند أيضاً إلى الحائط بجوار السرير. كل حوائط الحجرة ليس عليها صوراً لسعاد حسنى أو ترافولتا. عليها فقط برواز زجاج كتب بداخله كلمة (الله)..!

طلبت صورة حديثة لعمرو . أمسكت والدته بالصورة . .سمرتها أمام عينيها . قربتها من فمها تقبلها . فغرقت الصورة فى دموعها..!!

★★★

مبروكة تقسم لكل من دخل العمارة بأن المرحوم (سى عمرو كان أخر أدب).

(مدام سوزى) التى تسكن فى الدور الرابع ومدام العمراوى لا يختلفان مع مبروكة. دكتور أحمد العمراوى - الذى يسكن مع والدته فى الدور السادس - قال لى، وقال فى النيابة، إن صاحب العمارة سبق أن رفع عليه السكينة أيضاً مرتين .

مدام العمرواى قالت - وبيننا شريط الكاسيت - بأن قسم شرطة سيدى جابر يعرف جيداً سعيد الخشاب وزوجته . يعرف جيداً الخلافات التى دائماً تنشب بينهم وتنتهى كل مرة بقسم الشرطة. نحن نسكن فى العمارة منذ عام (٥٧) ونعرفهم تماماً.

المرحوم عز العرب توفى ٧٧ وزوجى توفى بعده بأقل من شهر وزوجى كان نائباً لرئيس محكمة الاستئناف. وقبل وفاته أو وفاة المرحوم عز العرب كانت مضايقات صاحب العمارة لنا قليلة جداً. بعد أن توفى أزواجنا تصاعدت مضايقاته لنا حتى أصبحت لا تطاق . .زوجته دائماً تهددنا بأنها تستطيع أن تشترى الجميع بالفلوس.

مدام سوزى تقول : إن صاحب العمارة من فرط قوة أعصابه رأته جارتها (هبة) بعد الحادث واقف عادى جداً (بيزرر) قميصه فى البلكونة. قالت أيضاً أنه فى مثل هذه الظروف الصعبة يتصرف بهدوء شديد. دللت على ذلك بأنه نزل بعد الحادث من شقته وهو يحمل (شنطة) كأى رجل أعمال ذاهب لقضاء مصالحه ، قالت أيضا: بأن رجال الشرطة حينما قبضوا عليه وجدوا فى الشنطة «أربعين » ألف جنيه.

العميد عبد القادر عبد الله - مفتش مباحث شرق الاسكندرية - قال أمامى لزوجة صاحب العمارة «بصراحة يا مدام جوزك بالرغم من أنه رجل مهندس ومتعلم إلا أنه إنسان شرس معقول توصل المسألة به إلى حد أنه يمد ايده عليكى.. مش ده اللى كان بيحصل برضه قبل

الحادث معاكي أنت كمان.»

قالت زوجة القاتل : أعمل إيه مقدرش أقول ده دلوقتي مقدرش .

القاتـل كان قد ذكر في أقواله للنيابة بأن عمرو هدده بقطعة من الحديد. والمقدم أحمد عبد الوهاب رئيس مباحث سيدى جابر قال لى بأنه عاين مسرح الجريمة فور وقوعها ولم يجد شيئاً مما أدعاه الخشاب.

المستشار سامي البربري المحامي العام بنيابات الاسكندرية واللذى أشرف على التحقيق قال لى هو الآخر بأن تقرير الطبيب الشرعي استبعد امكان حدوث الجريمة بالطريقة التى صورها الخشاب في أقواله.

وزوجة الخشاب – هي الأخرى – قالت لى : عمرو كان حقيقى إنسان مؤدب وحتى لو كان رد على جوزي بكلمة كده ولا كده. عمرو زى ابنه وكان لازم يستحمله، علشان كده أنا بأقول إن اللى حصل أكيد وراه سر ولا يعلمه أحد للآن .. !!

★★★

مبروكة لا تعرف القراءة أو الكتابة ..

تعرف – بنص ما قالته لى – أن عبد الناصر «كان دايماً قلبه على الفقير اللى زينا».

مبروكة لم تقرأ ما كتبه الأستاذ أحمد بهاء الدين عن الفقر وعن الحادث وعن السعى وراء الفلوس بالسكين.

زوجة صاحب العمارة هي فقط التى قالت لى : بأن الأستاذ أحمد بهاء لم يتحر عن الحقيقة فيما كتب.

سألتها عما جعلها تصف الاستاذ بهاء بما وصفته قالت لى : هو قال فيما كتب أن زوجى كان يحمل في سيارته سكيناً كبيراً، والحقيقة.. أنها سكينة صغيرة لا تساوى عشرين قرشاً..!!

وفي السابع من أغسطس ١٩٨٣ نشر لها الاستاذ بهاء رداً قالت فيه : أن زوجها مريض بالقلب وأنهم يسكنون في الدور السابع فكيف إذن يعطل الأسانسير ..

وقالت أيضاً : أنها تعيش الآن في الطريق ولا تستطيع أن تدخل منزلها لتأخذ ملابسها..

والحقيقة : أنها تسكن في الدور الأول وأن شقتهم في الدور السابع لم يدخلوها حتى الآن لأن ديكورها الجديد بعد موت الخواجاية لم ينته بعد . والحقيقة أنها لا تعيش الآن في الطريق.. وإنما تعيش – هي وبناتها – في العجمى منذ بداية الصيف، ولم تكن بالعمارة وقت وقوع الحادث.. واسألوا قسم شرطة سيدى جابر عن محل اقامتها الحالى !

المهم : نشر لها الاستاذ بهاء رسالتها كاملة.

وعلى الفور تحرك قلب الاستاذ (مصطفى أمين) وكتب يدعونا إلى أن نشفق على أهل (المتهم) ونرحمهم فى نكبتهم .. أما أهل (المقتول) فلم يتذكرهم فيما كتب بكلمة واحدة..!!!!

وعلى الفور : تحرك قلب الأستاذ (جلال الحمامصي) وكتب يتهم كل من كتبوا عن الحادث بالإثارة والمبالغة لأنهم وصفوا صاحب العمارة (الغلبان) بأنه يعامل سكان عمارته « بقسوه لارحمة فيها.. ثم اتضح أن الحقيقة لم تكن كذلك» .

اتضح من أين ..؟! من مثلاً، محضر التحريات الذى قدم للنيابة وبه كل ما فعله المالك بالسكان؟!

- لا .. من رسالة ارسلتها له مدام خشاب (الغلبانة) التى قالت لى أنا الآخر: أنها مش محتاجه مصانع كعك ولا عمارات. إن كانوا عايزين يقفلوا المصنع يتفضلوا يقفلوه . أنا خلاص هاأسافر أعيش فى امريكا !!

وهكذا : رق قلب الأستاذ مصطفى أمين والأستاذ الحمامصى - والثالث تتجاهله - لحال (الجانى) فسارعوا بأقلامهم يغسلون (متاعبه).

ورق قلب مبروكة (لحال المجنى عليه) . فسارعت - بمياه شربها - تغسل دمه من على السلالم . !!

و .. من فرط الوفاء : حكمت المحكمه على «القاتل» بالسجن لمدة سبع سنوات فقط، بعد إدانته بقتل عمرو.. الإبن الشاب «لشقيق» عبد الناصر.

أما خالد بن عبد الناصر نفسه .. فقد وقفت «النيابه» فيما أسموه « بمحاكمة» أعضاء تنظيم « ثورة مصر » .. وطالبت «بإعدامه» ..بحجة اتهامه بالمشاركه فى قتل «جواسيس» المخابرات الإسرائيلية فى القاهرة . !!

★★★

منتهى الوفاء .. لجمال عبد الناصر .. !!



٦ - منتهى .. منتهى الوفاء !!

نسمة وفاء دافئة .. هبت - فجأة - على «سيرة» عبد الناصر .. وأسرته .

نسمة وفاء دافئة .. مست فجأة ، كل السطور التى نعت إلينا ، وفاة السيدة قرينته .

نسمة وفاء دافئة .. جعلت الكل «يتغنى» باختيار الفقيدة الفاضلة .. لأن تظل فقط ، أما ، وزوجة ، وربة بيت ، وخلف الكواليس .

★★★

نسمة وفاء دافئة أنعشت خيالى ، فجعلتنى أتذكر وأذكركم - إن أذنتم - بما يلى :

● فى القاهرة : افتتح وزير الثقافة ، فى ٢٦ فبراير ١٩٩٠ ، متحفاً قومياً لكل مقتنيات أم كلثوم .. بما فيها «الفساتين ، والإيشاريات ، وشبشب حجرة النوم» !!

وفى نفس يوم الافتتاح أخبرتنا جريدة «الأخبار» بأن دار الأوبرا المصرية ، ستقيم غداً - أى فى ٢٧ فبراير ٩٠ - ندوة عامة ، موضوعها «الأثر الاجتماعى لفنانة الشعب، وأثرها القومى والعربى ، فى فترات التحول الحساسة من تاريخ الأمة العربية، المعاصر». !!

● ومن الأردن : أكدت جريدة «الأخبار» أيضاً فى الثانى من إبريل ١٩٩٠ ، بأن «والهه» زوجة لوط ، التى تقول التوراة ، أنها تحولت إلى عامود من الملح نتيجة «لكفرها».. هاهى السلطات الأردنية ، تسلط الأضواء السياحية والإعلامية ، على نصب غريب من الملح الصخرى - بارتفاع ٤٠ متراً - على شكل امرأة ترتدى ثوباً فضفاضاً .. وترجح بأن هذا العامود الملحى ، هو التمثال المفقود لزوجة لوط !!

---

* هذا المقال سبق أن نشرته على صفحات مجلة «روز اليوسف» فى ١٩٩٠/٤/١٦ .. أى فى أعقاب وفاة السيدة الجليلة «تحية كاظم» مباشرة .

● ومن واشنطن : بشرتنا أيضاً كل الصحف المصرية ، فى ١٢ مارس ١٩٩٠ ، بأن «حتى فستان بربارا بوش ، وعقد اللؤلؤ ، والحذاء الذى كانت ترتديه فى حفل تنصيب زوجها جورج بوش ، رئيساً لأمريكا» قد تم تسليمه - أمس - لهيئة المتاحف القومية فى أمريكا ، ليعرض فى متحف قومى ، مخصص لذلك .. عملاً بتقليد ابتدعته ، السيدة هيلين تافت زوجة الرئيس السادس والعشرين لأمريكا والذى تولى الحكم ، عام ١٩١٢ !!

● وفى تشيكوسلوفاكيا : حرصت عدسات قصر الرياسة هناك، أن تسجل «صورة» أول بدلة يجرى بروفتها ، الكاتب المسرحى التشيكى «هافيل» بعد أن أصبح رئيساً للجمهورية، وهى الصورة التى نشرتها صحيفة الأهرام فى ٣٠ يناير ١٩٩٠.. وقالت إن البدلة - الأصل- ستحفظ بعد ذلك فى متحف الرؤساء . !

● وفى فرنسا : قامت الدنيا ، ولم تقعد حتى الآن .. بعد أن اكتشف المسئولون ، بمدينة «ليل» شمال فرنسا ، بأن النسخة الأصلية ، من شهادة ميلاد الرئيس الأسبق شارل ديجول ، قد اختفت بطريقة غامضة ، وحل محلها صورة طبق الأصل .

وقالت كل من صحيفتى الأهرام والأخبار فى ٢٩ اكتوبر ١٩٨٩ بزن لجنة أمينة رفيعة المستوى ، ما زالت تحقق فى الحادث ، بعد أن قامت بحفظ النسخة الأصلية الثانية للشهادة ، داخل خزانة «فولاذية» فى دار بلدية «ليل» مسقط رأس ديجول.!!

● ومن الاسكندرية : تناقلت كل الصحف - فى ٢٨ أغسطس ١٩٨٣ - أخبار البعثة الرسمية الفرنسية التى جاءت إلى مصر ، تبحث عن بقايا أسطول نابليون ، الغارق منذ أغسطس ١٧٩٨ فى خليج أبى قير . !!

● ومن سويسرا : بشرتنا أيضاً صحيفة «الأخبار» فى ١١ مارس ٩٠ بأن إحدى شركات السجائر السويسرية قد استحدثت من توليفة تبغ «أمريكية» نوعاً جديداً من السجائر أطلقت عليه اسم «جورباتشوف» !!

● وفى اليابان : أكدت «أخبار اليوم» فى ٣١ مارس ١٩٩٠ بأن إحدى شركات لعب الأطفال اليابانية ، لم تشأ أن تتخلف عن لهث الغرب وأجهزة إعلامه ، لتخليد جورباتشوف ، وزيادة شعبيته ، فقررت هى الأخرى أن تطرح فى الأسواق «دمية» جديدة للزعيم السوفيتى ، اسموها العروسة «جورب» !!!

★★★

نسمة وفاء دافئة .. لا تعنى بالقطع أننا نريد تخليد ذكرى عبد الناصر على الطريقة «الغربية» .. لكنها فقط تشجعنى على أن أذكركم - ثانياً - بما يلى :

● فى مصر .. ميدان وتمثال لمملوك تركى هو «لاظ أوغلى أغا» باشا . !

● وفى مصر .. ميدان وتمثال لثائر من أمريكا اللاتينية هو «سيمون بوليفار» . !

● وفى مصر .. ميدان وتمثال لقائد عسكرى نزح هو وأسرته ، من ألبانيا ، وحكم مصر

لعدة شهور هو إبراهيم باشا . !

● وفى القاهرة كلها : لا يوجد ميدان ، ولا تمثال ، ولا حتى شارع شهير .. ينقل للأجيال المتعاقبة اسم ورسم منشئ دولة مصر المحكومة بحاكم مصرى لأول مرة .. منذ عهد «الفراعنة» .. حتى البحيرة التى كانت تحمل اسمه ، أصبحت بحيرة «السد العالي» ... والاستاد هو الآخر ، أصبح استاد القاهرة الرياضى . !!

نحن بالتأكيد لا نقدس الأفراد .. وإنما فقط نود أن يعلو فى سماء القاهرة ، رمز لمقاومة الظلم والاستعمار .. رمز للشموخ المصرى ، الذى رفع على العالم الثالث كله ، راية العدل والاستقلال .. رمز لصلابة الإرادة التى غسلت الفقر ، والجهل ، والمرض عن وجه مصر .. وزرعت فيه المصانع ، والمدارس ، والمستشفيات ودفعت بأبناء الفلاحين والعمال ، وفقراء هذا الشعب .. إلى مقاعد الحكم .. والعلم .. والإدارة . !!

باختصار : نود أن يعلو فى سماء القاهرة ، رمز يقول للأجيال المتعاقبة .. ما زال فى مصر وفاء .. وما زال فى مصر تقدير لمعنى الكفاح والوطنية . !!

وبالمناسبة : قد لا يعرف معظمنا أن المدعى الاشتراكى السابق ، كان قد تلقى فى يونيه ١٩٨٢ ، مذكرة موقعة من عدد كبير من المواطنين ، يطلبون منه فيها ، التحقيق فى مصير التبرعات التى سبق جمعها فى عامى ٧٠ ، ٧١ لتمويل إقامة متحف لجمال عبد الناصر ..

وقالت المذكرة : إن التبرعات التى افتتحها «المرحوم» توفيق الحكيم فى الرابع من اكتوبر ١٩٧٠ ، بخمسين جنيهاً ، كانت حتى مايو ١٩٧١ ، ووفقاً لما أعلن وقتها على صفحات الصحف ، قد وصلت إلى ثلاثة ملايين جنيه .. لا أحد يعرف عنها شيئاً حتى الآن . !!

وحينما سئل الرئيس السادات وقتها ، عن الأسباب الحقيقية وراء عدم إقامة تمثال لجمال عبد الناصر .. أجاب قائلاً : «لو كان عبد الناصر موجوداً .. لفضل أن تقام بتكاليف التمثال مساكن شعبية» !!

صحيح أننا لم نشهد بعدها إلا «الأبراج» وشقق التمليك.. إلا أن معظمنا قد لايعرف أيضاً أن الفنان جمال السجينى - قبل وفاته - كان قد قام بتصميم نموذج التمثال المطلوب.. وفكرته ترتكز على شموخ عبد الناصر واحتضانه لكل فئات الشعب، والتفافهم حوله .

وحينما فرغ السجينى فعلاً من تنفيذ التمثال.. كان كل شىء قد تغير فى مصر.. فخافت أسرة عبد الناصر، أن يصيب التمثال ما أصاب صاحبه فى ذلك الوقت.. فسارعت بشرائه على نفقتها الخاصة.. وما زال التمثال إلى الآن.. يقف فى شموخ بين جدران البيت.!!

★★★

نسمة وفاء دافئة .. جعلت فيما يبدو ، أسرة عبد الناصر لا تنتظر ، حتى «تسرع الدولة باتخاذ قرار بأن يتحول البيت إلى مزار ومتحف تاريخى» كما اقترح الأستاذ موسى صبرى على صفحات الأخبار .. وإنما بادروا هم فى اليوم التالى مباشرة ، وقرروا جميعاً التنازل عن

حقهم القانونى كورثة شرعيين ، فى الانتفاع مدى الحياة ، ببيت والدهم ومعاشه ، مثلما تنازلوا من قبل عن بيت المعمورة حينما ادعى البعض بأنه كفيل بتسديد ديون مصر .. وقالوا فى برقية إلى الرئيس مبارك ، بأن «الوقت قد حان لكى يعود البيت إلى الدولة ، تتصرف فى شأنه على النحو الذى يراه الرئيس ويقدره».. وأنه « .. إذا استقر الرأى على تحويل البيت إلى متحف ومزار تخلد فيه ذكرى جمال عبد الناصر ، وفقاً لقانون مجلس الأمة رقم ٧٧ لسنة ٧٠ الذى ينص على ذلك صراحة .. فإننا جميعاً وكثيرون أيضاً من أصدقاء عبد الناصر فى العالم العربى وخارجه ، على استعداد للمشاركة فى عبء هذا المشروع وتكاليفه فى ظروف نحس جميعاً بمدى ضغطها على الميزانية العامة للدولة» !!

هذا ما قالته رسالة أسرة عبد الناصر إلى الرئيس مبارك ..

★★★

نسمة وفاء دافئة .. شجعتنى على أن أطلب الدكتور «الدمث» حاتم صادق تليفونياً ، بعد منتصف الليل لأسأله عن حقيقة كل ما سبق .. فجاءنى صوته مؤكداً ، ومضيفاً ، بأن «الإجراءات الرسمية لتسليم البيت بكل ما فيه إلى الدولة .. لن تبدأ إلا بعد الأربعين» !!

والبيت كما نعرف جميعاً ، هو نفس البيت الذى أقام فيه عبد الناصر ، وهو برتبة البكباشى .. وهو نفس البيت ، الذى بقى فيه حين أصبح رئيساً وقائداً للعروبة . وهو نفس البيت الذى خرج منه جثمانه الطاهر .. وخرجت منه أيضاً قرينته ، لتدفن إلى جواره !

وإذا كنت محظوظاً مثلى ودخلت بيت عبد الناصر .. فسوف تدخل أولاً إلى حجرة الصالون الشهيرة ، التى استقبل فيها عبد الناصر مئات من القادة والمشاهير .

الحجرة إلى يمين الداخل من بوابة البيت .. جدرانها «رمادى فاتح .. وسقفها أبيض.. الشبابيك مغطاة بالستائر والأرضية مفروشة بسجادة كبيرة ، وسجادة للصلاة .. سجادة الصلاة يتداخل لوناها الأزرق والأحمر أمام المدفأة الحجرية القابعة على يمين الداخل .

وركن المدفأة – بالمناسبة – كثيراً ما استقبل فيه عبد الناصر ضيوفه ، وكثيراً ما ظهر فى صور الضيوف على صفحات الصحف .. !

أما المدفأة نفسها : فهى من الطوب الأحمر ولها رف رخامى يحمل إلى الآن صوراً لنهرو، وسوكارنو ، وتيتو ، ونكروما ، ويوثانت ، وشواين لاى .. الصور عليها جميعاً كلها إهداء لعبد الناصر بخط أصحابها .. والكلمات بعضها لا يزال واضحاً ، وبعضها – مثل صورة نهرو – بهت حبره !!

فوق المدفأة معلق على جدار الحجرة صورة زيتية ، لطفلين من أطفال الفقراء ، مهداة من الحكومة الاسبانية .

★★★

وأمام المدفأة : كرسيان متقابلان ، بينهما منضدة صغيرة للشاى ، أو القهوة ..

أوراق الذاكرة تسقط ، ولا يسقط منها أبداً .. أول مرة دخلت فيها إلى هذا الصالون .. كنا يومها نستقبل ذكرى ميلاد عبد الناصر عام ١٩٧٥ . ويومها وقعت عينى فى حجرة ملحقة بالصالون على دولاب «إيديال» صغير ، عليه عبارة محمولة على حامل معدنى تقول «لو دامت لغيرك .. ما وصلت إليك» . !!

نافذة حجرة الصالون تطل على حجرة مجاورة ، بها ترابيزة للبنج بونج .. نافذة حجرة الصالون .. ومحتويات حجرة المكتب ، وذوق حجرة الطعام ، وأثاث حجرة النوم... كل شيء هنا يقطع بأن عبد الناصر كان فعلاً يحب الموسيقى ، ويهوى التصوير ويجيد الشطرنج .. ويلعب البنج بونج .. ولا أحد من أهل البيت – بعد رحيله – امتدت يده إلى «المضارب» .. لا أحد من أهل البيت اقتربت يده بعد الرحيل من «رقعة» الشطرنج . !!

فى طابقه الثانى : غرف النوم ، والطعام إلى اليمين .. وإلى اليسار غرفة مكتبه ، وغرفة بعيدة وحيدة ، تحفظ فيها الأسرة مجموعة صور كاملة . منذ عام ١٩٥٨ يوماً بيوم .. ويستطيع من يريد أن يصل من خلالها إلى يوميات عبد الناصر ومقابلاته . !!

الغرفة تطل على فناء داخلى به حديقة فسيحة ، شبه جرداء .. وهى تقريباً عارية من الأثاث ، لولا أريكة قديمة عريضة ، وبقايا مكتبة ، ودواليب كبيرة داخل الجدران .

وإذا مررت بعينيك سريعاً على كتب ومكتبة جمال عبد الناصر .. فسوف تجد بها كتاب «الأرض الطيبة» لزعيم مصر الفتاة أحمد حسين .. و «قصة حياتى» للطفى السيد ، والعدد ١٣١ من كتاب الهلال ، ومذكرات إسماعيل صدقى عام ١٩٥٠ .. ومذكراتى لعبد الرحمن الرافعى ، وكتاب الأمير عمر طوسون ، ومذكرات عما حدث منذ فجر الحركة الوطنية من ١٩١٨ إلى ١٩٢٨ طبعة الاسكندرية سنة ١٩٤٢ ، ومذكرات فاطمة اليوسف ، والعدد الأول من مجلة روز اليوسف ، وكتاب الأزهر ، والسياسة لفخر الدين الظواهرى إصدار عام ١٩٤٥.. وخفايا سياسية لمحمود عزمى ، والعدد ٢٦ من سلسلة كتب للجميع ، والجزء الأول من «مذكرات فى السياسة المصرية» لمحمد حسين هيكل .. والضاحك الباكى لفكرى أباظة .. والسودان وخفايا السياسة الإنجليزية مطبعة السفير عام ١٩٣٥ .. وكتاب «مع الوفد المصرى» لمحمود أبو الفتح ١٩٢١ .. وكتابين ليوسف نحاس عن ذكريات سعد زغلول ورفاقه فى ثورة ١٩١٩ طبعة ١٩٥٢ .. وكتابا عن مفاوضات «عدلى وكيرزون» سنة ١٩٥١.. وأيضاً مجموعة من بعض أعداد مجلة «صوت الإسلام» التى كانت تصدر عام ١٩٦١..

هذا فقط على سبيل «العينة» .

وفى ندوة «الالتزام والموضوعية فى كتابة تاريخ مصر المعاصر» التى عقدت فى سبتمبر ١٩٨٧ كانت الدكتورة هدى عبد الناصر قد قالت أمام الجميع إن والدها لم يكتب مذكراته مطلقاً ، لكنه كان منظماً جداً وحريصاً على تسجيل جميع الاجتماعات التى يحضرها سواء مع مجلس الوزراء ، أو الاتحاد الاشتراكى أو غيرها ، وكذلك مباحثاته مع الوفود المختلفة ،

على شرائط تسجيل ، وتفريغها على الورق بعد ذلك... وأشارت الدكتورة هدى إلى أن هذه المعلومة «ستؤرق بعض الذين يكتبون عن والدها بدون وثائق ، أو اعتماداً على شهادات بعض معاصريه» .

وبعد أن أكدت الدكتورة هدى أيضاً أمام الحاضرين ، أن جميع هذه الأشرطة والأوراق ، سبق نقلها إلى إدارة رئاسة الجمهورية في قصر عابدين في عهد السادات عام ١٩٧١ .. طالبت بضرورة حفظ هذه الوثائق الهامة ، وضمان الحماية القانونية لها .. هي ومثلها من الوثائق الموجودة بحوزة أسر بعض الشخصيات في مصر .

★★★

نسمة وفاء دافئة .. جعلتنا نعيش ونقرأ - يوم الإثنين ١٩٩٠/٤/٢ - سطوراً رقيقة للاستاذ موسى صبري لا يصف فيها فقط زوجة عبد الناصر ، بأنها كانت «سيدة فاضلة ، بكل المقاييس ، ولا يقترح فيها فقط ، على الدولة بأن تسرع باتخاذ قرار ، بتحويل بيت الزعيم جمال عبد الناصر إلى مزار ومتحف تاريخي» وإنما يصف أيضاً عبد الناصر نفسه بأنه «منشئ دولة مصر ، التي يرأسها مصري ، لأول مرة ، منذ أجيال وأجيال» .. وإنه «عملاق.. كانت تستهدف حياته ، قوى شر عديدة ، داخلية وخارجية » .. وإنه «زعيم غير وجه التاريخ ، وأسقط النظام الملكي ، وأعاد سيادة مصر إلى قناة السويس ، وغير تركيبة المجتمع المصري بالقضاء على الإقطاع ، والانتصاف لحقوق الكادحين والعارقين» .

فهل لهذا الوفاء المفاجئ .. حرص أديبنا المبدع يوسف ادريس على أن يقول لصحيفة الجمهورية يوم الأربعاء ١٩٩٠/٤/٤ - إنه «يشكر الأستاذ موسى صبري خاصة لأن اقتراح تحويل بيت عبد الناصر إلى متحف تاريخي صادر منه شخصياً !!

على أية حال أديبنا الكبير نجيب محفوظ لم يفته - هو الآخر - أن يشكر الأستاذ موسى صبري على نفس الاقتراح . مؤكداً لنفس الصحيفة بأن الاستاذ موسى «سباق دائماً إلى الأعمال القومية» .. وإن كان قد فاته - هو والدكتور يوسف إدريس - أن يشكر أيضاً الروائي المتألق يوسف القعيد ، لأنه فيما يمتعنا به - بحبر القلب - على صفحات الأهرام الاقتصادي قد سبق الأستاذ موسى صبري إلى نفس الاقتراح .. وفي نفس الأسبوع !!

★★★

نسمة وفاء دافئة .. يمكن أن تطول سعادتنا بها لو أدرك الذين لا يزال عبد الناصر يؤرقهم من مرقده .. بأن إقامة تمثال له في أحد الميادين الهامة بالقاهرة ، أو تحويل بيته إلى متحف ومزار يليق به وبالوطن الذي أنجبه .. لن يمنح عبد الناصر مجداً وخلوداً هو - أصلاً - قد ناله بما حقق .. وإنما سيمنحنا نحن - وإياهم - رداء يستر فينا «عورة» الجحود لقائد مصري .. اسمه ورسمه في قلوب البسطاء ، وتماثيله في ميادين وشوارع العواصم العربية .. بينما لا يوجد له في بلده متحف أو تمثال .. يرحمنا من «لعنة» الأجيال .. !!



ملحق

الوثائق

مجرد سياسة

فى امتحان التطهير

جيش فى تحقيق [illegible]
التخطيط [illegible]
ذلك الوقت [illegible]
حركة الجيش [illegible]
انها لم تكن [illegible]



[illegible] ماهر
[illegible] قانون [illegible] الاصلاح الزراعى



□ مصطفى النحاس
صدم ضباط الثورة

وهكذا بعد [illegible] يوليو ٥٢ اذاع [illegible] بيانا دعا فيه الاحزاب والهيئات الى تطهير صفوفها كما فعل الجيش، وان تعلن الاحزاب [illegible] واضحة المعالم [illegible] الشعب على بينة من امره وحتى تجرى الانتخابات فى [illegible] فبراير ١٩٥[illegible]

■ ■ ■

ومع ان [illegible] الذى وقفه جمال عبد الناصر فى [illegible] الاحزاب والديمقراطية قد جعل البغدادى يكتب فى مذكراته قائلا : ولا ادرى حتى الان . هل كان جمال جادا فى موقفه ومقتنعا ام ان ذلك لم يكن الا مناورة منه ليحكم من وراء ستار مدنى يتمثل فى حزب من الاحزاب ؟

اقول انه اضافة [illegible] هذا الذى قاله البغدادى فاننا لابد وان نلاحظ مايلى :

• إن عبد الناصر فى الوقت الذى بدا فيه مؤيدا للديمقراطية باستمرار الاحزاب وتسليم الحكم للحزب الفائز بالاغلبية – وهو بالتأكيد موقف ديمقراطى – فانه هو نفسه عندما صوت مجلس القيادة ضد رأيه قد اتخذ موقفا غير ديمقراطى تماما واعتزل فى بيته حتى اضطر زملاؤه الى تغيير رأيهم [illegible]

• إن عبد الناصر كان قد اتخذ هذا الرأى الذى يقول باستمرار الاحزاب بعد لقاء تم بينه وبين مصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين قيل انه صدم فيه من افكارهما ، وكان الاثنان فى الخارج عند وقوع احداث الجيش وعادا الى مصر يوم ٢٧ يوليو واتجها من المطار الى مبنى القيادة حيث قابلا محمد نجيب فى حضور عبد الناصر وبعض زملائه [illegible]

وقد قيل من [illegible] انه فور دخول النحاس باشا [illegible] اللواء محمد نجيب فانه بادره بقوله [illegible] اهلا وسهلا !، مش انت بقى [illegible] الف ؟ واما قائد الـ ١٨ مليون [illegible]

وكان النحاس [illegible] رجل طيب القلب [illegible] ٦ الف جندى [illegible] قائد ١٨ مليون مصرى [illegible] العبارة كما ذكر المتصلون [illegible] الناصر اسقطت الهالة الضخمة [illegible] يحيط بها النحاس باشا [illegible] وصدمته اكثر رفض النحاس فى هذا [illegible] الاصلاح الزراعى [illegible] الذى جعله يقول « اذا كان [illegible] فكيف اذن زعماء [illegible]

[illegible] بعد هذا اللقاء الذى [illegible] الناصر فى حزب الاغلبية يتمسك [illegible] باستمرار الاحزاب التى كانت موجودة فى ذلك الوقت .

ان عبد الناصر نفسه كانت لديه عقدة خاصة من باشوات الاحزاب .. ولهذا السبب فاننا نلاحظ ان اول قرار اصدره مجلس الوزراء برياسة على ماهر بعد طرد فاروق كان قرار الغاء الالقاب والرتب المدنية . ولقد كان من الممكن تقبل هذا القرار فى اطار فلسفة ثورية واضحة . اما وان حركة الجيش قامت دون ان تكون لها اية فلسفة فلقد كان صدور قرار الغاء هذه الالقاب بالسرعة التى تمت بها شيئا يسترعى الاهتمام والتفكير .

ولا استطيع ان اتجاهل فى ذلك حكاية سمعتها عن قصة حب من طرف واحد هو جمال عبد الناصر وفتاة جميلة شقراء الشعر تنتمى الى اسرة من الباشوات . وكان من عادة هذه الفتاة ان تذهب كل يوم اربعاء الى سينما ديانا حفل الساعة الثالثة بعد الظهر عندما كانت دور السينما تقوم بتغيير افلامها فى ذلك الوقت كل اسبوع .. وكان جمال عبد الناصر حريصا على ان يكون دائما على باب السينما كل يوم اربعاء انتظارا لرؤية الفتاة التى احبها فى صمت . ثم حدث بعد ذلك ان تقدم الى والدها طالبا الزواج من ابنته ولكن الاب ثار عليه وربما طرده من المنزل إذ كيف يجرؤ من فى مثل فقره وسمار بشرته ان يتقدم للزواج من ابنة الباشا شقراء الشعر .

واستطيع بعد ان رويت هذه الحكاية التى ربما تكون قد ذكرت لاول مرة فوق الورق ، ان اضع يدى فوق اى مصحف واقسم على كتابه المقدس اننى سمعت هذه الحكاية من الاستاذ محمد حسنين هيكل فى خلال السنوات الاولى من الثورة واننى لم اكن وحدى الذى استمع اليها ولكن كان هناك زملاء آخرون موجودون حتى اليوم ، وكنا جميعا نضع اقدامنا على اول سلالم العمل الصحفى فى مجلة آخر ساعة التى كان يرأس تحريرها الاستاذ هيكل .

ولابد امام بطل يحمل ماضيه هذا الجرح العميق من احد باشوات زمان ان اكرر تساؤل السيد عبد اللطيف بغدادى : هل كان فعلا صادقا فى موقفه من الاحزاب ؟

■ ■ ■

وبصرف النظر فان الذى حدث بعد ذلك ان رجال الاحزاب وجدوا انفسهم فى مواجهة مطلب يدعوهم الى ان يطهروا صفوفهم دون ان يعرفوا كيف يكون هذا التطهير .

وقد كان من الممكن لو ان احد الاحزاب اصغى جيدا الى نبض الجماهير التى ضاقت بكل التمثيليات

□ الوثيقة الأولى : قصة غرام عبد الناصر لبنت الباشا «المزعوم» كما رواها الأستاذ صلاح منتصر على الصفحة السابعة من جريدة الأهرام فى ٣١ يوليو ١٩٨٣ . !!!

١٩٣٩/٥/٢٨

عزيزتى [illegible]

[illegible] أم [illegible] فى الامتحان [illegible]
[illegible] هل هذا ذنبى أم
ذنبه أم ذنبا [illegible] (أنها ماتستحق)
[illegible]
[illegible] أقول لا [illegible]
[illegible] اليوم كله [illegible]
[illegible] إذا قلت لا [illegible]
[illegible]
[illegible]
أنى قلت لا [illegible]
بالقاهرة وبينما كنت [illegible] أحد الأيام [illegible]
[illegible] ولربما [illegible]
[illegible]
[illegible] وأنا [illegible]
[illegible]
[illegible]
يوم السبت و [illegible] أيام الأسبوع
[illegible] الله [illegible]
[illegible]
القتل والقتال [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (و [illegible]) جمال عبد الناصر

◻ الوثيقة الثانية : واحد من خطابات عبد الناصر التى تنشر لأول مرة وتكشف السبب الحقيقى لعدم زواجه من الفتاة التى زعموا أنها بنت باشا وأن والدها هو الذى رفض أن يزوجها له بسبب فقره وسمار بشرته . !!!

→

☐ الوثيقة الثالثة : نعى «فقيدة عائلة الصدر» التى خفق لها قلب عبد الناصر ، زمان، كما نشرته جريدة الأهرام فى ١٧ مايو ١٩٧٠ .. والنعى كما هو واضح يقطع هو الآخر بأن الفقيدة ، لم تكن - كما زعموا - بنت «باشا»!.

فقيدة عائلة الصدر

توفيت الى رحمة الله السيدة

[redacted] حامد الصدر

حرم الاستاذ [redacted]الاستاذ بكلية المعلمين ووالدة [redacted] بتجارة عين شمس [redacted] بالطبرى الثانوية وشقيقة العميد متقاعد [redacted] والاستاذ [redacted] عميد الفنون التطبيقية سابقا وحرم القبطان [redacted] والانسة [redacted] المفتشة بالتعليم والدكتور مهندس [redacted] بهيئة الامم والسفير [redacted]بالجزائر والسيدة [redacted] المفتشة بالتعليم وزوجة شقيق حرم الدكتور [redacted] والدكتور [redacted] وكيل طب المنصورة والدكتور [redacted] بطب عين شمس وقريبة عائلات بشير والصدر والصاوى والكردانى والقصبى وزايد ورشدى وسامح وزكى كمال والقشيرى وعفت ورشاد والشنساوى والسركى والمرحوم مهندس [redacted] وستشيع الجنازة الحادية عشر صباح اليوم ٢٠ شارع دمشق مصر الجديدة .. يقام المأتم .

البقاء لله

شيعت بالامس جنازة المرحومة حرم المرحوم الشيخ امين عبد المجيد والدة المرحوم ... عبد العزيز عبد المجيد وعبد الصبور ... كفر الدوار وعبد الشافى بعلوم القاهرة ... الخبير الدولى للمواصلات بالسودان وبسعد المراقب بمصلحة الشركات ومحمود مدير الادارة بالبحث العلمى ووالدة حرم الحاج

استاذ الجيل العلامة الكبير الدكتور

عبد اللطيف حمزة

انتقل الى رحاب الله الدكتور عبد اللطيف حمزة استاذ ورئيس قسم الصحافة بجامعة القاهرة زوج كريمة المرحوم شاكر شكرى وشقيق عبد العزيز حمزة الاستاذ بكلية المعلمين والمرحومين مصطفى وعبد العظيم حمزة بالتربية والتعليم ووالد حرم المرحوم اللواء رؤوف شكرى ومحمود رياض تاجر قطع الغيار والآنسة وجدان الطالبة بالماجستير وعم وخال صلاح حمزة باستصلاح الاراضى ومحمود حمزة بالكلية الحربية ومحمد وعبد الله بالثانوى وحرم محمد على بشركة مصر الجديدة ونصار مصطفى مامور الضرائب ونبيل عبد المجيد بالمقاولين العرب والمرحوم ابراهيم عبد الحميد وعبد الوهاب خضيرى وحرم المرحوم احمد النعمانى وابن عمه وخاله وحد المهندس حسن العشيرى بالرى

مدارس النهضة المصرية

السنة الثانية عشر — سنة ١٩٣٦

هيئة تحرير المجلة

(١) حضرة الاستاذ سليمان زكى	مدير المدارس	الرئيس الفخرى
(٢) » » احمد [illegible]	مدرس اللغة العربية	رئيس التحرير المسئول
(٣) » » شكرى ابراهيم	» » الانجليزية	[illegible] قسم الترجمة
(٤) » » [illegible]	» » »	» القسم الانجليزى
(٥) » » [illegible]	» » الفرنسية	» » الفرنسى

(٦) ابراهيم حسين [illegible] الطالب بالسنة الخامسة مراقب التحرير
(٧) [illegible] » » » سكرتير
(٨) جورج ميخائيل » » » سكرتير
(٩) سليم ميخائيل بالسنة الخامسة (١٠) [illegible]
(١١) [illegible] بالسنة الرابعة (١٢) جمال عبد الناصر بالسنة الرابعة [illegible]
(١٣) [illegible] (١٤) [illegible]
(١٥) [illegible] (١٦) [illegible]
(١٧) [illegible] (١٨) [illegible]

فلتير (رجل الحرية)

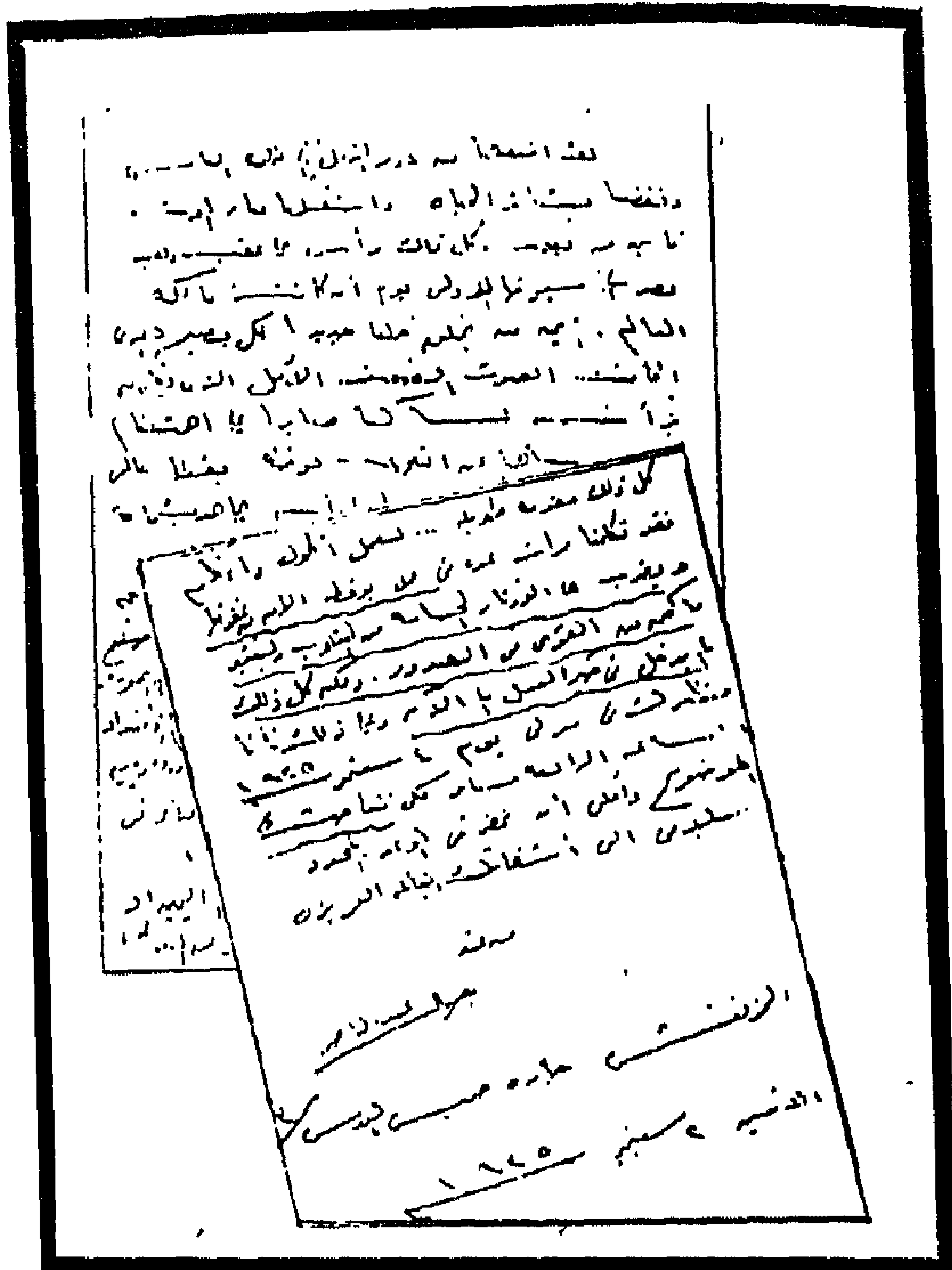
[illegible]

جمال عبد الناصر

☐ الوثيقة الرابعة : مجلة «مدارس النهضة المصرية» والطالب جمال عبد الناصر أحد أعضاء هيئة تحريرها سنة ١٩٣٤ .. أى وهو فى السادسة عشر من عمره ، مع صورة من مقالة عن «فولتير رجل الحرية» .

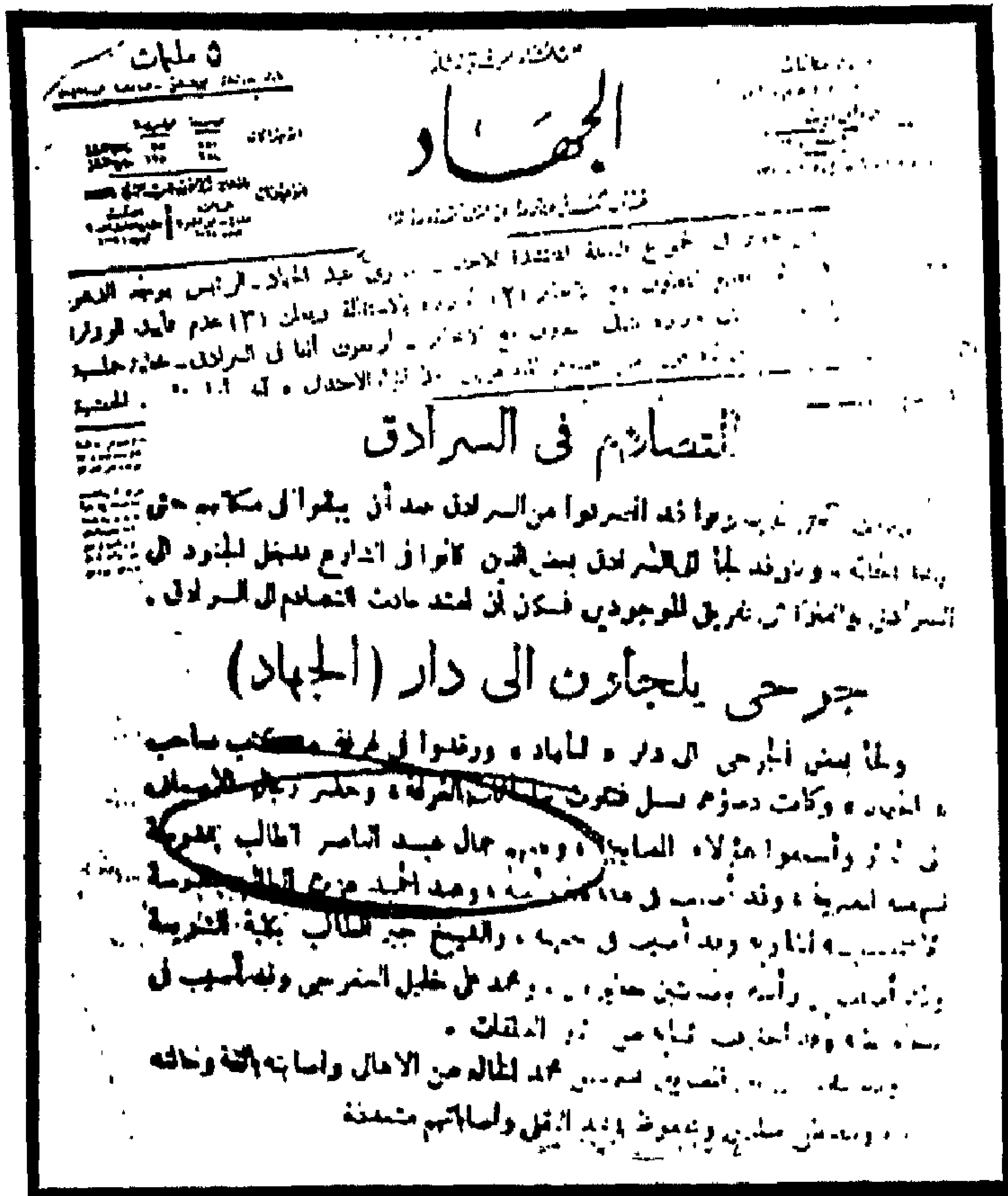


◘ الوثيقة الخامسة : الطالب جمال عبد الناصر ، وهو فى السابعة عشر من عمره يكتب إلى أحد زملائه ، طالباً منه الحضور إلى منزله .. وللتباحث فى عمل يوقظ الأمة من غفوتها » !





◘ الوثيقة السادسة : الصفحة الأولى من جريدة «الجهاد» الصادرة فى ١٤ نوفمبر ١٩٣٥ وبها اسم الطالب جمال عبد الناصر ضمن قائمة الجرحى الذين أصيبوا فى مظاهرات المطالبة بعودة دستور١٩٢٣ .



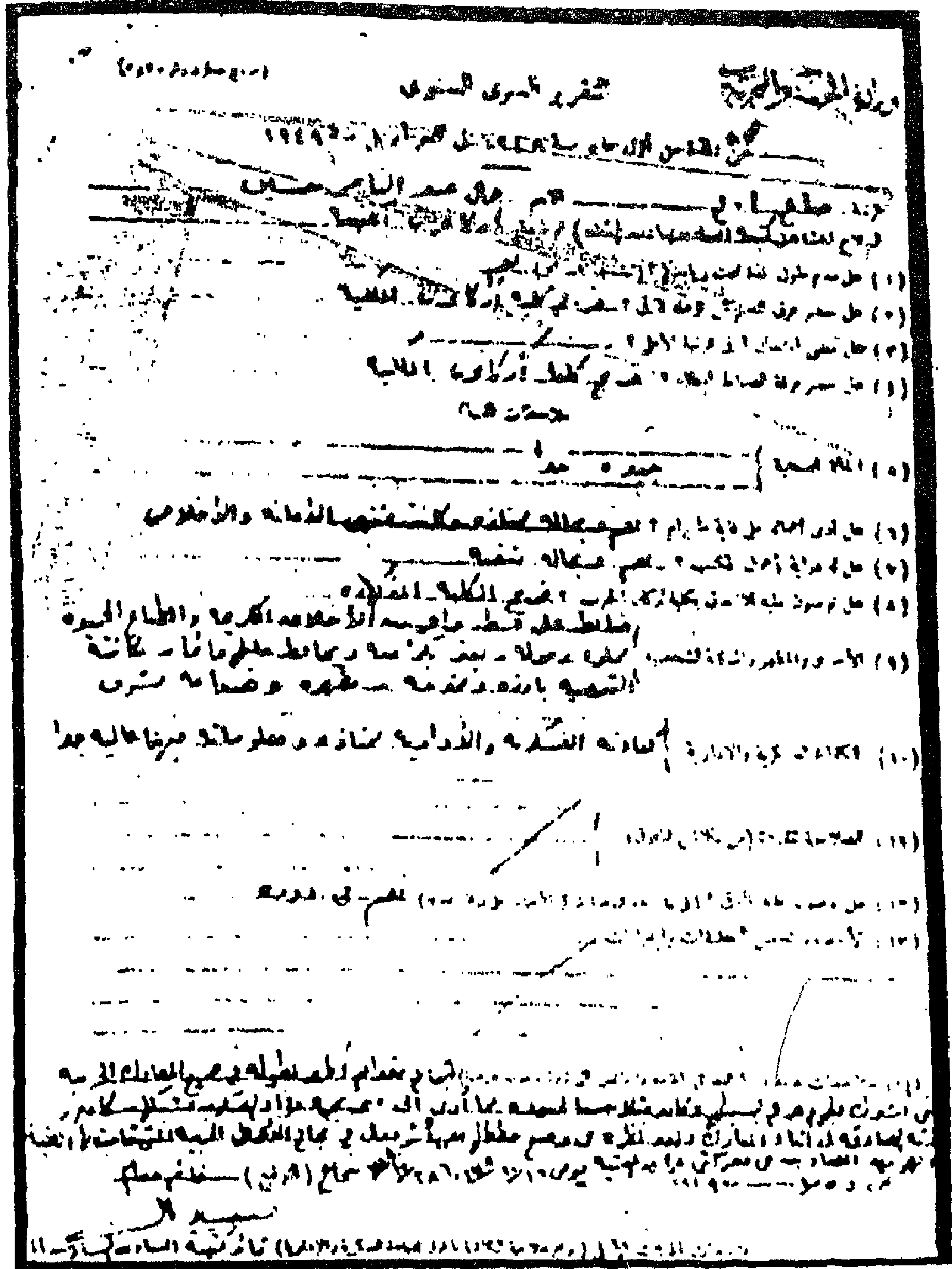
٥ مليمات

الجهاد

التصادم فى السرادق

جرحى يلجأون الى دار (الجهاد)

... جمال عبد الناصر الطالب ...



□ الوثيقة الثامنة : التقرير السرى السنوى للصاغ أركان حرب جمال عبد الناصر ويقطع بأنه «فى منتهى الأمانة والإخلاص» .. وأنه «ضابط على قسط وافر من الأخلاق الكريمة ، والطباع الحميدة مملوء رجولة ، يعتز بكرامته ، ويحافظ عليها تماماً ، مكانته الشخصية بارزة ومحترمة ، مظهره وهندامه مشرف ، كفاءته العسكرية والإدارية ممتازة ومعلوماته فيها عالية جداً ، شجاع ، مقدام ، أظهر بطولة فى جميع المعارك الحربية التى اشترك فيها وجرح بسببها ، وكان مثالاً حياً لجنوده ، مما أدى إلى منحه نجمة فؤاد العسكرية تقديراً لشجاعته ، ووطنيته الصادقة أثناء المعارك ، وبعد نظره فى وضع خططها معى ، مما كان له أثر فعال فى نجاح الأعمال الحربية التى قامت بها الكتيبة فى معركتى عراق المنشية» .

التوقيع : قائد كتيبة البنادق السادسة فى ١٩٤٩/٤/٥ .

□ الوثيقة التاسعة : مسودة الخطاب الذى ينفى فيه حسن النشار بخط يده، رواية صلاح منتصر«!!!»

□ الوثيقة العاشرة: واحد من خطابات عبد الناصر التى تنشر لأول مرة .. وتنطق بأنه ، حتى وهو فى «منقباد» كان « يحمل هم» أشقائه فى القاهرة.!!

عزيزي حسن

: هذه رسالة ثانية [illegible] أن
تكون بخير . أرسلت لك خطاب من مدة
ولكنه لم يصلني أي رد منك الآن
وأنا لذلك [illegible] وربما [illegible]
إذا لم تنم الحرب [illegible] [illegible]
ولا نزال [illegible] .
لقد سمعت أن [illegible] في مرسى [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] وقد [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] فأرجو أن تكتب
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
أما مسألة الزواج فأظن أنه ليس من [illegible]
الكلام [illegible] [illegible] بسبب الحرب [illegible]
[illegible] [illegible] ...
هل [illegible] [illegible] [illegible] أن أرى [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]

☐ الوثيقة الحادية عشرة:
خطاب آخر يرجئ فيه عبد الناصر الكلام في «مسألة الزواج» بسبب الحرب!

☐ الوثيقة الثانية عشر: الصفحة الأولى من خطاب عبد الناصر إلى صديقه حسن النشار .. وفيها يصارحه بما في نفسه من «ثورة عائلية» . !!!

عزيزي حسن

أكتب إليك الآن وأنا ثائر في
نفسي ثورة داخلية عائلية ...
وصلني جواب من العم [illegible] [illegible]
يقول إنه كتب لي جوابه فلم يصله
الرد ويتهمني بأن [illegible] [illegible]
مدة وجود [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] ...
هذا الخطاب كافيا لأنه أراد أن
يقطع علاقتي به وبالعائلة أجمع
إذا [illegible] الأمر ... فقد كانت
الخطابة [illegible] حول ما [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
ولكن [illegible] [illegible] .... [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

الصفحة الثانية من نفس الخطاب وفيها يعترف عبد الناصر بأن «كل عيبه أنه دوغرى ، ولا يعرف الملق أو التمسح بالأذيال» !!!

وعلى الصفحة الثالثة من نفس الخطاب يقول: «الرؤساء يا حسن يسوءهم ذلك الذى لا يسبح بحمدهم» . !!

ممكنا ... هـ يحزننا أن نحس أم أننا
أننا نسير إلى الهاوية — الدمار — الظلام
الحالك — نتمنى في الإصلاح ... شعبه
حاملة الكثير ...
[illegible]

[illegible]

→

وعلى الصفحة الأخيرة للخطاب .. «يحزنه أننا نسير إلى الهاوية» . !!

الهيئة العامة للتأمينات الاجتماعية

(نموذج رقم ٢٣ معاشات)

الاسم : سلطان حسين خليل

العنوان : ١١ شارع [illegible] الإبراهيمية

رقم ربط المعاش : [illegible]

« ويذكر عند كل اتصال بالهيئة »

مكتب التأمينات الاجتماعية [illegible]

مكتب الهيئة المختص للرجوع إليه عند اللزوم [illegible]

بيان قيمة المعاش الشهري وقيمة وتاريخ بداية الصرف الدوري [illegible]

قيمة المعاش	[illegible]
جهة الصرف	سيتم صرف المعاش المستحق لكم من الهيئة على [illegible]
تاريخ بداية الصرف الدوري	اعتبارا من معاش شهر ([illegible] ١٩٧٢) استحقاق يوم ٢٥ منه

وعليكم التوجه لاستلام هذا المعاش بصفة دورية في يوم ٢٥ من كل شهر دون انتظار إخطار منا

وتقبلوا التحية ،،

مدير المعاشات

تحريرا في [illegible] /١٩٧٢

☐ الوثيقة الثالثة عشر : صورة «سركى» معاش الحاج سلطان عم جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية .. فى عهد الرئيس المؤمن أنور السادات ، اعتباراً من أكتوبر ١٩٧٢ وبواقع ١٦ جنيهاً و ٦٧٣ مليماً بالتمام والكمال . !!!

رئاسة الجمهورية

بيان
بالمرتبات وما في حكمها التي حصل عليها الموظف ١٩٦٨
من رئاسة الجمهورية خلال المدة ١٩٦٨/١/١ الى ١٩٦٨/١٢/٣١
المقدمة من ١٩٦٨/١/١ الى ١٩٦٨/١٢/٣١

اسم الموظف : السيد الرئيس جمال عبد الناصر
الوظيفة : رئيس الجمهورية العربية المتحدة

الشهر	المرتب			مرتب تمثيل		حصة الحكومة	الجملة		ارتباط معاش		ادخار ٢٪		دمغة		ايراد		دفاع		أمن		ايجار استراحة				جملة المستقطع		الصافي	
يناير	—	٥٠٠		—	١٢٥		—	٦٢٥	٥٠٠	٦٢	—	—	—	٤	٧٠٢	٨٩	٠١٠	٢٥	٠٠٠	١٦	—	٢٥			٢١٨	٢٢٩	٧٨٢	٢٩٥
فبراير	—	٥٠٠		—	١٢٥		—	٦٢٥	٥٠٠	٦٢	—	—	—	٤	٧٠٢	٨٩	٠١٠	٢٥	٠٠٠	١٦	—	٢٥			٢١٨	٢٢٩	٧٨٢	٢٩٥
مارس	—	٥٠٠		—	١٢٥		—	٦٢٥	٥٠٠	٦٢	—	—	—	٤	٧٠٢	٨٩	٠١٠	٢٥	٠٠٠	١٦	—	٢٥			٢١٨	٢٢٩	٧٨٢	٢٩٥
ابريل	—	٥٠٠		—	١٢٥		—	٦٢٥	٥٠٠	٦٢	—	—	—	٤	٧٠٢	٨٩	٠١٠	٢٥	٠٠٠	١٦	—	٢٥			٢١٨	٢٢٩	٧٨٢	٢٩٠
مايو	—	٥٠٠		—	١٢٥		—	٦٢٥	—	٥٠	٥٠٠	١٢	—	٤	٧٠٢	٨٩	٠١٠	٢٥	٠٠٠	١٦	—	٢٥			٢١٨	٢٢٩	٧٨٢	٢٩٠
يونيه	—	٥٠٠		—	١٢٥		—	٦٢٥	—	٥٠	٥٠٠	١٢	—	٤	٧٠٢	٨٩	٠١٠	٢٥	٠٠٠	١٦	—	٢٥			٢١٨	٢٢٩	٧٨٢	٢٩٥
يوليه	—	٥٠٠		—	١٢٥		—	٦٢٥	—	٥٠	٥٠٠	١٢	—	٤	٧٠٢	٨٩	٠١٠	٢٥	٠٠٠	١٦	—	٢٥			٢١٨	٢٢٩	٧٨٢	٢٩٥
اغسطس	—	٥٠٠		—	١٢٥		—	٦٢٥	—	٥٠	٥٠٠	١٢	—	٤	٧٠٢	٨٩	٠١٠	٢٢	٢٤٠	٢١	—	٢٥			٢٨٧	٢٤٤	٦١٣	٢٩٠
سبتمبر	—	٥٠٠		—	١٢٥		—	٦٢٥	—	٥٠	٥٠٠	١٢	—	٤	٧٠٢	٨٩	٠١٠	٢٢	١٨٠	٢١	—	٢٥			٣٩٣	٢٤٤	٦٠٧	٢٩٠
اكتوبر	—	٥٠٠		—	١٢٥		—	٦٢٥	—	٥٠	٥٠٠	١٢	—	٤	٧٠٢	٨٩	٠١٠	٢٢	١٨٠	٢١	—	٢٥			٣٩٣	٢٤٤	٦٠٧	٢٩٠
نوفمبر	—	٥٠٠		—	١٢٥		—	٦٢٥	—	٥٠	٥٠٠	١٢	—	٤	٧٠٢	٨٩	٠١٠	٢٢	١٨٠	٢١	—	٢٥			٣٩٣	٢٤٤	٦٠٧	٢٩٠
ديسمبر	—	٥٠٠		—	١٢٥		—	٦٢٥	—	٥٠	٥٠٠	١٢	—	٤	٧٠٢	٨٩	٠١٠	٢٢	١٨٠	٢١	—	٢٥			٣٩٣	٢٤٤	٦٠٧	٢٩٠
	—	٦٠٠٠		/	١٥٠٠		/	٧٥٠٠	/	٦٥٠	/	١٠٠	/	٤٨	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	/	٣٠٠			[illegible]	[illegible]	٥١٥	٤٧٢٢

تحريراً في ٢٠/ ٢/ ١٩٦٩

ابراهيم

مراقب شئون العاملين

⊡ الوثيقة الرابعة عشر : هذا هو بيان "رسمي" ومختوم بخاتم "النسر" يوضح مفردات المرتب الذى كان يتقاضاه "الرئيس" جمال عبد الناصر شهرياً .. وهو بالضبط ٣٩٥ جنيهاً مصرياً و ٧٨٢ مليماً .. فهل يعرف أحدكم الدخل الشهرى لأى مسئول كبير حالياً ؟!!! أم أن مثل هذه "الأمور" لا يحق للشعب معرفتها فى "أزهى عصور الديمقراطية" ؟!!!

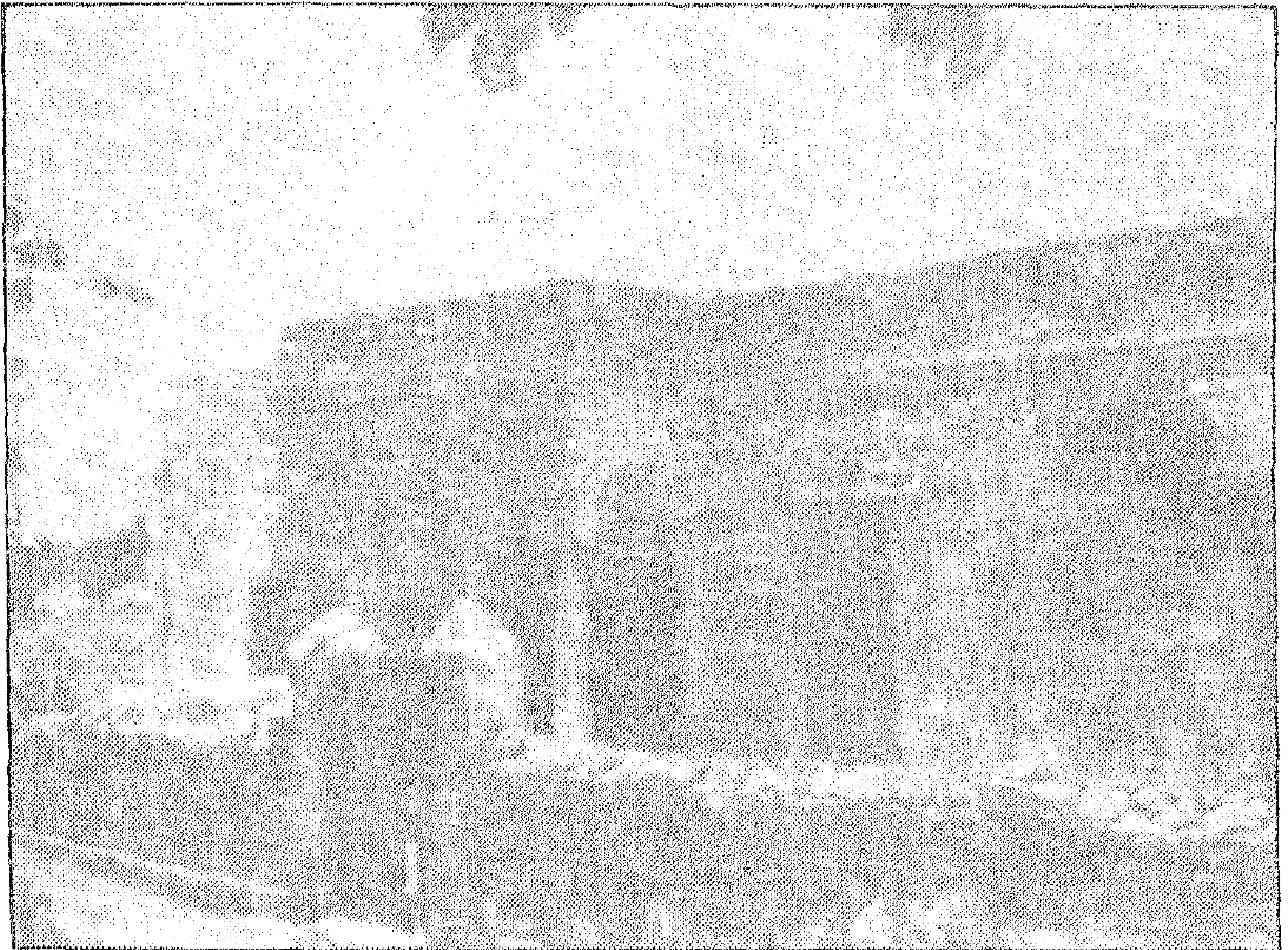


العريس : جمال عبد الناصر
والعروس : تحية كاظم
والتاريخ : ٢٩ يونيه ١٩٤٤ .. أي بعد خمس سنوات كاملة من انتهاء علاقته ببنت « الباشا » المزعوم !!



تحيـة وعبد النـاصـر : قصـة حب لـم تنتـه بعد الـزواج . !!

قرب نهاية الدراسة الابتدائية ، واقفاً فى صورة تذكارية بين والده وعمه خليل ، وعلى الجانبين وفى المقدمة أشقائه عز العرب والليثى ، والصغير شوقى .



منزل ومكتب بريد الخطاطبة .. كئيباً موحشاً بعد أن تركته «أم جمال» ورحلت عن الدنيا وهو لا يزال صغيراً .. فى الثامنة من عمره .. !!



عبد الناصر يوقع على صورته تذكاراً لزملائه فى مدرسة النهضة الثانوية وهم : حسن النشار - إلى أقصى اليسار - وبجواره محمد عسكر ، وخلفه إبراهيم العقاد ، ثم أحمد فريد على .. بجوار المصور حسين بكر

شفيق أحمد على يفتش فى ذاكرة حسن النشار عن حقيقة "المرأة التى أحبها عبد الناصر" .

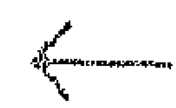
وشقيق أحمد على مع السيدة عنايات مصطفى زوجة والد جمال عبد الناصر فى أول صورة وأول حديث ينشر لها «!!!»

السيدة عنايات مصطفى : تستعيد ذكرياتها مع عبد الناصر الأب والابن . !!

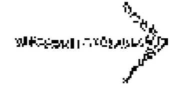
وحدها ، أصبحت فى القلب وفى العين وفى الصورة منذ أن تزوجها عبد الناصر وحتى آخر عمره

تلك هى رفيقة العمر «تحية كاظم» فى هدوء واحتشام .. حتى على البلاج !!

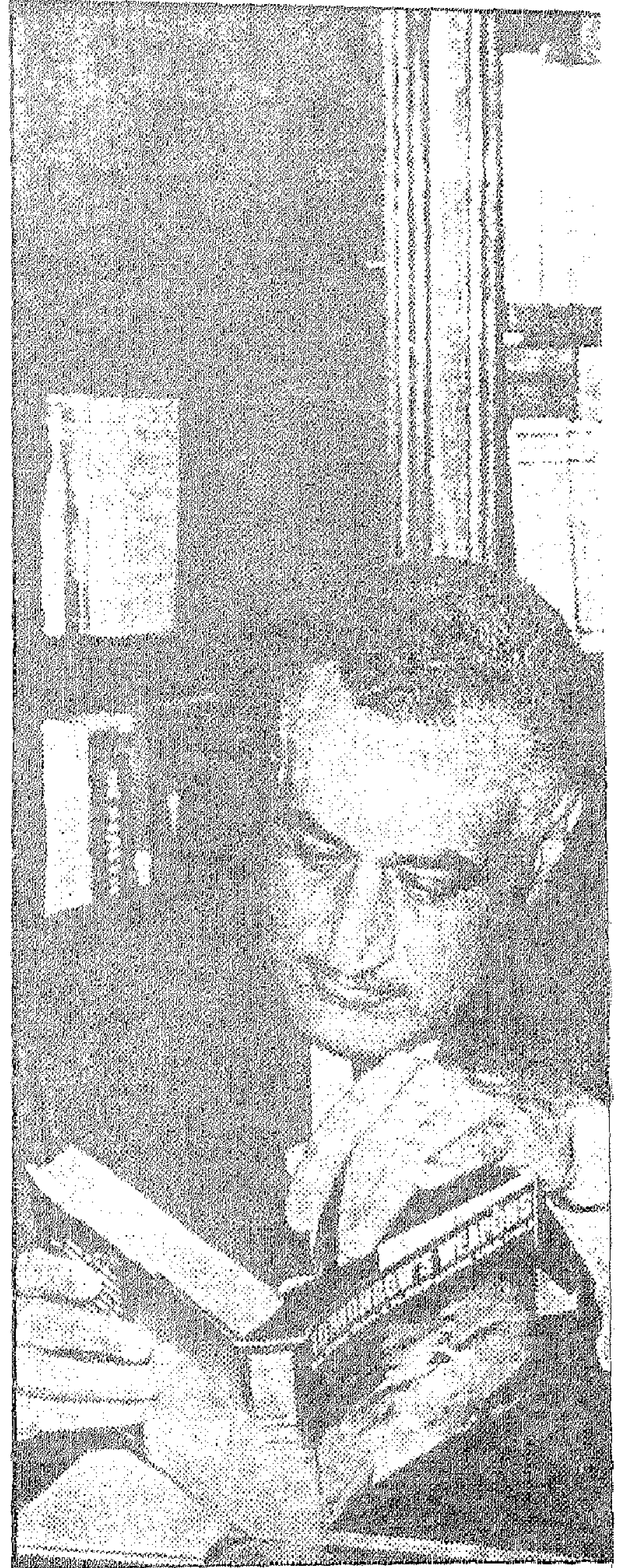


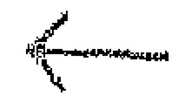


حضر الابن .. ورضى الأب، وصورة تضرس كل المدعـــين . !!



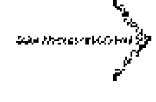
بشهادة الجميع : لم تكن القراءة مجرد هواية يملأ بها عبد الناصر أوقات فراغه . كانت بنداً أساسياً فى برنامج عمله اليومى .





وفى منزله : كثيراً ما كان يجلس — مع شىء من الموسيقى الخافتة — ليعمل حتى الساعات الأولى من الفجر.



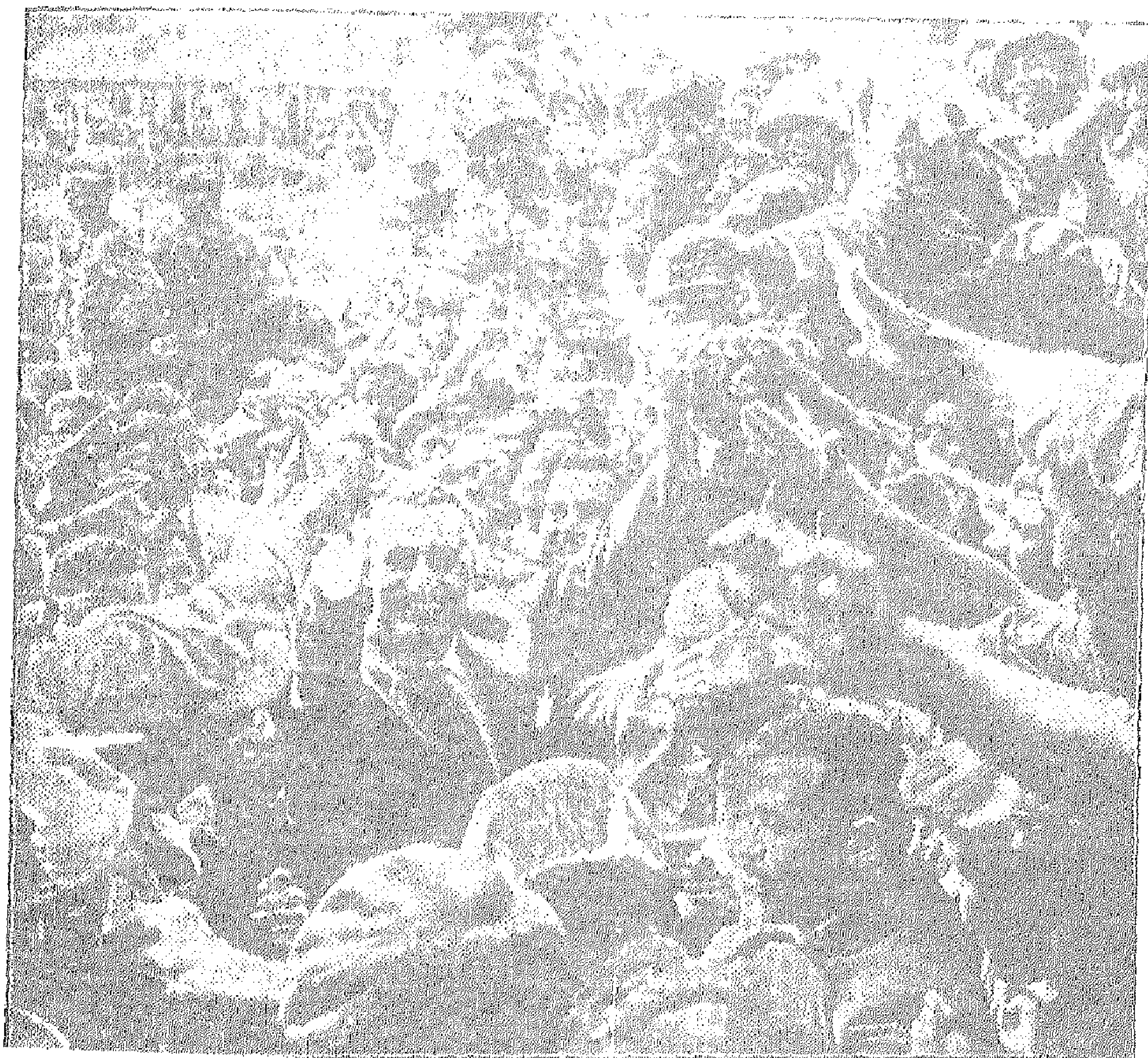


عيون الشيخ محمود شلتوت - شيخ الجامع الأزهر - تنطق بالامتنان لعبد الناصر الذى أصر على أن يصافح الشيخ المسن ، وهو جالس فى مكانه .. تكريماً واحتراماً للشيخ .. ومكانته الدينية





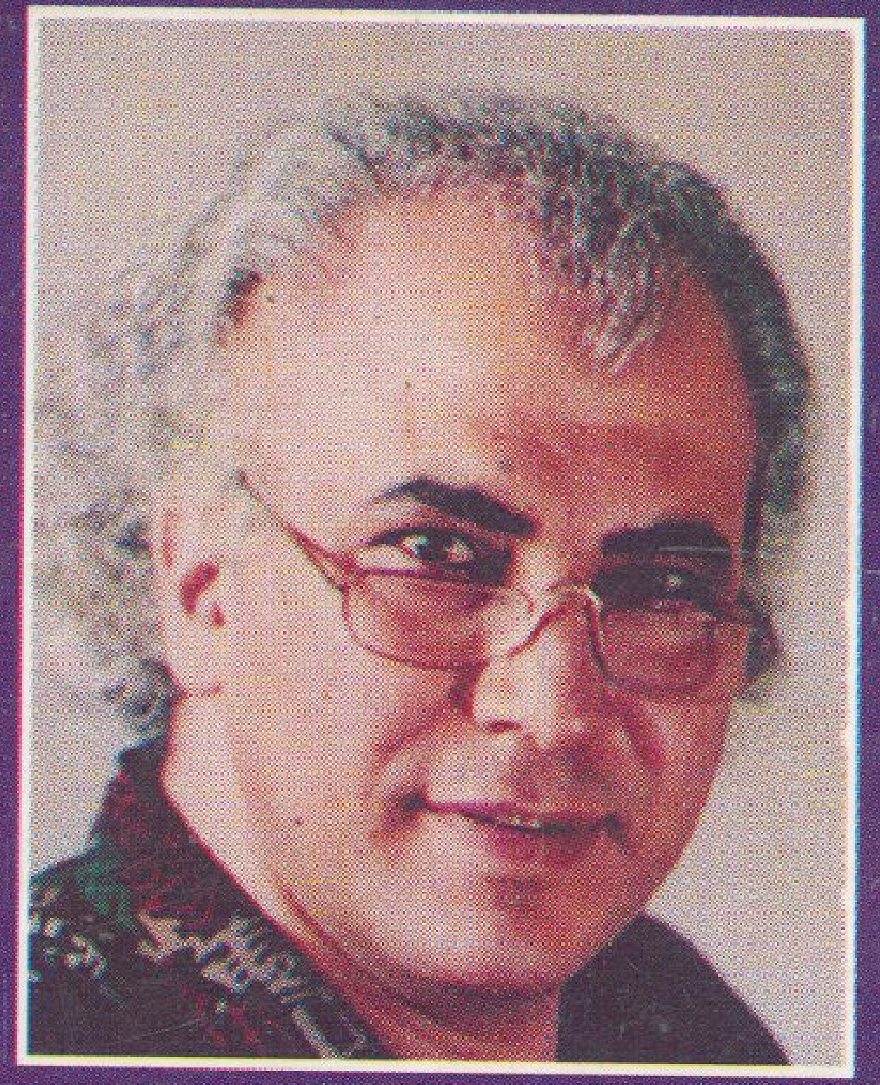
أفزعهم كل هذا الحب .. فزعموا أنه لم يوزع الأرض على هؤلاء المعدمين ، حباً فى عيون المساواة.. واختلقوا قصة حبه لبنت «الباشا» المزعوم . !!



ثلاث لقطات
أبلغ من أى تعليق :
القائد بين شعبه وجنوده ..
بلا حرس أو حواجز ..
أو أمن مركزى «!!!»



محتويات الكتاب



■ شفيق أحمد على

بالوثائق : لماذا طالبوا "بإحراق" هذا الكتاب
ولماذا يجب أن تقرأه بنفسك ؟!

▣ عزيزى : حسن ...

بينما كنت أتجول فى أحد الأيام ، وجدت "س ... هانم" وطبعاً أظنك تقدر تعرف إيه اللى جرى لى فى تلك الساعة ، ومن يومها وأنا أبحث عن منزلها فى الظاهر حتى عثرت عليه أخيراً .. وهو يقع فى شارع الخليج أمام سينما فيكتوريا ، وبما أننى عندى عمل بعد الظهر فى يومى السبت والثلاثاء ، فإننى أمتع نظرى باقى أيام الأسبوع ، ويشهد الله أننى لم أحاول تتبعها ، ولا معاكستها ، حتى أنزه نفسى عن عبث الشباب الحديث، وحتى لا يقال عنها القيل والقال .

أخوك : جمال عبد الناصر
عصر ٢٨ مايو ١٩٣٩

▣ البعض سيلوم الكاتب الصحفى شفيق أحمد على الذى نشر قصة "المرأة التى أحبها عبد الناصر" لأنه اخترق الحياة الشخصية للزعيم، ولا أحد يعيب زعيماً يحب .

"محسن محمد"
جريدة أخبار اليوم - فى ١٩٨٩/٢/١٨

▣ قالت إحدى صحف المعارضة أن فى الطريق إلى الصدور قريباً ، كتاب جديد اسمه "المرأة التى أحبها عبد الناصر" .. ويبدو أن هذا الكتاب محاولة خطيرة ، ومريبة ، وخبيثة لطمس الأسباب الحقيقية للإطاحة بآخر الحكومات "الوفدية" فى ٢٧ يناير ١٩٥٢ . !!!!

"لمعى المطيعى"
جريدة الوفد - فى ١٩٨٩/٨/١٣

▣ التهمت بعيونى كتاب"المرأة التى أحبها عبد الناصر" وأشفقت على مؤلفه شفيق أحمد على من "الناصريين" أصدقائه ورفاق فكره .. أما الأعداء فهو كفيل بهم .

"محمد ..."
جريدة الجمهورية - ...

▣ عندما تعرف أن كثيراً من الذين يتصدون للعمل ... والناصريون جزء منهم ، يتصدون للعديد من ال... "شفهية" .. أى بدون قراءة ، وبمجرد السمع فقط ... صعوبة الموقف الذى يقفه الآن شفيق أحمد ... الكتاب.!!

"يوسف ..."
مجلة الأهرام الاقتصادى - فى ...

■ **كلام فى سرك !!**

لا أعتقد أنك يمكن أن تفرط فى هذا الكتاب، أو تقرضه لصديقك.

● ليس فقط : لأنه سيكشف لك - لأول مرة - وبخط عبد الناصر نفسه أسرار وخطابات ووثائق قصة "المرأة التى أحبها.. ولم يتزوجها" !!

● وليس فقط : لأن مؤلف هذا الكتاب هو "شفيق أحمد على" الكاتب الصحفى بمجلة روز اليوسف ، صاحب "الخبطات" الصحفية الشهيرة التى قرأناها طوال السبعينات والثمانينات على صفحات روز اليوسف، والأهالى، والذى حصل على الجائزة "الأولى" فى مسابقة التفوق والامتياز الصحفى من نقابة الصحفيين المصريين عام ١٩٨٤

● وإنما أيضاً : لأن مؤلف هذا الكتاب يتسلل بك إلى "رذائل" عبد الناصر الخلقية فى رأى المخابرات الأمريكية، وعلاقته الحقيقية - هو والسادات - بالخمور، والنساء وجمعية تبادل الزوجات "!!!" بالإضافة إلى فصل جديد - فى هذه الطبعة - حول جريمة هذا الكتاب "المفاجأة" .

تصميم الغلاف لـ : **محمد الصباغ**